قررت النظارة العلمية تدريس هذا الكتاب بالجامع الاعظم دام عمرانه

الهبة والعطا

في

شرح العقيدة الوسطى

لابي اسحق الاندلسي المعروف بالسرقسطي

تغمدنا الله برحمته

حقوق الطبع محفوظة

للتزمي طبعه محمد الامين واخيه الطاهر صاحبي المكتبة العلمية

نهج الكتبية عدد ١٢ بتونس

من اعاد طبع الكتاب يطالب باظهار الاصل

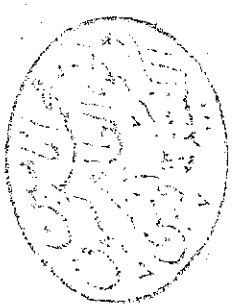

طبع

بالمطبعة التونسية ، نهج سوق البلاط ٥٧ بتونس

١٣٤٥

R. UNIV.
BIBLIOTHEEK
LEIDEN

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شهدت بوحدانيته ووجوده جميع الكائنات ❁ ودلت على وحدانيته سائر المصنوعات ❁ المعترف لعباده بقواطع الادلة وسائر البراهين البينات ❁ خلق الانسان وشق له سمعا لاستماع الاخبار الواردات ❁ وفما للنطق وبصرا للنظر في المصنوعات ❁ وقلبا ينطوي على التحقيق والايمان والحسنات والسيئات ❁ وعقلا يفرق به بين الرب والمربوب والخالق من المخلوق والجزئيات من الكليات ❁ فسبحانه من إله اتقن كل شيء صنعا ودحا بساط الارض على وجه الماء وجعل اوتادها الجبال الراسيات ❁ المتكلم بكلام ازلي لا حرف ولا صوت ولا يختص بجهة من الجهات ❁ المعروف باظهار وجوب الوجود بالتلطف والاحسان لا لغرض ولا علة ولا حاجة من الحاجات ❁ احمده على التيسير واستغفره من التقصير واشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له خالق كل شيء وهو رب البريات ❁ شهادة اتقي بها هول يوم عسير تكثر فيه الخصومات ❁ واشهد ان سيدنا ونبينا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله منقذنا من الهلكات ❁ وعلى آله واصحابه السابقين الى الخيرات ❁ صلاة وسلاما باقية ما بقيت الارض والسماوات ﴿ وبعد ﴾ فيقول العبد الفقير الى رحمة ربه القدير ابو اسحاق ابراهيم الاندلسي ثم السرقسطي ابن ابي الحسن الحاج علي عرف البناني عصمه الله ووقاه لما كان متعين على كل احد معرفة الباري جل

وعز بالنظر الصحيح ولا يكفي في التقليد غير القول الصحيح ومعرفة النبي والرسول بطريقي المعقول والمنقول كان علم العقائد افضل العلوم كلها على الاطلاق ❁ لانه العلم المنجي من الاهوال في يوم التلاق ❁ وبه يرتقي العبد من ظلمة الجهل والالتباس ❁ الى درجة العارفين الاكياس ❁ وان افضل ما صنف فيه من المختصرات المغنية عن كثير من المطولات العقيدة المسماة بالوسطى وشرحها لسيدنا شيخ الاسلام ❁ ومصباح الانام ❁ ابي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي الحسني نفعنا الله به وبعلومه وبركاته وجعلنا الله منه واليه في الدنيا والاخرة لقد اشفى في الشرح الغليل ❁ وبين فيه الدليل والتعليل ❁ وقد قصرت الهمم ونفرت في هذا الزمان من كل ما فيه تطويل ❁ ولذلك سالني بعض ان اختصر له هذا الشرح وان يكون مزجا ليسهل عليه وعلى المبتدئين والطلاب مثلي ولم يزل يراجعني سنة من الزمان وانا اتباطي عليه لعلمي اني لست من اهل هذا الشان ثم استخرت الله تعلى وعرضت نفسي لذلك ❁ وان كنت لست هناك بذلك ❁ وجمعت منه ما يحصل به حل الفاظ العقيدة ❁ وربما ازيد على ذلك زيادة مفيدة ❁ من غيره تتعلق بالمقام لتحصل الفائدة فجاء بحمد الله على وفق المراد وانما تجاسرت على ذلك وان كنت لست اهلا لذلك رجاء ان احشر في زمرة العلماء العاملين رضي الله عنهم اجمعين لقوله صلى الله عليه وسلم من تشبه بقوم فهو منهم واسئل الله الكريم ان يجعله خالصا لوجهه العظيم انه غفور رحيم وسميته «بالهيبة والعطا ❁ في شرح العقيدة الوسطى» واسأله سبحانه ان يمن علينا بما من به على الابرار ❁ وان ينجينا واحبابنا واولادنا وابائنا واخواننا وجميع المسلمين من العار والنار ❁ بفضله ورحمته ❁ وعفوه وكرمه ❁ انه سميع قريب مجيب مختار ❁ ولما كان تاليف هذا الكتاب امرا ذا بال اي ذا حال وشان يهتم به وكل ما هو كذلك تطلب فيه البداية بالتسمية عملا بما ورد في الاخبار ❁ عن سيد الاخيار ❁ عليه الصلاة والسلام ❁ من الملك العلام ❁ قال وحيد زمانه ❁ تغمده الله تعلى بغفرانه ❁ اولف مستعينا بـ (لسم الله الرحمن الرحيم) والاسم مشتق من السمو وهو العلو وقيل من الوسم وهو العلامة والله علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد والكمالات والرحمن المنعم بجلائل النعم والرحيم المنعم بدقائقها وقدم الله عليهما لانه اسم ذات وهما اسماء صفة والذات مقدمة على الصفة وقدم الرحمن على الرحيم لانه خاص لايقال لغير الله بخلاف الرحيم

والخاص مقدم على العام والتقدم فيما ذكر انما هو بالتعقل لا بالزمان لاستحالته على الرحمن فافهم والجملة تحتمل الخبرية والانشائية « لطيفة » ذكر السمرقندي في تفسيره عن كعب الاحبار ان الباء من بسم الله بهاء الله والسين سناؤه ولا شيء اعلا منه والميم ملكه وهو على كل شيء قدير « فائدة » حذف الف الوصل من بسم من الخط تخفيفا لكثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا عنها واختلف في الف الرحمن فقال الكسائي تحذف وقال غيره لا تحذف لان الاستعمال في بسم اكثر منها فيها « فائدة » روي عن علي رضي الله عنه انه نظر الى رجل يكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال جوّدها فان رجلا جودها فغفر له « قلت » واذا جودت نفعت لكل ما تكتب له وقد جربته مرارا فصح « والحاصل » ان بسم الله الرحمن الرحيم الترياق الاعظم من سموم الهموم والاوهام قال بعضهم البسملة مصدر بسمل اذا قال بسم الله كما يقال هلل اذا قال لا إله إلا الله وحوقل اذا قال لا حول ولا قوة إلا بالله وحمدل اذا قال الحمد لله وحسبل اذا قال حسبي الله . ولما افتتح بالبسملة افتتاحا حقيقيا افتتح بالحمدلة ابتداء اضافيا وهو ما يقدم على الشروع في المقصود بالذات جمعا بين حديثي البسملة والحمدلة وقدم البسملة عملا بالكتاب والاجماع ولاقتضاء المقام تقديم الحمد قدمه على الله وان كان الاهم ذاتا ذكر الله فقال (الحمد لله) الحمد لغة هو الثاء بالجميل على قصد التفضيل واصطلاحا هو الثناء بالكلام على المحمود صفاته الاختيارية سواء كانت من باب الاحسان او من باب الكمال المختص بالمحمود كعلمه وشجاعته مثلا والشكر لغة هو فعل ينبيء عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعما واصطلاحا هو الثناء باللسان وبغيره من القلب والاركان بسبب ما اسدى الى الشاكرين من النعم « فان قلت » ما النسبة بينهما « فالجواب » نسبة العموم والخصوص من وجه يجتمعان في اللسان في مقابلة الاحسان وينفرد الشكر بالقلب والاركان والحمد بتعلقه بالكمال كقولنا الله قديم واحد والحمد مختص بالله كما افادته الجملة سواء جعلت ال فيه للاستغراق كما عليه الجمهور او للجنس كما عليه الزمخشري ام للعهد كالتي في قوله تعلى اذ هما في الغار كما نقله ابن عبد السلام واجازه الواحدي على معنى ان الحمد الذي حمد الله به نفسه وحمده به انبياؤه واولياؤه مختص به والعبرة بحمد من ذكر فلا فرد منه لغيره واولى الثلاثة الجنس والحق عند الصوفية ان ما حمد الله إلّا الله ولا ذكر الله إلّا الله ولا عرف الله

إلّا الله ومرادهم من ذلك ان كل من ذكره او حمده او عرفه انما ذكر وحمد وعرف لحظ نفسه وانى تذكر الحقوق بالحضوض فعلى الحقيقة ما حمد الله كحمده تعلى بذاته غيره وآثر الجملة الاسمية على الفعلية لدلالتها على الدوام والاستمرار بخلافها وانما قال في حد الحمد الثناء بالكلام دون الثناء باللسان ليشمل الحد المحامد الاربعة القديمين والحادثين وانما قال في حد الشكر الثناء باللسان دون الثناء بالكلام لان الشكر لا يكون الّا في مقابلة نعمة ولا منعم على الله تبارك وتعلى بل هو المنعم على الكل فضلا منه عز وجل وان ورد شيء من ذلك كقوله تعلى وكان الله شاكرا عليما وفي الحديث كما في البخاري ان الله شكر صنيعكما فهو ضرب من المجاز اطلاقا للشكر مرادا به الحمد والله اعلم وانما اضاف الحمد الى هذا الاسم الاعظم دون غيره لاستحقاقه الحمد لذاته تبارك وتعلى ونفي لما قد يتوهم والمراد من حمد العباد لله تعلقه به ولا يلزم من تعلقه به قيامه به لاستحالة قيام الحوادث بذاته تعلى فاعرفه وحكم هذا الحمد الوجوب مرة في العمر وما زاد على ذلك فهو مستحب كالنطق بالشهادتين والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وما اشبه ذلك وهل ذلك على الفور او التراخي قولان والاول اظهر واشهر وافضل المحامد الحمد لله بجميع محامد الله كلها ما علمت منها وما لم اعلم على جميع نعم الله كلها ما علمت منها وما لم اعلم « رب » معناه مالك صفة من ربه يربه فهو رب وقيل هو في الاصل مصدر بمعنى التربية وهو تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به للمبالغة كما وصف بالعدل وهو من اسمائه تعلى ولا يطلق على غيره إلّا مقيدا كرب الدار ومنه ارجعي الى ربك وقد استعمل في المالك لانه يحفظ ما يملكه « العالمين » جمع عالم بفتح اللام وهو اسم عام لجميع المخلوقات سمي عالما لكونه عالما على حدوثه وافتقاره الى موجد قديم وانما جمع باعتبار انواع كل جنس مما سمي به او لانه يتوجه الى عالم كل زمان وجمع بالواو والياء والنون لان الاصل فيه العقلاء وغيرهم تطفل عليهم قاله شارح السراجية وقال ابن مالك التحقيق انه اسم جمع محمول على الجمع لانه لو كان جمعا لعالم لزم ان يكون المفرد اوسع دلالة من الجمع لان العالم اسم لما سوى الله تعلى والعالمين خاص بالعقلاء انتهى « فان قلت » فهل قبل وجود العالم هناك اوقات محققة ام لا « فالجواب » اعلم انه لا اوقات محققة قبل وجود العالم وانما هي مقدرة اذ الوقت الحقيقي كل حادث وقت به حدوث كل حادث اخر كحركات الافلاك فانه يوقت بها حدوث

الحوادث فيجب ان يكون الله تعلى متقدما على العالم بتقدير ما لو كانت هناك اوقات لكانت بلا نهاية فاعرفه (والصلاة) اي التشريف والاكرام والمبرة والاحترام (والسلام) اي التحية وجمع بينهما امتثالا لقوله تعلى يايها الذين ءامنوا صلوا عليه وسلموا تسليما (على سيدنا) من ساد قومه يسودهم سيادة فهو سيد ووزنه فيعل واصله سيود قلبت الواو ياء وادغمت في الياء ويطلق على الذي يفوق قومه ويرتفع قدره عليهم وعلى الحليم الذي لا يستفزه غضبه وعلى الكريم وعلى المالك قاله النووي في اذكاره (محمد) هو علم منقول من اسم مفعول المضعف سمي به نبينا صلى الله عليه وسلم لكثرة خصائله المحمودة ورجاء ان يحمده اهل السماء والارض وكذلك كان والحمد لله فهو احمد من حمد واحمد من حمد الاول بالضم والثاني بالفتح وهو الحامد بجميع المحامد اعني الجميع من الكثرة الى الواحد (خاتم) بفتح التاء اي انفس واشرف وبكسرها ءاخر النبيين جمع نبي بغير همز ماخوذ من النبوة بفتح النون وسكون الباء الموحدة وتخفيف الواو المفتوحة بمعنى الارتفاع وبالهمز من النبأ وهو الخبر والنبي هو انسان اوحي اليه ولم يؤمر بالتبليغ والرسول هو انسان اوحي اليه وامر بالتبليغ فالنبي اعم والرسول اخص وختم الاعم يستلزم ختم الاخص ولهذا قال المصنف رحمه الله ونفعنا به خاتم النبيين ولا يعترض بنزول سيدنا عيسى عليه السلام ءاخر الزمان فان نبوءته سابقة ولانه اذا نزل يكون ناصرا لشريعة « محمد » صلى الله عليه وسلم فهو كواحد من امته لا يبدل شيئا من شريعته الطاهرة وارتفاع الجزية بنزوله هو حكم مقرر بشرعنا لاخباره بذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (وامام المرسلين) اي مقدمهم في جميع الكمالات ومتبوعهم يتعلقون به في شدائد الاخرة واهوالها المعضلات وقد قال عليه الصلاة والسلام ءادم ومن دونه تحت لواءي يوم القيامة وقد ثبت انه تقدمهم وامهم حسا في ليلة الاسراء وذلك كله دليل واضح على ان هذا السيد الكريم صلى الله عليه وسلم افضل المخلوقات واكرمهم على الله تعلى ولما ثبت شرفه وزيادة شرفه على المرسلين مع خصوصيتهم على النبيين كان بثبوت ذلك احرى واولى ممن ثبت له مطلق النبوءة ولهذا قال رحمه الله وامام المرسلين دون النبيين وعدد الانبياء على ما ورد في بعض الاحاديث مائة الف واربعة وعشرون الفا والرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر اولهم ءادم واخرهم محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين (ورضي الله تعلى) خبر بمعنى الدعاء والرضا صفة فعل بمعنى الانعام

والاحسان (عن اصحاب رسول الله اجمعين) اصحاب جمع صحب الذي هو جمع لصاحب او اسم جمع بمعنى الصحابي وهو من لقي النبيء صلى الله عليه وسلم مميزا مؤمنا فيدخل ابن ام مكتوم ونحوه من العميان وعيسى والخضر والياس عليهم السلام لحصول اللقاء ولانه لا يشترط فيه المتعارف اذ لا تنافي بين مقام الصحبة والنبوءة والملائكة فعيسى عليه السلام ءاخر الصحابة موتا والملائكة صحابة باقون الى الان لتكليفهم بشريعته « فائدة » قال ابوزرعة الرازي توفى صلى الله عليه وسلم عن مائة الف واربعة عشر الفا كلهم رأوه وروى عنه ذكره ابن النجار في مراتب الصحابة وابن الاثير في جامع الاصول (ومن تبعهم باحسان) اي ورضي الله عن التابعين للصحابة في الاعتقاد والاقوال والافعال والاحوال واتباع التابعين (الى يوم الدين) اي يوم القيامة والتابعي هو من لقي الصحابة ولو واحدا سواء كان رجلا او امراءة (وبعد) يؤتي بها للانتقال من اسلوب الى ءاخر واصلها اما بعد بدليل لزوم الفاء في حيزها غالبا لتضمن اما معنى الشرط وهو العامل فيها والاصل مهما يكن من شيء بعد البسملة وما بعدها وتكون ظرف زمان كثيرا ومكان قليلا تقول في الزمان جاء زيد بعد عمرو وفي المكان دار زيد بعد دار عمرو وهي هنا صالحة للزمان باعتبار اللفظ وللمكان باعتبار الرقم (فهذه) الفاء رابطة لجواب اما المقدرة الذي نابت عنها الواو وهذه اشار بها لما في الذهن ان كانت قبل التاليف او الى ما في الخارج ان كانت بعد التاليف (جمل) جمع جملة وهي هنا ما تضمن اسنادا مفيدا وتنكيرها اما للتقليل تنبيها على انها جملة قليلة العدد ثم هي مع ذلك تخرج من فهمها عن درجة التقليد الى مرتبة عالية المعارف واما للتعظيم تنبيها على عظم شانها لعظيم ما جملته من تفسير العلم بالله تعلى وتاييده بقواطع البراهين وانما قال المصنف رحمه الله (يخرج) اي يتخلص وينتقل من درجة التقليد الى رتبة المعرفة والعلم بالنظر الصحيح (المكلف) بفتح اللام وهو البالغ العاقل الذي بلغته الدعوة فمن لم تبلغه الدعوة لا يجب عليه ما سياتي على الاصح ولا يعذب ويدخل الجنة لقوله تعلى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا (بفهمها) اي فهم الجملة يعني علمها وادراكها ولم يقل بحفظها بدل فهمها اشارة الى ان فهم معانيها هو المعتبر لا مجرد حفظ وسرد حروفها الّا ان حفظ اللفظ من اعون الامور على فهم المعنى واقتصار المصنف رحمه الله على المكلف لانه هو الذي يتاكد عليه فهم ما يتخلص به من التقليد الى المعرفة بالنظر الصحيح لئلا ياتيه الموت بغتة قبل حصولها

وان كان غير المكلف كالصبي المميز مثلا يخرج ويتخلص بفهمها (من التقليد) كذلك ايضا والتقليد الاخذ بقول الغير من غير حجة وقيل قبول قول الغير وهو لا يعلم من اين اخذه بان تصدقه تخمينا للظن به من غير تفكر في خلق السماوات والارض فالاخذ بقول النبي صلى الله عليه وسلم في الاحكام تقليد على الاول وبه صرح امام الحرمين في الورقات وصرح في البرهان بخلافه فانه قال وذهب بعضهم الى ان التقليد قبول قول القائل بلا حجة ومن سلك هذه الطريقة منع ان يكون قبول قول النبي صلى الله عليه وسلم تقليدا فانه حجة في نفسه واما على الثاني فعلى القول بجواز اجتهاده عليه الصلاة والسلام في الاحكام يجوز ان يسمى قبول قوله تقليدا وعلى منع ذلك في حقه عليه الصلاة والسلام وانه انما يقولها عن وحي وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى فلا يسمى قبول قوله عليه الصلاة والسلام تقليدا وعن بعضهم والصحيح جواز اجتهاده صلى الله عليه وسلم ووقوعه ولا يكون الا صوابا والاية محمولة على القرءان وما يصدر نطقه بالقرءان عن الهوى ما القرءان إلا وحي يوحى والذي حققه في البرهان ان التقليد هو الاخذ بقول غير معصوم من غير حجة وعليه فالاخذ بقوله صلى الله عليه وسلم مطلقا ليس بتقليد (المختلف) المضطرب (في) صحة (ايمان) اي تصديق (صاحبه) اي صاحب التقليد والخلاف الذي اشار اليه هو انه اختلف في ايمان المقلد على اربعة اقوال الاول انه مؤمن لكن عاصي بترك النظر مع القدرة عليه وكان النظر عند هذا واجب مع القدرة ساقط مع عدمها الثاني انه مؤمن غير عاص بتركه النظر وكان النظر عند هذا مندوب اليه « الثالث » ان قلد القرءان والسنة القطعية صح ايمانه لاتباعه القطعي ومن قلد غير ذلك لم يصح ايمانه لعدم امن الخطإ على غير المعصوم « الرابع » انه كافر وكان هذا يرى ان المعرفة فرض على الاعيان وانها نفس الايمان كما يقوله الشيخ الاشعري وهذا القول الرابع هو مذهب جمهور المتكلمين عند بعضهم وانكره بعضهم وقال بل الاصح ان الجزم التقليدي المطابق كاف في الايمان ومخلص بفضل الله تعلى من الخلود في النيران وان كثيرا من المحققين انكر وجوده لاهل السنة وبعضهم ينقله عن ابي هاشم من المعتزلة والقول بان المقلد مؤمن ولا يعصي الا اذا كانت فيه اهلية لفهم النظر هو المصحح عند المصنف رحمه الله ونفعنا به في شرح صغرى الصغرى (الى) معرفة (النظر الصحيح) النظر لغة الابصار والفكر واصطلاحا ترتيب امور معلومة ليتوصل بها اي بترتيبها الى مجهول

اي الى علمه كترتيب الصغرى مع الكبرى في قولنا العالم متغير وكل متغير حادث فانه موصل للعلم بحدوث العالم المجهول قبل ذلك الترتيب « وبالجملة » فالمراد في قول المصنف رحمه الله بالنظر الصحيح التامل الذي يطلع صاحبه على الوجه الذي بينه وبين المدلول ربط عقلي والنظر الفاسد هو التامل الذي لا يطلع صاحبه على ذلك « مثال » ذلك التامل في العالم بقصد التوصل الي معرفة حدوثه فتارة يكون غاية مايصل اليه الناظر بتامله ان العالم اجرام موجودة تتصف بصفات ويعمى عما وراء ذلك فلا خفاء ان نظر هذا فاسد لا يوصله الى شيء اذلا ملازمة بين كون الشيء موجودا يتصف بصفات وبين كونه قديما او حادثا وتارة ينشرح صدره بان يعرف انه اجرام ملازمة لصفات حادثة يستحيل ثبوتها في الازل كالحركة والسكون ونحوهما بدليل انها لوكانت في الازل لما قبلت التغير لاستحالة التغير على القديم واذا كانت صفات الاجرام القابلة لها مستحيلة الوجود في الازل كانت الاجرام كذلك مستحيلة الوجود في الازل والعالم منحصر في الاجرام والصفات التي تقوم بها وقد بانت استحالة ثبوتها في الازل فالعالم اذا مستحيل الثبوت في الازل وهو المطلوب فالنظر على هذا النحو هو المسمى بالنظر الصحيح وهذا النظر الصحيح والعلم الذي يحصل عنه كلاهما مخلوق لله تعلى بلا واسطة لا اثر لاحدها في الاخر ولا لقدرة العبد في شيء منها ثم وقع الاختلاف بعد ذلك في وجه الربط بينهما فذهب الاشعري الى ان حصول العلم عقب النظر المكتسب للناظر عادى قد يتخلف عنه الاخر بالعادة كتخلف الاحراق عن مماسة النار وذهب الرازي الى انه عقلي ضروري فلا ينفك عنه اصلا كوجود الجوهر لوجود العرض فعلى الاول المشهور يكون مكتسبا للناظر وهو راي الجمهور لان حصوله عن نظره المكتسب له وعلى الثاني لا يكون كذلك لان حصوله اضطراري لا قدرة له على دفعه ولا الانفكاك عنه وذهب المعتزلة الى ان النظر يولد العلم كتوليد حركة اليد لحركة المفتاح عندهم وذهب الفلاسفة الى ان النظر وحده علة مستقلة لوجود العلم والرد على هذين المذهبين الفاسدين اسناد الكائنات كلها الى الله تعلى ابتداء بلا واسطة ثم بعد هذا الكلام اختلف العلماء رضي الله عنهم في اول واجب على المكلف على سبعة اقوال « الاول » منها المعرفة اذ هي اصل المعارف الدينية وعليها يتفرع كل واجب وهو قول الشيخ الاشعري امام اهل السنة الذي بنيت هذه العقيدة على مختاره « الثاني » النظر الموصل اليها لانه

واجب وهو قبلها وهو قول الاستاذ الاسفرايني « الثالث » اول جزء من النظر لانه السابق في الوجود على ما بعده وهو قول القاضي الباقلاني « الرابع » القصد الى النظر الصحيح لتوقف النظر على قصده بمعنى تفريغ القلب عن الشواغل وهو قول امام الحرمين ويعزى للقاضي ايضا « الخامس » التقليد لسهولته وقرب ماخذه وهو قول الجماعة المبتدعة كما نقله الشيخ عن ابن العربي في شرحه لذات البراهين « السادس » النطق بالشهادتين وهو قول لبعض اهل السنة « السابع » الشك وهو قول ابي هاشم في طائفة من المعتزلة وردت هذه الاقوال كلها ولم يبق منها إلّا الاول « وبيان » ردها ان الشك في الالوهية كفر تطلب ازالته فلا يكون مطلوب الحصول للتناقض ولا سيما على اصل صاحبه الفاسد من ان كفر المنعم قبيح لذاته « وبيان » رد الثاني ان يقال ان ايجاب النطق بهما ان كان مع وجود ما يضاد مدلولهما في القلب من شك ونحوه فهو ايجاب للنفاق وان كان بعد تفريغ القلب من ذلك فاول الواجبات هو الجزم بما في القلب بعد تفريغه لا نفس النطق « وبيان » رد الثالث ان يقال ان المعرفة الواجبة لاتحصل بالتقليد لانه ليس معرفة ولا علما « وبيان » رد الرابع ان يقال لايختص القصد بالواجبات اذ كل متوجه اليه لا بد من التفرغ له من الشواغل العائقة عنه « وبيان » رد الخامس ان يقال ان الجزء لا يستقل بالمفهومية ألا ترى ان صيام نصف يوم او ثلثه لا يصح كذلك معرفة اول جزء لا يصح « وبيان » رد السادس ان يقال هذا النظر لا يخلو اما ان يكون هو اول الواجبات مع قطع النظر عن النية الصحيحة او لا الثاني باطل والمقدم في البطلان مثله لتداخله مع الاول لان النية هي القصد ولم يصح على هذا إلا الاول وهو المعرفة وهو المشهور لقوله تبارك وتعلى وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون قال ابن عباس رضي الله عنه إلا ليعرفون (المجمع) المتفق (على ايمان صاحبه) اي صاحب النظر الصحيح ولا خلاف في ذلك بين ائمة المسلمين « فان قلت » هل تفتقر معرفة الله الى نية « فالجواب » كما قاله البرهان اللقاني عن بعضهم ان معرفة الله لا تفتقر لنية بل لا يمكن توقفها عليها لان النية قصد المنوي وانما يقصد العاقل ما يعرف فيلزم ان يكون عارفا قبل المعرفة وهو محال ورده بعضهم بما حاصله انه ان كان المراد بها الحاصلة من النظر في الدليل فلا لان كل ذي عقل يشعر بان له من يدبره فاذا اخذ في النظر في الدليل ليتحققه لم تكن النية حينئذ محالا انتهى (وذلك) اي معرفة الجمل الذي يخرج المكلف

بفهمها ان شاء الله تعلى من التقليد المختلف في ايمان صاحبه الى النظر الصحيح المجمع على ايمان صاحبه (بان) حرف مصدرى ونصب والجار يتعلق بكون (تعلم) يعني تعرف وتجزم وتتيقن وعبر بتعلم ولم يعبر بتعرف لكون متعلق العلم هنا مركبا لا مفردا وهو المهم بانحصار الحكم في الاقسام الثلاثة والمعرفة متعلقها مفردا يقال عرفت الله وعرفت زيدا مثلا ولا يقال علمت الله وعلمت زيدا مثلا في ذاته ولذلك يقول النحويون ان علم اذا كانت بمعنى عرف تعدت الى مفعول واحد وهو مفرد وان كانت على بابها تعدت الى مفعولين كقولك علمت زيدا راكبا وقائما وهما مفعولان احدهما محكوم عليه وهو زيد والاخر محكوم به وهو الركوب او القيام وهذا تركيب من المحكوم به والمحكوم عليه والنسبة التي بينهما وادراك طرفي النسبة هو الحكم عند الامام مع تصور الطرفين وهما المحكوم به والمحكوم عليه ووقعت المغايرة بين التعبير بالمعرفة والعلم في خطبة نسبت للنبي صلى الله عليه وسلم بتغاير متعلقهما حيث قال ألا وان اعقل الناس عبد عرف ربه فاطاعه وعرف عدوه فعصاه وعلم دار اقامته فاصلحها وعلم سرعة رحلته فتزود لها فلفظ الرب في كلامه مفرد وكذا العدو وعبر عما تعلق بهما بالمعرفة وحكم على الاخرة بانها دار اقامة وحكم على رحلته من الدنيا الى الاخرة بالسرعة وعبر عما تعلق بالحكم الذي هو مركب بالعلم « وحقيقة » العلم الحادث هو عبارة عن حصول صورة الشيء في العقل وهو على قسمين تصور وتصديق فالتصور ادراك لماهية من غير ان تحكم عليها بنفي او اثبات كتصورنا لمعنى العالم انه كل موجود سوى الله تعلى والتصديق ادراك الماهية مع حكمك عليها بالنفي او الاثبات كحكمنا على العالم بانه حادث وصانعه قديم لا اول له ولا اخر « ولما » كان مباحث علم الكلام تتوقف وتدور على هذه القواعد الثلاثة وهي الوجوب والاستحالة والجواز سبقها عليها في الذكر فقال وكذلك بان تعلم (اولا) واصل اول على اصح اوءل على وزن افعل فقلبت الهمزة الثانية واوا ثم ادغمت الواو في الواو لاجتماع المثلين وله استعمالان احدهما ان يكون اسما بمعنى قبل وسابق فيكون منصرفا منونا ومنه قولهم اولا وءاخرا والثاني ان يكون صفة فيكون افعل تفضيل معناه الاسبق فيكون غير منصرف للوصف ووزن الفعل قاله العلامة سيدي خالد رحمه الله (ان) بفتح الهمزة وفتح النون المشددة وهي لتحقيق مضمون الجملة وهي حرف مصدري تؤول مع اسمها وخبرها بمصدر واكد الحكم بان نفي لما قد يتوهم من عدم انحصاره فيما

ذكر او تنزيلا للمخاطب منزلة الشاك في الانحصار فاكده على سبيل الاستحسان من غير وجوب او تنزيلا له منزلة المنكر لهذا الانحصار فاكده على سبيل الوجوب « فان قلت » لاي شيء قال ان بالفتح دون العكس « فالجواب » لان ان المكسورة انما تكون في صدر الكلام بخلاف المفتوحة فلما كان هنا واقعة بعد العلم قريء بالفتح (الحكم) مفرد احكام بفتح الهمزة وحقيقة الحكم على الاطلاق هو اثبات امر لامر او نفيه والحكم مصدر يستدعي حاكما و محكوما به ومحكوما عليه ونسبة حكمية والحاكم بذلك اما الشرع او العادة ولهذا انقسم الحكم او ثلاثة اقسام شرعي وعادي وعقلي (فالشرعي) هو خطاب الله تعلى المتعلق بافعال المكلفين بالطلب او الاباحة او الوضع لهما ويدخل في الطلب اربعة اشياء الايجاب والندب والتحريم والكراهة « فالايجاب » طلب الفعل طلبا جازما كالايمان بالله ورسوله وكقواعد الاسلام الخمس « والندب » طلب الفعل طلبا غير جازم كصلاة الفجر ونحوها « والتحريم » طلب الكف عن الفعل طلبا جازما كشرب الخمر والزنا « والكراهة » طلب الكف طلبا غير جازم كقراءة القرءان في الركوع والسجود مثلا « واما » الاباحة فهي التخيير بين الفعل والترك من غير ترجيح لاحدهما على الاخر كالنكاح والبيع والشراء وما اشبه ذلك « واما » الوضع لهما يعني للطلب والاباحة فهو عبارة عن نصب الشرع امارة على حكم من تلك الاحكام الخمسة وهي السبب والشرط والمانع « فالسبب » لغة الحبل وعليه قوله تعلى من كان يظن ان لن ينصره الله فليمدد بسبب الى السماء يعني بحبل واصطلاحا هو ما يلزم من وجوده الوجود ومن عدمه العدم لذاته كزوال الشمس لوجوب الظهر « والشرط » لغة العلامة وعليه قوله تعلى فقد جا اشراطها علاماتها واصطلاحا هو ما يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم لذاته كتمام الحول لوجوب الزكاة « والمانع » لغة الحد واصطلاحا ما يلزم من وجوده العدم ولا يلزم من عدمه وجود ولا عدم لذاته كالحيض لوجوب الصلاة هذا وقد تقدم ان الحكم مصدر يستدعي حاكما ومحكوما به ومحكوما عليه ونسبة حكمية والحاكم بذلك اما الشرع او العادة او العقل وقد تقدم ذلك والمحكوم به هو الوصف مطلقا والمحكوم عليه هو الذات مطلقا والنسبة الحكمية هو الارتباط ما بين المحكوم والمحكوم عليه مثاله في الشرع الصلاة واجبة فالحاكم الشرع والمحكوم به الوصف وهو الوجوب والمحكوم عليه ذات الصلاة واجبة والنسبة الحكمية هو الارتباط بين المحكوم به وهو الوجوب والمحكوم

عليه وهو ذات الصلاة « ومثاله » في العادة النار محرقة فالحاكم العادة والمحكوم به الوصف وهو الحرارة والمحكوم عليه ذات النار محرقة والنسبة الارتباط « ومثاله » في العقل العالم حادث فالحاكم العقل والمحكوم به الوصف الذي هو الحدوث والمحكوم عليه ذات العالم حادث والنسبة الارتباط فاعرفه « واما » الحكم العادي فحقيقته اثبات الربط بين امر وامر وجودا او عدما بواسطة التكرر مع صحة التخلف وعدم تاثير احدهما في الاخر البتة « وينقسم » الى اربعة اقسام « ربط » وجود بوجود كربط وجود الشبع بوجود الاكل « وربط » عدم بعدم كربط عدم التتبع بعدم الاكل وربط عدم بوجود كربط عدم الجوع بوجود الاكل « وربط » وجود بعدم كربط وجود الجوع بعدم الاكل « ومن » اراد استيفاء هذه المباحث والمطالب وما فيها من التدقيق والفوائد حتى ان مطلق الحكم الذي تقدم « قسمته » الى خمسة وثمانين قسما فلينظر في شرحنا على ذات البراهين فان فيه العجب العجاب * كاد ان لا يوجد مجموعا في كتاب * والله الموفق للصواب * والاعمال بالنيات واما بنعمة ربك فحدث التحدث بالنعم شكر (العقلي) اي المنسوب الى العقل خرج به الشرعي والعادي فانهما غير مقصودين بالذات وانما يذكران مع الحكم العقلي بحسب الانجرار وتتميما للفائدة وقد سبقت الاشارة اليهما والمقصود بالذات الان انما هو الحكم العقلي واشتقاقه من عقال البعير بجامع الرد وهو لغة المنع لمنعه صاحبه من العدول عن سواء السبيل واصطلاحا قال شيخ الاسلام الرازي هو غريزة يتهيأ بها لدرك العلوم النظرية وكانه نور يقذف في القلب ومحله القلب ونوره في الدماغ كما ذهب اليه الامامان مالك والشافعي رحمهما الله تعلى وجمهور المتكلمين وهذا الحد الذي ذكره شيخ الاسلام هو على القول بعرضيته واما على القول بجوهريته فهو جوهر لطيف تدرك به الغايات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة واضاف الحكم هنا الى العقل دون غيره من سائر الاحكام مع انها لا تدرك إلّا بالعقل لان مجرد العقل كاف في ادراكه اما مع فكرة ويسمى نظريا او دون فكرة ويسمى ضروريا ولان هذه العقائد جلها طريقها العقل وذلك انها « تنسقم » الى اربعة اقسام قسم لا يصح اثباته إلّا بدليل العقل وهو كل ما تتوقف عليه دلالة المعجزة كوجوده تعلى قدمه وبقائه ومخالفته للحوادث وقيامه بنفسه وقدرته وارادته وعلمه وحياته « وقسم » اختلف فيه هل العقل اقوى او النقل وهي الوحدانية « وقسم » يصح اثباته بالنقل والعقل ولكن النقل فيه اقوى وهو السمع والبصر والكلام « وقسم »

لا طريق له إلّا النقل كاحوال الآخرة جملة وتفصيلا « وحقيقة » الحكم العقلي هو اثبات امر ونفيه من غير توقف على تكرر ولا وضع واضع فاثبات امر او نفيه من غير توقف على تكرر فصل يخرج به الحكم العادي ولا وضع واضع فصل ثان يخرج الحكم الشرعي « لطيفة » قيل العقل الف جزء في جميع الخلق جزء واحد والباقي للمصطفى محمد صلى الله عليه وسلم ولهذا قال بعض العارفين ان الله تبارك وتعلى كلف نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بما كلف به جميع الخلق فاعرف ذلك « ولما » كان الحكم لا بد له من الانقسام اشار المصنف رحمه الله تعلى الى تقسيمه بقوله (منحصر) اي الحكم العقلي بمعنى المحكوم به وكثيرا ما يطلقون الحكم بذلك المعنى حتى قال بعضهم انه يطلق بطريق الاشتراك عليه فيكون في كلام المصنف رحمه الله تعلى استخدام وحينئذ فلا يحتاج الى تكلف في عبارة المصنف نفعنا الله به وانما قال منحصر ولم يقل منقسم لان الحصر اخص والانقسام اعم تقول كل منحصر منقسم كالواجب والجائز والمستحيل وليس كل منقسم منحصرا كصفات الله تبارك وتعلى (في ثلاثة اقسام) لا رابع لها من حصر الكل في اجزائه لا من حصر الكلي في جزئياته لعدم صدق المنقسم على واحد بانفراده ويصح الى جزئياته بناء على تقدير مضاف في الكلام بل يتعين لوجود ضابطه الذي هو صدق المنقسم على كل من الاقسام ألا ترى انه يصح ان يقال اثبات الوجوب او اثبات الاستحالة او اثبات الجواز حكم عقلي ويصح ان يقال الوجوب او الاستحالة او الجواز متعلق الحكم العقلي « ووجه » الحصر في الثلاثة ان كل ما يحكم به العقل اما ان يقبل الثبوت فقط فهو الواجب او يقبل النفي فقط فهو المستحيل او يقبلهما معا فهو الجائز واقسام جمع قسم بكسر القاف نحو حمل واحمال وقرب واقراب ويبدل بدل مفصل من مجمل ويتميز الاول (الوجوب) وهو عبارة عن نفي قبول العدم في العقل ويبدل ايضا ويتميز الثاني (الاستحالة) وهي عبارة عن نفي قبول الوجود في العقل ويبدل ايضا ويتميز الثالث (الجواز) وهو عبارة عن قبولهما معا او نفيهما معا وتقرأ بالرفع على انها خبر لمبتدا محذوف اي هي وبالنصب على تقدير اعني وبالخفض على البدلية على ما تقدم (وعلى) هذه (الثلاثة) يعني الوجوب والاستحالة والجواز (مدار) يدور عليها (علم الكلام) لا شك ان تصور هذه الثلاثة ومعرفة حقائقها من مبادي علم الكلام اذ غرض المتكلم منحصر في هذه الثلاثة بان يثبت شيئا منها او ينفيه او يثبت

ما يتفرع من ذلك فمن لم يعرف حقائق هذه الاحكام الثلاثة لم يفهم ما اثبت منها في هذا العلم ولا ما نفى وذلك ان البحث في مسائل هذا الفن يتوقف على معرفة اقسام الحكم العقلي وذلك هوَ المسمى عند الاصوليين باستمداده فاستمداد هـذا العلم اذا هو معرفة اقسام الحكم العقلي التي هي الوجوب والاستحالة والجواز لان المتكلم يثبتها مرة وينفيها اخرى كقوله يجب لله تعلى ثبوت الصفات زائدة على الذات ويستحيل ان يكون معه مؤثر في فعل ما ولا يجب عليه صلاح البرية ولا يستحيل عليه عقاب المطيع ولا يجوز ان يقع ما لا يريد الى غير ذلك وقد علمت ان الحكم يستدعي تصور المحمول والموضوع والنسبة وهذه الاقسام الثلاثة اعني اقسام الحكم العقلي قد وقعت محمولات لمسائل هذا العلم فلابد من معرفتها اولا ولهذا كانت معرفة الاحكام العقلية استمداد هذا العلم ثم توقفه عليها واستمداده منها من حيث تصورها لا من حيث اثباتها لموضوعاتها او نفيها عنها لان ذلك فائدة العلم فيتاخر حصوله عنه فلو توقف عليه كان دورا وهـذا كما تقول في اصول الفقه انه يستمد من الاحكام الشرعية لان المراد في الاصول اثباتها او نفيها «مثال» ذلك اذا قلنا الامر للوجوب وتقول في فائدته وهو الفقه زكاة الفطر واجبة والوتر ليس بواجب والمراد تصورها لا العلم باثباتها او نفيها وإلّا جاء الدوز وهو محال فاعرفه «واعلم» انه ينبغي ان نقدم قبل ابانة كلامه تعريف امور لا بد منها لمن اراد الشروع في هـذا الفن «الاول» من الامور في اسم هذا الفن من العلوم اعلم انه له خمسة اسماء علم اصول الدين وعلم الكلام وعلم التوحيد وعلم العقائد وعلم التصوف فتسميته بالاول فلان ما عداه فروع عنه ومبنية عليه وتسميته بالثاني فلكثرة الكلام فيه وتسميته بالثالث فلاشتماله على الوحدة وتسميته بالرابع فلاشتماله على عقائد الدين وتسميته بالخامس فلاشتماله على معرفة الرب جل جلاله وصفاء القلب للوصول الى حضرة القدس «الثاني» حد هذا العلم فحده هو العلم المتعلق بذات الله وصفاته وحد ابن عرفة لما هو اعم الشامل لعلم الكلام فقال هو العلم باحكام الالوهية وارسال الرسل وصدقها في جميع اخبارها وما يتوقف على شيء من ذلك بقوة مظنة لرد الشكوك وحل الشبهات «الثالث» واضع هذا العلم فواضعه الامام ابو الحسن الاشعري المتكلم شيخ اهل السنة رضي الله عنه «الرابع» موضوع هذا العلم فموضوعه ذات الله الازلية وقيل ماهية الممكنات من حيث دلالتها على وجوب وجود فاعلها «الخامس» فائدة هذا العلم ففائدته

الخروج من الجهل الى العلم « السادس » غاية هذا العلم فغايته اقامة البراهين على العقائد « السابع » ثمرة هذا العلم فثمرته الفوز بحصول المعرفة والتنعيم في الجنة برحمة الله « الثامن » استنباط هذا العلم فاستنباطه من الكتاب والسنة والاجماع « التاسع » مسائل هذا العلم فمسائله القضايا النظرية الشرعية الاعتقادية « العاشر » مفهوم هذا العلم فمفهومه اثبات ذات غير مشبهة بالذوات ولا معطلة عن الصفات « الحادي عشر » منفعة هذا العلم فمنفعته في الدنيا والاخرة ففي الدنيا انتظام امر المعاش بالمحافظة على العدل والمعاملة التي يحتاج اليها في بقاء النوع الانساني على وجه لا يؤدي الى الفساد وفي الاخرة النجاة من العذاب المرتب على الكفر وسوء الاعتقاد « الثاني عشر » مبادي هذا العلم فمباديه القواطع العقلية « الثالث عشر » استمداد هذا العلم فاستمداده من التفسير والفقه والحديث والاجماع ونظر العقل « الرابع عشر » اشتقاق هذا العلم فاشتقاقه من الكلم وهو الجرح « الخامس عشر » شرط هذا العلم فشرطه ان يكون عن يقين لا عن شك « فهذه » فواكه المعارف يقطف منها العارف فاحفظها يا عارف قل ان تجدها هكذا مجموعة في كتاب والله الهادي للصواب « ولما » كان تعريف الواجب والمستحيل والجائز يستلزم الوجوب والاستحالة والجواز لانها اخص ومعرفة الاخص تستلزم معرفة الاعم اشار الى ذلك بقوله (فالواجب) الفاء فصيحة وال للعهد و (ما) معلوم او مفهوم او مذكور و (لا) نافية و (يتصور) اي لا يحصل (في العقل) يتعلق بقوله لا يتصور صورة (عدمه) اي ذلك المعلوم او المفهوم او المذكور اي ما صدقاته اي افراده في العقل بل ليس الحاصل في العقل إلّا وجود تلك الماصدوقات لذلك المفهوم وعدمه معناه انه لا يتصور إلّا وجوده فظاهره ان كل واجب موجود وليس كذلك بل ثم شيء واجب لله تعلى وليس بموجود وهي الصفات المعنوية والسلبية فعلى هذا لا يقدر ما ذكر لخروج هذه الصفات الواجبة لله تعلى وانما يقدر ما لا يتصور في العقل إلّا ثبوته فيكون ذلك شاملا لجميع ما يجب في حقه جل ثناؤه او ان الطالب حين ايرادها يقول اشتراط كون الحد جامعا مانعا غير متفق عليه فقد جوز بعضهم كونه غير جامع بان يكون اخص خصوصا في التعاريف اللفظية التي منها هذا التعريف « فان قلت » لم لا يجوز ان تكون ما في قول المصنف رحمه الله تعلى ما لا يتصور في العقل واقعة على موجود او شيء وحينئذ فلا ترد عليه السلوب اذ هي ليست بموجود ولا شيء

ويكون التعريف قاصرا على واجب الوجود لذاته وهو الله سبحانه اذ لا واجب بالذات إلا هو وعلى صفاته الذاتية سواء قلنا انها واجبة الوجود لذاتها كما وقع في عبارة بعضهم واليه يميل الشيخ رحمه الله او لموضوعها كما هو للامام الرازي « فالجواب » يجوز ذلك ولا مانع من ذلك * ولما كان الواجب ينقسم الى قسمين ضروري ونظري وان الضروري ما يدركه العقل بلا تامل اشار اليه ممثلا له بقوله (كالتحيز مثلا للجرم) وهو اخذه قدر ذاته من الفراغ بحيث يسكن فيه او يتحرك ويمنع غيره ان يحل محله فان وجوب هذا المعنى له ضروري للعقل لا يفتقر الى تامل والنظري ما يدركه العقل بعد التامل كوجوب القدم لمولانا جل وعز مثلا فان وجوب هذا المعنى له انما يدركه العقل بالتامل « والفرق » بين الحيز والتحيز والمتحيز فالحيز نفس الفراغ من الخلا والتحيز كون الجرم اخذ قدرا من الفراغ والمتحيز هو الممانعة بحيث ان الجرم منع غيره ان يحل حيث حل هو وهذا في الاجرام الكثيفة « واما » الاجرام الشفافة كالارواح والملائكة والجن والسحاب والريح والماء فلا ممانعة بينهما بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ان لله ملكا ملا ثلث الكون ولله ملكا ملا ثلثي الكون ولله ملكا ملا الكون كله فعلم من هذا انها تتداخل فاعرفه « ولما » فرغ من تعريف الواجب شرع يذكر في تعريف المستحيل فقال (والمستحيل) اسم فاعل من استحال عقلا من الاحالة التي هي عدم قابلية الوجود والسين والتاء فيه للطلب اي طلب الشارع من المكلف نفي الشريك عن الباري عز اسمه والواو فيه يصح ان تكون عاطفة ويصح ان تكون للاستئناف و (ما) اي مفهوم او مذكور او ممتنع بقرينة مقابلته بالواجب وهي بمنزلة الجنس فيشمل الممتنع بالغير وما بعدها بمنزلة الفصل مخرج له و (لا) نافية (يتصور) اي لا يدرك والادراك وصول الشيء الى المعنى بتمامه (في العقل) على ما هو الظاهر من بناء يتصور للمجهول او لا يمكن (وجوده) اي ثبوته على انه مبني للمعلوم والضمير في وجوده يرجع الى ما باعتبار الماصدق لا المفهوم الذهني كما يتبادر الى فهم بعض الطلبة النقلة ويدلك على ما قلناه قول المولى سعد الدين في حاشية العضد ما نصه : وحاصل معنى قولنا اجتماع النقيضين ممتنع ان المعنى الحاصل في الذهن من هذا اللفظ ممتنع ان يوجد في الخارج فرد يطابقه انتهى كلامه رحمه الله « ولما » كان المستحيل ينقسم الى قسمين كما انقسم الواجب اليهما ضروري ونظري وان الضروري ما يدركه العقل بلا تامل اشار اليه ممثلا له بقوله

(كعرو الجرم مثلا عن الحركة والسكون) اي تجرده عنهما بحيث لا يتصف بواحد منهما فانه لا يخفى ان الحكم باستحالة هذا العرو ضروري للعقل اذ الجرم معناه الذي له حيز اي قدر من الفراغ فهو اما ان يثبت فيه فيكون ساكنا او ينقل عنه فيكون متحركا وكونه لا يثبت في حيزه ولا ينتقل عنه مستحيل ضرورة وهذا معنى قولهم الحركة كونان في ءانين في مكانين والسكون كونان في ءانين في مكان واحد وعلى كل من التفسيرين لا يكون الجرم في اول حدوثه متحركا ولا ساكنا فاعرفه . والمستحيل النظري وهو ما يدركه العقل بعد التامل ككون الذات العلية جرما تعالت فان استحالة كون الذات العلية جرما تعالت لا يدرك إلّا بعد النظر والتامل « ولما » فرغ من تعريف المستحيل شرع في ذكر تعريف الجائز فقال (والجائز) اسم فاعل من جاز وجوده اذا امكن وهو بهمزة مخففة مبدلة من واو اذ اصل ماضيه جوز لانه من الجواز وتقرر في التصريف في ابدال الهمزة من الواو ومن الياء في الفاعل مما اعل عينا (ما) بمنزلة الجنس واقعة على معلوم اومفهوم ولا ينبغي ان تكون على شيء لان الشيء في اصطلاح المتكلمين هو الموجود فيقتضي ان المعدوم لا يتصف بالامكان والجائز قد يكون معدوما ويتصف بالامكان الذي هو الجواز « نعم » الشيء لغة يطلق على الموجود والمعدوم قال تعالى انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون (يصح) هو بكسر الصاد كشح يشح وعبر بالصحة في الجائز دون التصور لان التصور يطلق على الاقسام الثلاثة والصحة خاصة بالجائز والواجب فتقول في ذلك كل ما يصح بتصور الواجب والجائز وليس كل ما يتصور يصح كالمستحيل فانه يتصور في الذهن ولا يصح في الخارج (في العقل) المتبادر منه تعلقه بيصح وقيد الصحة بالعقل ليدخل نحو تعذيب المطيع ولو ملكا او ما هو افضل منه قال الله تعالى يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء لان العقل هو الذي يحكم بصحته ضرورة انه لا يلزم من فرض وجوده محال والشرع لا يصحح ذلك لانه انما اخبر بتنعيمه على سبيل التفضيل (وجوده) اي وجود افراده بمنزلة الفصل خرج به المحال فانه لا يصح وجود افراده كالشريك والولد والنقائص كما تقدم (وعدمه) اي عدم افراده كذواتنا وصفاتنا الوجودية والنفسية والسلبية والمعنوية خرج به ايضا الواجب فانه لا يصح عدم افراده كذات الله تعالى وصفاته الوجودية والنفسية والسلبية والمعنوية بل هي واجبة الوجود لنفسها او لموضوعها « ولما » كان الجائز ينقسم الى قسمين ايضا ضروري ونظري وان

الضروري ما يدركه العقل بلا تامل اشار اليه ممثلا بقوله (كموت الواحد منا اليوم او غدا) لا شك في ذكر ما ذكر بالمشاهدة فان العقل يدرك هذا المعنى من غير تامل ولا نظر احيانا الله تعلى على الايمان والاسلام والاحسان واماتنا الله كذلك بجاه محمد صلى الله عليه وسلم واسمه الرحيم الرحمن هذا الضروري . والنظري ما يدركه العقل بعد التامل كتعذيب المطيع الذي لم يعص الله تعلى طرفة عين قط فان العقل يحكم بصحة هذا المعنى لكن بعد التامل والنظر. واما الشرع فلا يصحح ذلك لانه انما اخبر بتنعيمه على سبيل التفضيل كما تقدم فقد اتضح لك ان هذه الاقسام الثلاثة ينقسم كل واحد منها الى قسمين ضروري ونظري وبحسب ذلك كان مجموع اقسامها ستة من ضرب ثلاثة في اثنين وقد اقتصر في العقيدة على ان مثل لكل واحد من الاقسام الثلاثة بالضروري من قسميه طلبا للايضاح لئلا يتشعب بالتمثيل ما لا يدرك العقل حكمه إلا بعد التامل وانما تعرض المصنف رحمه الله تعلى ونفعنا به في اصل العقيدة لشرح الواجب والمستحيل والجائز دون الوجوب والاستحالة والجواز لاستلزام تصورها تصور مصادرها لان المشتق اخص من مصدره المشتق منه ومعرفة الاخص تستلزم معرفة الاعم بخلاف العكس وحكمة تقديم الواجب لشرفه وعقبه بالمستحيل لانه ضده يفهم منه واخر الجائز لانه شبه مركب منهما (واعلم) ان تقسيم هذه الاقسام الثلاثة الى ضروري ونظري هو بحسب اجراء الله العادة بان العلوم بعضها ضروريا وبعضها نظريا ويجوز بالاجماع ان يصير كلها ضرورية وانما الخلاف في عكسه فمن جعل العقل هو العلوم الضرورية او ملزوما لها منع ان تكون كلها نظرية ومن قال ان العقل ليس نفس العلوم الضرورية ولا ملزوما لها جوز « واعلم » ان هذه الثلاثة الاقسام هي نفس العقل عند امام الحرمين وجماعة فمن لم يعرفها فليس بعاقل بدليل ان الانسان اذا اوصى بثلث ماله للعقلاء فانه يصرف لمن عرف هذه الثلاثة « واعلم » ان الحركة والسكون يصح التمثيل بهما للاقسام الثلاثة فالواجب ثبوت احدهما لا بعينه والمستحيل نفيهما واجتماعهما في محل واحد والجائز ثبوت احدهما بالخصوص « خاتمة » ونسئل الله تعلى حسنها من المقرر عندهم ان الوجوب والامكان والامتناع اعتبارات عقلية وليست من قبيل الجوهر ولا من قبيل العرض « فان قلت » اذا كانت هذه الامور اعتبارات عقلية معدومة في الخارج فما معنى قولنا الله واجب وقديم وزيد ممكن حادث في الخارج واجتماع النقيضين ممتنع في الخارج « فالجواب » كما قاله بعض المحققين معناه

ان العقل اذا نسبه تعلى الى الوجود الخارجي حصل له معقول هو الوجوب والقدم اذا نسب زيدا الى الوجود الخارجي حصل له معقول هو الامكان والحدوث واذا نسب اجتماع الضدين الى الوجود الخارجي حصل له معقول هو الاجتماع « ولما » فرغ من الكلام على مواد ما يدور عليه مباحث علم الكلام وهو الاقسام الثلاثة شرع الان في ذكر باب حدوث العالم واقامة البرهان القاطع عليه فقال (باب) الباب لغة المعروف واصطلاحا هو الموصل الى المقصود وهو قسمان حسي كباب المسجد مثلا ومعنوي كسائر ابواب الكتب وهو اسم لنوع يشتمل على اشخاص تسمى فصولا فان الباب قد يكون كذلك وقد لا يكون فان كثيرا من الابواب لم يذكر فيه هذا الباب وهو خبر لمبتدأ محذوف اي هذا باب (في) بيان (حدوث) اي وجود وطرو (العالم) بعد ان لم يكن والحدوث هو وجود الشيء بعد العدم والمراد بالعالم السماوات والارضون وما بينهما والعالم في الاصل قيل اسم لجميع المخلوقات ومنه حديث وهب بن منبه ان لله ثمانية عشر الف عالم الدنيا وما فيها عالم واحد وقيل اسم لما يعلم وهو الملائكة والثقلين اذ هو مشتق من العلم وقيل اسم لما يعلم به الله تعلى وقيل اهل كل عصر يسمى عالما ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لفاطمة رضي الله عنها وقد ذكرت عندها مريم تلك سيدة نساء عالمها وانت سيدة نساء العالمين « واعلم » ان مسئلة حدوث العالم لاتختص بالمسلمين بل اتفقوا هم وغيرهم كاليهود والنصارى واكثر الملل الكفرية ومتاخري الفلاسفة على حدوثه من عرشه لفرشه « فان قلت » ما المراد بالحوادث اليومية عند المتكلمين « فالجواب » المراد بها كالنباتات والمولودات والحياة والموت والآلام ونحوها فاعرفه (و) في بيان (اقامة) اي نصب (البرهان) اي الدليل (القاطع) صفة كاشفة لمعناه لا للتخصيص اذ لا يكون البرهان إلّا قاطعا (عليه) اي على حدوث العالم من عرشه الى فرشه « والبرهان » مشتق من البره الذي هو القطع تقول العرب برهت العود يعني اذا قطعته وقيل مشتق من البرهة الذي هو البياض تقول العرب امراة برها يعني بيضاء وقيل مشتق من البرهنة . وحقيقة البرهان هو ما تركب من مقدمتين قطعيتين لانتاج اليقين والبرهان اخص من الدليل لان البرهان لا يكون إلا عقليا بخلاف الدليل فانه يكون نقليا وعقليا « و » البرهان يقال فيه الدليل ونفس الدليل ووجه الدليل والوجه الذي يدل منه الدليل فالدليل العالم ونفس الدليل حدوثه ووجه الدليل افتقاره الى موجد اوجده والوجه الذي يدل منه الدليل استحالة

وجوده بدون موجد « واعلم » ان الاستدلال على اربعة اقسام الاول الاستدلال بالحوادث على القديم كالاستدلال بحدوث العالم على وجود الله تعلى « والثاني » الاستدلال بالحادث على الحادث كالاستدلال بحدوث الاعراض على حدوث الاجرام « والثالث » الاستدلال بالقديم على القديم كالاستدلال بقدم ذاته على قدم صفاته « والرابع » الاستدلال بالقديم على الحادث وهو مذهب الصوفية انتهى « ثم » شرع رحمه الله تعلى ونفعنا به يذكر ويفصل وجه حدوث العالم واقامة البرهان القطعي على حدوثه آتيا بالفاء الفصيحة فقال (فاذا عرفت هذا) يعني اذا اردت ان تعرف حدوث العالم واقامة البرهان القطعي عليه بعد معرفتك مواد ما يدور عليه مباحث علم الكلام (فاول ما) الذي (تبدأ به) اي تشرع فيه (من النظر في حدوث العالم) لتركبه من المقدمات اليقينية ولكونه كافيا في اكتساب العلوم التصديقية واليقين هو اعتقاد ان الشيء كذا مع اعتقاد انه لايكون إلا كذا مع مطابقته للواقع وامتناع تغييره ولوازم اليقين ثلاثة الجزم والمطابقة والثبات « و » اليقينيات ستة اقسام فانظرها وما يقابل البرهان وهو الجدل والخطابة والشعر والمغالطة في ايساغوجي والسلم وغيرهما ان شئت والعالم بالفتح (وهو ما سوى الله تعلى) ولا حاجة ان يزاد وسوى صفاته لان اسم الجلالة جامع للذات العلية وصفاتها وسمي بذلك لان الناظر فيه نظرا صحيحا يحصل له العلم بوجود الله تعلى وصفاته وهذا كما يسمى الطابع لما يطبع به والخاتم لما يختم به (فاذا نظرت فيه) اي امعنت نظرك في العالم ايها المكلف المخاطب بقطع العلائق المنافية له ومنها الكبر والحسد والبغض للعلماء الداعين الى الله سبحانه وتطهير القلب من هذه الاخلاق وهو اول هداية الله تعلى للعبد « واعلم » ان الوجه الذي يسهل عليك الانتفاع بالنظر في العالم ان تستحضر قبل النظر طلب التوحيد به في ذهنك وتنوي استفادة اليقين اوزيادته اذ لا شك ان النظر في العالم من سماوات وارضين وغيرهما يدل قطعا انها امور متنوعة وانحاء مختلفة مع جواز ان يكون على خلاف ذلك ثم يجب ان يكون مستنده في وجودها الى موجد لاستحالة ان يوجد ممكن لنفسه ثم يجب ان يكون هذا الموجد واجب القدم والبقاء واحدا في ذاته وصفاته وافعاله الخ ما سياتي فاعرفه « فان قلت » هل من شرط للنظر ام لا « فالجواب » نعم كما قاله شيخ شيخنا العلامة اللقاني يشترط للنظر مطلقا الحياة والعقل وعدم النوم وعدم الغفلة وعدم العلم بالمطلوب

اذ لا طلب مع الحصول وعدم الجهل المركب بالمطلوب بان لا يكون جازما بنقيضه لان ذلك يمنعه من الاقدام على الطلب والاربعة الاول شروط في العلم ايضا انتهى محل الحاجة (تجد) اي تعلم وتتحقق (جميعه) اي جميع العالم من سماوات وارضين وغيرهما كليات وجزئيات شوهد او لم يشاهد (اجراما) تشغل فراغا ولا فرق في ذلك بين الاجرام الكثيفة كالانسان والشجر والحجر والشفافة كالارواح والملائكة والجان (تقوم) اي تتصف وتنعت (بها) اي بالاجرام (اعراض) يعني صفات حادثة متجددة متعاقبة شيئا فشيئا الى فناء الاجرام ومعنى قيام الاعراض بالاجرام ان تحيزها تابع لتحيز الاجرام اذ لا تحيز لها استقلالا فاعرفه « وانما » قال اعراض ولم يقل صفات لان العرض حيث اطلق لا يكون الا حادثا بخلاف الصفات (من) بيانية (حركة) وهي انتقال الجرم من حيز الى حيز اخر (وسكون) وهو ثبوت الجرم في الحيز (وغيرهما) وهو الاجتماع والافتراق وما هو مرئي كالالوان ومما هو تعقل كالحياة والحواس الخمسة واضدادها وكل عرض في وقت يعقبه عرض ءاخر في الوقت الثاني اما مثله لتبقى صورته الحاصلة منه ومن مماثله حال بقاء صورته وهكذا واما ما يقرب منه نموا وتلاشيا واما ما يخالفه في حال انعدامها واقتصر المصنف رحمه الله تعلى على الحركة والسكون لان عدم انفكاك الجرم لهما ضروري للعقل ومعرفة حدوثهما مع وضوح ملازمتهما لكل جرم كافية في معرفة حدوث العالم كله « ثم » شرع يبرهن على حدوث العالم بقوله (فتقول) يا ايها المكلف المخاطب بذلك في (برهان) اي دليل (حدوثه) اي حدوث العالم وهو وجوده بعد ان لم يكن بمعنى انه كان مسبوقا بالعدم ثم وجد فتقول (لو كان جرم) اي جرم كان (من اجرام العالم) العلوية والسفلية فالعلوية وهو ما ارتفع لجهة فوق (كالسماء) والسفلية وهو ما انخفض لجهة تحت كالهوى والسحاب (والارض مثلا) وما فيها (موجودا) اي ثابت الوجود (في الازل) يعني القدم وهو ما ليس له اول ولا افتتاح بالعدم فانه (لم يخل) اي لم يعرو وجود الجرم من احوال ثلاثة وهي قوله رحمه الله ونفعنا به (اما) حرف تفصيل (ان يكون) اي الجرم (في الازل) في القدم (اما متحركا) يعني منتقلا من حيز الى حيز ءاخر (او ساكنا) يعني ثابتا في الحيز (اولا) يكون الجرم لا (متحيزا) يعني منتقلا من حيز الى حيز (ولا ساكنا) يعني ثابتا في الحيز (والاقسام الثلاثة) وهي كون الجرم متحركا او ساكنا ولا متحركا ولا ساكنا

(مستحيلة) يعني ممنوعة لا يتصور وجودها بوجه من الوجوه (على الجرم لا في الازل) اي القدم (فيكون وجود الجرم في الازل) على اي حالة فرضته وقدرته (مستحيلا) يعني ممتنعا وجوده (لانه) اي الجرم (لا يعقل) يعني لا يتصور (وجوده) يعني الجرم (عاريا) يعني خاليا مجردا (عن تلك الاقسام الثلاثة) يعني المتقدم ذكرها في التفصيل والتقسيم (اما . بفتح الهمزة وتشديد الميم كلمة فصل وافتتاح واخبار ايضا (بيان) اي ظهور واتضاح (استحالة) اي امتناع واحالة (القسم الثالث) وهو كون الجرم لا متحركا ولا ساكنا (فظاهر) الاستحالة ضرورة (لانه لا يعقل) يعني لا يتصور في العقل (جرم) يعني كثيف اوشفاف (في الازل) اي القدم ولا فيما يزال) يعني مقابله (ليس ثابتا) يعني مستقرا (في الحيز) يعني انه ساكنا (ولا منتقلا عنه) يعني انه متحرك والحيز هو القدر الذي اخذه الجرم من الفراغ فكانه يقول ليس ساكنا في القدر الذي اخذه من الفراغ ولا متحركا عنه « فان قلت » لاي شيء اقتصر المصنف رحمه الله تعلى على ذكر السماء والارض دون غيرهما من بقية الست سماوات والست ارضين والعرش والكرسي وغيرها « فالجواب » لانهما مشاهدان بالمعاينة والباقي بالاخبار وقد عرفت ان المشاهدة والمعاينة اقوى من الخبر ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ليس الخبر كالمعاينة « واعلم » ان الارض افضل من السماء والصحيح الذي عليه الجم الغفير من اهل السنة انها سبع طباق كالسماوات بدليل قوله تعلى الذي خلق سبع سماوات ومن الارض مثلهن وهو الذي تدل عليه الاحاديث والاثار ويجب اعتقاده كقوله صلى الله عليه وسلم من غصب قيد شبر من ارض طوقه الله من سبع ارضين يوم القيامة . ولما فرغ من ذكر القسم الثالث وهو كون الجرم لا متحركا ولا ساكنا شرع في بيان ذكر القسم الثاني وهو كون الجرم ساكنا في الازل فقال (واما) بفتح الهمزة كلمة فصل وافتتاح (ببيان) ظهور واتضاح (استحالة) اي امتناع (القسم الثاني) عني من الاقسام الثلاثة (وهو كون) يعني وجود وثبوت (الجرم ساكنا) يعني ثابتا ليس بمنتقل (في الازل) يعني القدم (فوجهه) يعني حكمه وتفصيله (انه) اي الجرم (لو كان كذلك) يعني ساكنا (لما قبل ان يتحرك) يعني ينتقل من حيز الى حيز آخر (ابدا) بوجه من الوجوه وانما لم يقبل ان ينتقل من حيز الى حيز آخر (لان سكون) اي ثبوته في الحيز (على هذا الفرض) يعني التقدير (قديم) اي لا اول له ولا افتتاح بالعدم لاستحالة

ذلك على القديم (والقديم لا يقبل العدم) لان ما ثبت قدمه استحال عدمه (اذ ، حرف تعليل (لو قبل) السكون (العدم) يعني الفناء (لاحتاج) يعني لافتقر واحتاج (وجوده) يعني السكون (الى مخصص) بكسر الصاد يعني الى فاعل يخترعه وانما عبر بالمخصص للتنبيه على سبب احتياج السكون الى الفاعل وهو ان ذاته لما قبلت الوجود والعدم فلو وقع الوجود بدلا من العدم من غير فاعل لكان تخصيصا من غير مخصص وهو ظاهر الاستحالة فلا بد اذا من فاعل يخصص وجود السكون بالحدوث بدلا عن العدم الذى يزاحم الوجود لقبول الذات له حسب قبولها الوجود وانما احتاج وجود السكون الى مخصص (لجوازه حينئذ) اي حين احتياجه الى مخصص وقد عرفت ان الجائز يصح في العقل وجوده وعدمه (فيكون) السكون (محدثا) بفتح الدال اي مخرجا من العدم الى الوجود يعني انه كان معدوما فوجد (و) الحالة (قد فرض) يعني قدر (قديما) يعني لا اول له (فهذا) التقدير للسكون تارة بالقدم وتارة بالحدوث (تناقض) يعني تخالف بالايجاب والسلب وذلك (لا يعقل) يعني لا يتصور في العقل بوجه من الوجوه لاستحالة ذلك قوله (ودليل قبول السكون للعدم) يعني الفناء (مشاهدتنا) يعني معاينتنا ولا بعد العيان بيان (الحركات في بعض الاجرام) احترز بذلك من بعض الاجرام التي لا يشاهد فيها حركة مثلا كالارض والسماء ونحو ذلك (وذلك) يعني مشاهدتنا الحركات في بعض الاجرام (يقتضي) يعني يستلزم ويحكم (بجواز الحركة على جميع الاجرام) اذ لا فرق بين ما شوهد فيه وما لم يشاهد (لتماثلها) وعدم تباينها « واعلم » ان هذه الجملة وهي قوله ودليل قبول السكون العدم الى آخره هي دليل الاستثنائية المشار اليها في قوله لو كان كذلك لما قبل ان يتحرك ابدا وهي قولنا لكنه يقبل ان يتحرك ينعدم سكونه فاستدل عليه بقوله ودليل قبول السكون العدم مشاهدتنا الحركات في بعض الاجرام وذلك يقتضي جواز الحركة على جميع الاجرام لتماثلها . ثم شرع يتكلم على القسم الاول وهو كون الجرم في الازل متحركا فقال (واما) بفتح الهمزة ايضا كلمة فصل وافتتاح (بيان) يعني ظهور واتضاح (استحالة) اي امتناع (القسم الاول) من الثلاثة المذكورة (وهو كون) يعني وجود (الجرم في الازل) يعني القدم وهو ما ليس له اول ولا افتتاح بوجه من الوجوه (متحركا) يعني منتقلا من حيز الى حيز آخر (فالوجه) يعني فالحكم والتفصيل (فيه) اي في القسم الاول (على نحو) اي مثل (ما) اي الذي (عرفت)

يعني علمت وتحققت (الان في استحالة) يعني امتناع (القسم الثاني) وهو كون الجرم ساكنا في الازل وبيان ذلك انه لو كان الجرم في الازل متحركا لما قبل ان يسكن ابدا لان حركته على هذا الفرض قديمة والقديم لا يقبل العدم اذ لو قبل العدم لاحتاج وجوده الى مخصص بجوازه حينئذ فتكون محدثة وقد فرضت قديمة فهذا تناقض لا يعقل ودليل قبول الحركة العدم مشاهدتنا السكنات في بعض الاجرام وذلك يقتضي جواز السكون على جميع الاجرام لتماثلها هذا معنى قوله فالوجه فيه على نحو ما عرفت الان في استحالة القسم الثاني فاعرفه . ثم قال (ويزيد هذا القسم) يعني الاول على القسم الثاني وهو كون الجرم ساكنا في الازل (بوجه) يعني بتفصيل وحكم (ءاخر من الاستحالة) اي من الامتناع (وهو) اي الوجه الاخر من الامتناع (ان حقيقة) يعني ذات وماهية (الحركة لا تعقل) يعني لا تتصور في العقل (قديمة) بحيث لا يكون لها اول (اذ) حرف تعليل (هي) اي الحركة (الانتقال) يعني التحويل (من حيز) يعني قدر يأخذه الجرم من الفراغ (الى حيز) يعني قدر ءاخر ياخذه ايضا كذلك (فهي) اي الحركة (اذا) بالتنوين (لا تكون) يعني الحركة المنتقلة من حيز الى حيز ءاخر (إلّا طارية) يعني حادثة بمعنى انها لم تكن ثم كانت فهي مسبوقة بالعدم ملحوقة به لاستحالة فهي مكتنفة بينهما حتما لازما بحيث لا تعقل إلّا كذلك والحمد لله وكذلك السكون بل كل من الحركة والسكون عرض والعرض لا يبقى زمانين بل بنفس وجوده ينعدم وانما لم ير في الجرم سكونا اذ انتقلت حركاته وبالعكس لانه تتوالى عليه الحركات اذ ذاك وتسترسل كجرية الماء فما ريء من حركة في الزمن الاول مسبوقة بالعدم وملحوقة به لاستحالة كالبياض في الابيض فهي اذا لا تكون إلّا طارية (على الجرم) حتما لازما (ولا بد) يعني حتما لازما بحيث لا يعقل الحركة إلّا كذلك (ان يتقدم على وجودها) يعني يسبقها (الكون) يعني الوجود للجرم (في الحيز المنتقل عنه) اي في القدر من الفراغ الذي انتقل عنه الجرم بالكون يعني الوجود مصدر كان التامة لا الناقصة (والقديم) الذي ليس له اول (لا يتصور) اي لا يتعقل ولا يدرك في العقل (ان يكون) يعني القديم (طاريا) يعني حادثا مسبوقا بالعدم (ولا) تصور ايضا (ان يتقدم) اى يسبق (على وجوده) يعني وجود القديم (غيره) يعني غير القديم كالحادث مثلا فلا قديم إلّا الله وصفاته المرفعة واسماؤه المقدسة فسبحان من لا اول له ولا ءاخر وحكم على

من سواه بالاول والاخر وبالاحتياج اليه كل وقت وحين فلا يتحركون ولا يسكنون ولا يتصرفون دنيا واخرى إلا به عز وجل وهو تبارك وتعلى غني عنهم وعن افعالهم فلا يتأنس سبحانه بوجودهم كما انه لا يتوحش بعدمهم فهو الله العظيم القديم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير (فقد) للتحقيق (خرج) يعني تحصل وثبت (بهذا البرهان) اي الدليل (القطعي) وصف كاشف كطائر يطير بجناحيه ونظرت بعيني وما اشبه ذلك فان البرهان لا يكون إلّا قطعيا (كون العالم) بفتح اللام (كله) كليات وجزئيات علويات وسفليات ما شوهد منه وما لم يشاهد (حادث) يعني مخرجا من العدم الى الوجود بمعنى انه لم يكن ثم كان فالحدوث لازم له لا ينفك عنه ولا يتصور بدونه فهو حلته وكسوته ولائق به حدوثه (من عرشه) اي من طرفه الاعلا (الى فرشه) اي الى طرفه الاسفل والمراد منه تعميم الحدوث لجميع اجزائه (لا يتصور) يعني لا يدرك (في العقل) بوجه من الوجوه ولا باعتبار من الاعتبارات البتة (ان يكون شيء) اي بعض او جزء (منه) اي من العالم (قديما) بعد ما اتضحت ملازمته للحركة والسكون للذين قام البرهان على استحالة وجودهما في الازل « واعلم » ان معرفة حدوث العالم اصل عظيم لمعرفة سائر العقائد وأس كبير لتحقيق ما تقدم او ياتي من الفوائد وهذا الدليل الذي سلكه المصنف قطعي مفيد للافهام وحاصله الاستدلال بحدوث احد المتلازمين على حدوث الاخر وهذا البرهان عندهم ينبني على سبعة اصول الاول اثبات زائد على الاجرام « الثاني » ابطال قيامه بنفسه « الثالث » ابطال انتقاله « الرابع » ابطال كمونه وظهوره « الخامس » استحالة عدم القديم « السادس » اثبات كون الاجرام لا تنفك عن ذلك الزائد « السابع » اثبات استحالة حوادث لا اول لها ودليلها باختصار اما الاول وهو اثبات زائد على الاجرام فهو ضروري لان كل عاقل يحس في ذاته معاني زائدة عليها واما الثاني وهو عدم قيامه بنفسه والثالث وهو عدم انتقاله فلانه لو قام العرض بنفسه او انتقل لادى الى قلب الحقائق فان الحركة مثلا هي انتقال الجوهر فلو انتقلت هي او قامت بنفسها لادى الى قلب الحقيقة وهو بين واما الرابع وهو الكمون والظهور فلانه يؤدي الى اجتماع الضدين لان الجرم اذا تحرك مثلا والسكون كامن فيه حالة حركته اجتمع ضدان في محل واحد واما الخامس وهو استحالة عدم القديم فلانه لو انعدم لكان وجوده جائزا والجائز لا يكون إلّا حادثا واما

السادس وهو عدم انفكاك الاجرام عن ذلك الزائد فهو ضروري لا يعقل كون الجرم منفكا عن كونه متحركا او ساكنا مثل واما السابع وهو استحالة حوادث لا اول لها فنقول : لما كان كل فرد منها حادثا في نفسه فعدم جميعها ثابت في الازل فهذه نبذة تحصل لك الغرض بتقريب . ووجه ابتناء حدوث العالم على هذه السبعة ان دليله راجع الى الاستدلال بحدوث احد المتلازمين على حدوث الاخر واحتجنا الى زائد على الذات وعلى حدوثه لنستدل به على حدوث ملازمه والى كون الاجرام لا تنفك عنه ليثبت التلازم حتى يلزم من حدوث احدهما حدوث الاخر واحتجنا الى اثبات استحالة حوادث لا اول لها لكن الاصل الثاني وهو حدوث الزائد ينبيء على ابطال الكمون والظهور وابطال قيام المعنى بنفسه وابطال انتقاله واثبات استحالة عدم القديم فهذه اربعة والثلاثة الاول المجموع سبعة وان اردت الزيادة على ما اختصرناه من شرح المصنف رحمه الله ونفعنا به فانظره فيه ولا بد فقد اجاد غاية وبين المسألة غاية البيان « فان قلت » ندعي ان من العالم موجودا ليس بجرم ولا عرض فما دليلكم على حدوثه « فالجواب » ان العالم منحصر في الجواهر والاعراض وليس إلّا ودليل حدوثه على تقدير وجوده انه لا يجوز ان يكون إلاها لبرهان الوحدانية واذا لم يكن إلاها فقد دلت السنة وانعقد الاجماع ان القديم واحد وهو الله وصفاته فلا جرم يكون حادثا « فائدة » الاستدلال بحدوث الجواهر قيل طريقة الخليل عليه الصلاة والسلام حيث قال لا احب الآفلين والاستدلال بالاعراض مقيسة الى محالها طريقة الكليم عليه الصلاة والسلام حيث قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى يعني اعطاه صورته الخاصه وشكله المعين . واما طريقة الحبيب عليه الصلاة والسلام فالشهود والعيان حيث اجتمع بالله بحضرة قاب قوسين حيث لا كيف ولا اين « خاتمة » نقل المصنف رحمه الله عن بعض الائمة ان من حقق حدوث العالم باصوله وعرف كيف يستدل به على وجود مولانا جل وعز وعرف منه ما يجب في حقه وما يستحيل وما يجوز فهو من الراسخين في العلم ومن يرفع في الجنان درجات عالية فله سبحانه الحمد والمنة على هذه النعمة انتهى . ولما ثبت حدوث العالم بما سبق من البرهان استدل به في هذا الباب الاتي على وجود محدثه فقال باب) اي هذا باب (في) بيان (اقامة) اي نصب (البرهان) اي الدليل (القاطع) وصف كاشف لان البرهان لا يكون

إلّا قاطعا ولهذا قال البرهان القاطع (على وجوب وجوده تعالى) وجوب الوجود هو الذي يكون وجوده في ذاته ولا يحتاج الى شيء اصلا لا في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله وليس معنى قوله من ذاته ان ذاته علة في وجوده كما هو هو ظاهر العبارة لاستلزامه تقدم الشيء على نفسه وهو محال فلا يقبل العدم لا ازلا ولا ابدا لوجوب افتقار العالم وكل جزء من اجزائه اليه تعالى وكل من وجب افتقار العالم اليه لا يكون وجوده إلّا واجبا ذاتيا لا جائزا وإلا لزم الدور او التسلسل وكلاهما محال (و) في (بيان برهان) اي دليل (احتياج) يعني افتقار (العالم) بفتح اللام (اليه) يعني الى الله (جل) اي اتصف بالرفعة التي لا يماثل وتنزه عما لا يليق به (وعز) اي انفرد بصفة الجلال او غلب لانه قاهر لجميع الاشياء (وقد) انقسمت مباحث هذا الفن ثلاثة اقسام الاهيات وهي المسائل المبحوث فيها عن الاله ونبويات وهي المسائل المبحوث فيها عن النبوءة واحوالها وسمعيات وهي المسائل التي لا تتلقى احكامها إلّا من السمع ولا تؤخذ إلّا من الوحي كما سياتي ان شاء الله تعالى « واعلم » ان جملة ما تعرض له هنا من صفاته عشرون صفة وهي ما انتهت الى ادراكه القوى البشرية وإلا فصفات كماله تعالى ونعوت جلاله مما يفوت العد ولا يحيط به الحد لكنا لسنا مكلفين بما لم ينصب عليه سبحانه دليلا يوصلنا اليه وهي اربعة اقسام نفسية وسلبية ومعاني ومعنوية وبدأ منها بالقسم الاول وهو الوجود لاتفاق القوم على تقديمه على غيره من الصفات لكونه الاصل لها اذ وجوب الواجبات له تعالى واستحالة ما ينزه عنه وجواز ما يجوز في حقه كالفرع عنه فتقديمه عليها يشبه تقديم التصور على التصديق وهو صفة نفسية على المشهور وقيل سلبية وصحح ايضا وتصوره بديهي والحكم ببداهته بديهي ايضا ولذا لا يحتاج الى تعريف إلا من حيث بيان انه مدلول اللفظ دون اخر فيعرف تعريفا لفظيا يفيد فهمه من ذلك اللفظ لا تصوره في نفسه ليكون دورا وتعريفا للشيء بنفسه فيعرف بانه كل لفظ دال على موجود والوجود عين الذات عند الامام الاشعري وزائد على الذات عند الامام الرازي واخته لافهما لفظي لا حقيقي فالاشعري نظر الى الوجود الخارجي ولو نظر الى الوجود الذهني لقال مثل الرازي والامام الرازي نظر الى الوجود الذهني ولو نظر الى الوجود الخارجي لقال مثل الاشعري ألا ترى ان العقل يصور الوجود في الذهن دون الذات العلية فاذا هما متفقان ذاتا مختلفان بالاعتبار فاعرفه « ثم » شرع يبين في القسم

الاول من الاربعة المذكورة وهو الوجود فقال (واذا كان العالم حادثا) يعني مسبوقا بالعدم بمعنى انه لم يكن ثم كان (بعد ما تقرر) يعني ثبت وحصل (عدمه) بالبرهان القاطع والدليل الساطع (فلا بد له) يعني للعالم حتما لازما لا محالة (من محدث) بكسر الدال يعني فاعل مخصص وهو الله تبارك وتعالى الواجب الوجود لذاته بمعنى ان ذاته اقتضت وجوده لا لعلة فلا يقبل العدم لا ازلا ولا ابدا وقد سبقت الاشارة الى ذلك فانظره «واعلم» بان وجود الله قد شهدت به البراهين ويتعجب من خفاء وجوده عن عاقل مع كثرة البراهين الشاهدة بوجوب وجوده ولهذا اتفقت جميع الملل من يهود ونصارى ومجوس وغيرهم على اختلاف اديانهم على وجوده تبارك وتعالى إلّا شرذمة قليلة من جهة الفلاسفة زعمت ان حدوث العالم امر اتفاقي بغير فاعل وهذه المقالة من اغرب ما يكون واعجبه ممن له ادنى عقل وتامل قال الامام الغزالي رضي الله عنه ما معناه قد اجمع العقلاء على وجوده تعالى فلا يحتاج الى دليل لانه اظهر من ان يخفى ولهذا لم تبعث الرسل لان تدعو الناس الى ان يقروا بوجود الصانع لانهم لا ينكرونه بل لان يدعوهم الى التوحيد «يحكى» ان الامام الرازي مر بامرأة في جماعة من الناس فقال الناس للمرأة هذا الرجل يقيم على وجود الله الف دليل فقالت لهم لو عرفه ما اقام عليه دليلا واحدا وكون العالم لا بد له من محدث فهو المطلوب (اذ) حرف تعليل (لا يتصور) يعني لا يدرك (في العقل) بوجه من الوجوه (انتقاله) يعني تحريكه واخراجه (من العدم) الاصلي (الذي كان) العالم (عليه) بالاصالة الذاتية (الى الوجود) الثابت المحقق (الطاري) اي الحادث (بلا سبب) يعني فاعل مرجح يرجحه ويخصصه بقدرته وارادته وليس ذلك إلّا الله الفاعل المختار والى ذلك اشار بقوله (ولولا الفاعل) اي المحدث القادر المخصص (المختار) اي المريد المرجح (لوجوده) يعني وجود العالم (فيما شاء) اي في الذي اراد من المشيئة وهي الارادة اذ هما بمعنى واحد وفيما شاء من الازمان من متقدم او متاخر او حال وتخصيصه بالوجود بزمان معين بدلا عن مقابله دليل على وجود مخصص او مرجح وتخصيصه (على ما شاء) يعني اراد من المقادير كالطول والقصر والتوسط لا عن سائر المقادير التي يقبله جميعها على السواء دليل ايضا على مخصص مرجح وتخصيصه ايضا بما شاء من الجهات كيمين او شمال او فوق او تحت او امام او خلف بدلا عن مقابله من

سائر الجهات وتخصيصه بما شاء من الذي من (والصفات) المعينة كذلك من حركة وسكون وبياض او ضده او علم او ضده الى غير ذلك من سائر الصفات المتقابلة ونحوها وبهذا يتضح لك ان العالم من عرشه الى فرشه حادث مفتقر الى الله تبارك وتعلى افتقارا ضروريا لازما يشهد بوجوب حدوثه ووجوب افتقاره الى المولى تبارك وتعلى اختصاصه بالوجود بدلا عن العدم الذي يقابله ويشهد بذلك ايضا مقداره المخصوص ووصفه المخصوص وزمنه المخصوص وجهته المخصوصة وكذلك مكان اجرامه المخصوصة فكل جزء من اجرام العالم ينادي نظيره بلسان الحال الذي هو افصح واصدق من لسان المقال كل ما وقع عليه بصرك مني او جال فيه فكرك من احوالي ليس مقابله باولى من العدم منه ولولا الفاعل المخصص المختار لوجوده فيما شاء من الازمان على ما شاء من المقادير والصفات (لكان) جواب لولا اي العالم (يجب ان يبقى) يعني يستمر بقاؤه حتما لازما (على) حال (ما) اي الذي (كان) العالم (عليه) اولا (من العدم) الاصلي اللازم له (ابد الاباد) الى ما لا نهاية له وانما وجب ان يبقى العالم على ما كان عليه من العدم ابد الاباد لولا المخصص (لاجل) (استواء المقادير) كالطول والقصر والتوسط (والصفات) كالبياض والسواد والحركة والسكون والعلم والجهل (والازمان) كالماضي والحال والمستقبل في قبول العالم لها عقلا ولهذا قال (بالنسبة الى ذاته) يعني ذات العالم اذ لا يقتضي ذاته الاختصاص بشيء من ذلك فلا بد اذا من مخصص وإلّا لزم اجتماع متنافيين وهو ان يكون احد الامرين المتساويين مساويا لذاته راجحا لذاته وهو محال لا يتصور في العقل « واعلم » انه قد اختلف المتكلمون في علة احتياج العالم الى الصانع على اربعة اقوال الاول الامكان وهو استواء الطرفين بالنظر الى الذات وهو اختيار ناصر الدين البيضاوي وجماعة والثاني الحدوث وهو الخروج من العدم الى الوجود وهو عمدة اكثر المتكلمين فعلى الاول يعم الاحتياج جميع اوقات المحدث اذ الامكان الذي هو علة الحاجة لا يفارقه فهكذا معلومه الذي هو الحاجة وبعض المحققين من متاخري المتكلمين قوى القول الاول اذ القول بان العلة الحدوث يستلزم ان يكون سابقا على علته اذ الحدوث متاخر عن الحاجة وان العبد متصف بالغنا عن موجده في بعض الازمان وفيه من سوء الادب ما لا يخفى « ويمكن الجواب » عنه بان الحدوث علة غائية وهي سابقة ذهنا متاخرة خارجا كالجلوس على السرير لكن القول بالحدوث

هو المنقول عن الاشعري ودعوى الاستغناء عليه ممنوعة اذ العين لا تنفك عن عرض قطعا والعرض لا يبقى زمانين يوضح ذلك انه لما لحظ الاشعري القائل بان العلة الحدوث ما يترتب على ذلك ذهب الى ان العرض لا يبقى زمانين فالافتقار الى الصانع من لازمها على وجه الدوام والاستمرار فاعرفه وعلى الثاني وهو علة احتياج الحدوث يختص الاحتياج بوقت الحدوث وقد تقدم ما فيه « والثالث » الامكان مع الحدوث على انهما جزءا علة « والرابع » الامكان بشرط الحدوث وعلى هذين القولين اقتصر المصنف رحمه الله مقدما الامكان مع الحدوث فقال (واما الوجود والعدم فقيلهما) اي الوجود والعدم (بالنسبة الى ذاته) يعني ذات العالم (سواء) اذ لا ترجيح لاحدهما على الاخر بالنظر الى ذاته بوجه من الوجوه (فـ) بسبب ذلك (يستحيل) اي يمتنع (ان يترجح) يعني يتخصص (الوجود المساوي) اشارة الى الامكان وقوله (الطاري) اشارة الى الحدوث وقوله (بلا سبب) اي مرجح ومخصص هذا كله على القول الاول من قولي المصنف رحمه الله وهو ان الوجود والعدم بالنسبة الى العالم سواء واما على القول الثاني وهو الامكان بشرط الحدوث فهو اظهر في احتياج الوجود الى الفاعل لانه لا يعقل ان يطرأ الوجود المرجوح ويزول العدم الراجح بلا سبب وإلا كان المرجوح في نفسه راجحا وهو تناقض لا يعقل واذا استبانت استحالة طرو المساوي بلا فاعل فاحرى طرو المرجوح والى هذا كله أشار المصنف رحمه الله تعلى بقوله (وقيل العدم السابق) على العالم فيما لا يزال (اولى) يعني احق واجدر (به) اي بالعالم وانما كان احق واجدر (لاصالته فيه وعدم افتقاره) يعني احتياجه (الى سبب) يعني مرجح وانما لم يحتج العدم السابق الى الفاعل لانه ليس بحادث اما العدم للعالم في الازل فليس بممكن الامكان الخاص حتى يحتاج الى فاعل بل هو واجب واما فيما لا يزال فلا يحتاج الى فاعل ايضا وان كان ممكنا لانه لم يطرأ بعد ان لم يكن ولهذا احترز عن العدم وان كان مساويا للوجود في هذا القول بقوله المساوي الطاري بخلاف العدم السابق فانه وان كان مساويا فليس بطاري اي متجدد بعد ان لم يكن فلا يحتاج الى فاعل وهذا بناء على ما سبق في سبب الاحتياج واما على القول بالامكان فقط فياتي عليه ان يحتاج العدم السابق في استمراره فيما لا يزال الى الفاعل ولا يلزم من احتياجه ان لا يكون موجودا بل بمعنى انه قادر على ازالته اذ لو شاء ان يجعل في مكانه الوجود لفعل (واذا كان ترجيح) اي تخصيص (احد) الامور الستة المعروفة عند

المتكلمين بالممكنات المتقابلات الستة (المتساويين) في قبول العالم لهما عقلا (بلا سبب) اي مرجح (محالا) اي مستحيلا لا يتصور في العقل وجوده بوجه من الوجوه (فاستحالة) اي امتناع (ترجيح) اي تخصيص (الوجود المرجوح بالنسبة الى العدم) اي الراجح (على هذا) الوجه (بلا سبب) اي محدث مرجح مخصص (احرى) يعني اولى ولم ير في العقلاء من قال ليس للعالم رب يستند اليه ويصدر عنه وجود الخلق نعم اختلف ائمتنا هل العلم بوجود الله ضروري واليه ذهب الامام فخر الاسلام او نظري واليه ذهب امام الحرمين وجماعة وهو الحق إلّا انه بنظر قريب لا يفتقر الى كبير تأمل . ولما فرغ من الكلام على وجوب وجوده جل وعلا واقامة البرهان القاطع عليه واحتياج العالم اليه تبارك وتعلى شرع في بيان الدليل القاطع على وجوب قدمه وبقائه فقال (باب) اي هذا باب في بيان اقامة (الدليل) القاطع (على وجوب) اي ثبوت (قدمه) يعني الذاتي (جل) اتصف بالرفعة التي لا يماثل وتنزه عما لا يليق به (وعز) اتصف بصفة الجلال (و) في بيان اقامة الدليل القاطع على (وجوب) ثبوت (بقائه) السرمدي (ثم يجب) يعني وجوبا ذاتيا (ان يكون محدث) يعني خالق ومحدث وصانع وموجد ومخترع (العالم) بفتح اللام كل موجود سوى الله (قديما) يعني قدما واجبا ذاتيا هذا شروع في القسم الثاني من الصفات اعني السلبية وهي كل صفة مدلولها عدم امر لا يليق به سبحانه وتعلى وليست جزئياته منحصرة على الصحيح وعد منها خمسة لانها من امهاتهم وقدم منها القدم لابتناء ما بعده عليه واعلم انه قد وقع التردد بين بعض المشائخ في جواز اطلاق لفظ القديم فمنهم من ذهب الى جوازه كالمصنف رحمه الله وغيره نظرا الى معناه لانه واجب له عقلا ومنهم من ذهب الى المنع منه وانما يقال يجب له القدم او نحو هذا لان اسماءه تعلى توقيفية لان العلماء اتفقوا على ان الله تعلى لا يسمى إلّا بما سمى به نفسه او سماه به رسوله وانعقد عليه الاجماع لان القديم قد ورد من طريق ابي هريرة رضي الله عنه معدودا في التسعة والتسعين اسما قاله المصنف عن العراقي في شرح جمع اصول السبكي ثم فسر كونه تعلى قديما بقوله (اي لا اولية) اي لا افتتاح ولا ابتداء (لوجوده) بيان لمعنى القدم عندنا بمعني انه لا يكون قدمه تابعا لقدم غيره وهذا بخلاف القديم بالزمان على راي الفلاسفة فانه لا ابتداء لوجوده ولكن قدمه تابع لقدم موجبه على

ما هو معروف عنهم في موضعه لا يقال هذا التفسير الذي ذكره المصنف رحمه الله لا يشمل إلّا القدم في حقه تعلى ولا يعم وذلك لان عدمنا في الازل قديم ولا يصدق عليه هذا التفسير لانا نقول عدمنا في الازل انما يقال فيه ازلي ولا يقال فيه قديم لان المصنف في شرح كبراه عند قوله فصل واذا عرفت هذا ايها المقلد الناظر لنفسه الخ حيث فسر الالفاظ التي يعبر بها اهل الفن قال ومنها القديم يعنون به الموجود الذي لا اول لوجوده فاعرفه وكون القدم صفة سلبية هو الاصح لان السلب داخل في مفهومه « قال » المصنف في شرح الكبرى وقد اختار هذا القول المحققون من المتاخرين « وقيل » انه صفة نفسية « وقيل » صفة معنى ورد هذين القولين واظن انه لا يخفى عن من قرأ ذات البراهين « واعلم » ان القدم يطلق على معنيين احدهما ما توالت على وجوده الازمنة وكر عليه الجديدان اليل والنهار ومنه قوله تعلى كالعرجون القديم وبهذا الاعتبار يقال اساس قديم وبناء قديم وهو بهذا المعنى على الله محال لان وجوده تعلى لا يتقيد بمكان ولا بزمان لحدوث كل منهما فلا يتقيد بواحد منهما إلّا من هو حادث والثاني ما تقدم ذكره وهو ما لا اول لوجوده اي وجوده ازلي لم يسبقه عدم وهو بهذا المعنى هو الثابت له جل وعلا ولا يتصف به سواه . والدليل على وجوبه له جل وعز فلانه لو لم يكن قديما قدما واجبا ذاتيا اي لا اولية لوجوده (وإلّا) بان كان لوجوده اول لكان حادثا تعلى عن ذلك اذ لا واسطة بين القدم والحدوث في حق كل موجود مهمى انتفى احدهما تعين الاخر لكن كونه تعلى حادثا محال لكونه له اول واذا كان له اول (لافتقر) اي احتاج (الى محدث) يعني فاعلا لما عرفت من وجوب افتقار كل حادث الى محدث ثم تنقل الكلام الى محدثه فيجب ان يكون مثله فيفتقر الى محدث ثم محدثه ومحدث محدثه وهلم جرا لانعقاد المماثلة بين الكل (ويلزم) من ذلك (التسلسل) وهو ترتيب امور غير متناهية وهو مستحيل لما عرفت من استحالة حوادث لا اول لها وقد اشار المصنف رحمه الله تعلى هنا الى بعض براهين استحالتها وهو لزوم الجمع بين الفراغ وعدم النهاية وذلك تناقض لا يعقل اذ فراغ العدد يستلزم انتهاء طرفيه وعدم النهاية نقيض الفراغ فلا يجتمعان بوجه من الوجوه وهذا معنى قوله (فيؤدي) يعني التسلسل (الى فراغ) تمام وانقضاء (ما لا نهاية له) كما تقدم ولما فرغ من التسلسل شرع في ذكر الدور وهو توقف الشيء على نفسه بمرتبة او مراتب فقال (او) يلزم (الدور)

مرفوع بالعطف على التسلسل واو للتنويع ان كان محدث الاول هو الذي كان محدثا له وهكذا الى ان ينتهي العدد في امر متناه (فيؤدي) يعني الدور (الى تقديم الشيء) يعني سبقه (على نفسه) وتاخره عنها بمرتبتين في اثنين او بمراتب في اكثر من ذلك (وكلاهما) يعني التسلسل والدور (مستحيل) ممتنع (لا يعقل) اي لا يتصور في العقل وجود كل واحد منهما بوجه من الوجوه « فائدة » كثيرا ما يستعمل المتكلمون هلم جرا قال عياض في المشارق وقال ابن الانباري في معنى « هلم » اقبل « وجرا » من الجر وهو ترك الابل والغنم ترعى والمعنى سيروا وتثبتوا في سيركم وانتصاب جرا على ثلاثة اوجه المصدر كانهم قالوا هلم جروا جرا والحال والتمييز هذا ما يتعلق بالقدم واما البقاء فشرع الان يذكر فيه فقال (ويلزم ان يكون) يعني محدث العالم (واجب) اي ثابت (البقا) يعني الذاتي مقتضاه الدوام لا النسبي الملحق بالعدم فان من تصور في حقه لحوق العدم استحال عليه القدم وهو الصفة الثانية من الصفات السلبية ثم فسر البقاء بقوله (اي لا ءاخرية) اي لا انقضاء ولا انتهاء (لوجودة) اي وجوده ابدي لم يلحقه عدم بوجه من الوجوه والبقاء ايضا يطلق على معنيين احدهما مقارنة الوجود لزمانين فصاعدا وهو مستحيل في حقه تعلى لما عرفت من استحالة تقييد وجوده تعلى بالزمان وانما يتصف بالبقاء بهذا المعنى الحوادث والثاني ما تقدم وهو ما لا انقضاء لوجوده اي وجوده ابدي لم يلحقه عدم وهو بهذا المعنى هو الثابت له جل وعلا ولا يتصف به سواه والدليل على وجوبه له تبارك وتعلى هو ما اشار اليه بقوله (اذ لو قبل) اي امكن وصح وجاز (ان يلحقه) يعني يطرأ عليه (العدم) يعني الفناء بعد الوجود تعلى عن ذلك (لكان وجوده) تعلى (جائزا) اي يصح في العقل وجوده وعدمه ومماثلا لما سواه (لا) يكون وجوده (واجبا) تعلى علاه (لما عرفت) اي لاجل الذي علمت من (ان حقيقة) اي تعريف (الواجب) العقلي هو (ما لا يتصور) يعني يدرك (في العقل) يتعلق بيتصور (عدمه) يعني نفيه (وهذا الوجود) يعني الواجب الذى لا يتصور في العقل عدمه (قد فرض) يعني قدر (انه يقبل العدم) يعني الفناء (فيكون) وجوده حينئذ (جائزا) لا محالة ثم علل كونه جائزا بقوله (اذ الجائز) العقلي هو (ما يصح) هو بكسر الصاد كشح يشح (فيه) يعني في الجائز باعتبار ذاته (الوجود والعدم) وذلك حقيقته (والجائز) فيه الوجود والعدم (يستحيل) اي يمتنع ولا يتصور في العقل (ان

يقع) يعني يوجد ويحدث (بلا سبب) يعني بلا محدث (فيحتاج) يعني يفتقر (اذا) بالتنوين (هذا الوجود) يعني المفروض المقدر (الجائز) في العقل وجوده وعدمه (الى سبب) يعني فاعل ومحدث وموجد واذا احتاج الى ذلك (فيكون) بالضرورة (محدثا) اي مخرجا من العدم الى الوجود واذا كان محدثا لم يكن قديما كيف يكون محدثا يا عجبا (وقد قام) دل وشهد (البرهان) القاطع والدليل الساطع (على وجوب قدمه) الذاتي فاذا لحوق العدم لذاته العلية مستحيل فبان لك بهذا البرهان القاطع ان وجوب القدم يستلزم ابدا وجوب البقاء وان تجويز العدم اللاحق يوجب ثبوت العدم السابق فخرج لك بهذا البرهان قاعدة كلية وهي ان كل ما ثبت قدمه استحال عدمه وان الجمع بين وجوب القدم وعدم وجوب البقاء تناقض لا يعقل والى هذا المعنى اشار المصنف رحمه الله تعلى بقوله (فاذا فرض) يعني تقدير (عدم) اي انتفاء (وجوب) اي ثبوت (البقاء) السرمدي (فيما) اي في الذي (قام البرهان) القاطع والدليل الساطع (على وجوب) اي ثبوت (قدمه) الذاتي (تناقض) اي تخالف بينهما بالايجاب والسلب وهذا (لا يعقل) اي لا يتصور في العقل بوجه من الوجوه ولا باعتبار معتبر . ولما فرغ من الكلام على وجوب القدم والبقاء شرع في الكلام على وجوب مخالفته تعلى للحوادث وقيامه تعلى بنفسه والدليل على ذلك فقال (باب) اي هذا باب في بيان اقامة (الدليل) القاطع (على وجوب) اي ثبوت (مخالفته) اي عدم مماثلته (تعلى) اي تنزه وتقدس في ذاته وفي صفاته وفي اسمائه وفي افعاله عن مشابهته وعن مماثلته تعلى (للحوادث) يعني المخلوقات من العرش الى الفرش وما سيوجد منها والمخالفة لما ذكر عبارة عن سلب الجرمية والعرضية ولوازمهما عنه تعلى قال تعلى « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » وشيء نكرة بل انكر النكرات وقعت في سياق النفي فتعم وقدم السلب على الاثبات في هذه الاية اشارة الى نفي المماثلة في الذات والصفات ولو قدم عجزها لكونها اثباتا على صدرها لكونها سلبا كان فيها شعور بنفي المثلية عن الصفات التي هي السمع والبصر منها والكاف في كمثله صلة لتوكيد المثل اذ لو لم تقدر صلة اي زائدة لصار المعنى ليس بشيء مثل مثله فيلزم المحال وهو اثبات المثل فاعرفه والمخالفة للحوادث هي الصفة الثالثة من الصفات السلبية وانما قال للحوادث ولم يقل للعالم لان العالم منحصر في الاجرام والاعراض كما تقدم والحوادث اعم من ذلك بناء على زيادة

القسم الثالث وهو ما ليس بجرم ولا عرض فيكون الله تعلى مخالفا له كذلك لانه من جملة الحوادث فهو حادث بدليل الاجماع والله قديم ازلي فلهذا قال للحوادث والله اعلم . هذا ما ظهر لي بحسب ما فتح الله تعلى وما وجدته منصوصا كذلك . واعلم ان المصنف رحمه الله تعلى ترجم في هذا الباب بثلاثة مطالب فاثبات المطلب الاول يرد على الحشوية القائلين بالجسمية والجهة والمكان له تعلى عما يقول الظالمون علوا كبيرا واشار الى المطلب الثاني والثالث بقوله (و) في بيان اقامة الدليل على (عدم اتحاده) اي امتزاجه واختلاطه تبارك وتعلى (بغيره) اي يكون معه واحدا بمعنى صيرورة الشيئين شيئا واحدا (و) في (بيان) اقامة (الدليل) القاطع (على وجوب قيامه) يعني غنائه تبارك و (تعلى بنفسه) يعني بذاته العلية ولولا ورود هذه اللفظة من القرءان العظيم في قوله تعلى حاكيا عن سيدنا عيسى « تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك » لما جاز اطلاقها عليه جل وعلا وحمله على المشاكلة لا داعي اليه لثبوت اللغة به والاصل في الاطلاق الحقيقة واثبات هذين المطلبين يرد على النصارى والباطنية القائلين بجواز اتحاده تعلى بغيره اي يصير معه شيء واحد كقول بعض النصاري باتحاد اللاهوت بالناسوت اي الاله بجسد سيدنا عيسى عليه السلام وجعل بعضهم الاله تعلى ليس ذاتا يقوم بنفسه بل صفة يقوم بالغير وادعى بعض النصارى ذلك في عيسى عليه السلام انه قام به الاله قيام الصفة بالموصوف وادعى بعض الباطنية مثل ذلك في انفسهم تعلى الله عن الباطنية علوا كبيرا . ثم شرع في ذكر صفة المخالفة للحوادث مفسرا لها ومعرفا فقال (ويلزم ان يكون محدث) يعني خالق وموجد (العالم) بفتح اللام كل موجود سوى الله مخالفا للحوادث في ذاته وفي صفاته وفي افعاله فالمخالفة عبارة عما (ليس بجرم) لانه اما ان يكون مركبا ومتحيزا كالجسم او بسيطا ومتحيزا كالجوهر الفرد وذلك امارة الحدوث وعبر بالجرم ليشمل المركب كالجسم وغيره كالجوهر ونفي الاعم يستلزم نفي الاخص بخلاف العكس فاعرفه (ولا صفة للجرم) يعني عرضا يقوم بالجرم واجبا له العدم في الثاني من الزمان فلا يبقى له زمانين وهذا النوع هو الثاني من العالم كالحركة والسكون والسواد والبياض وبالجملة يستحيل عليه تعلى الجرمية والعرضية اذ لو كان تعلى جرما او عرضا يقوم به لكان من العالم وذلك يؤدي الى حدوثه (لما عرفت) اي علمت فيما سبق لك (من وجوب حدوث) كل جرم من (الاجرام) الشاغلة للفراغ ولا فرق في ذلك بين الاجرام الكثيفة

والشفافة كما سبقت الاشارة اليه (و) وجوب حدوث كل صفة من (صفاتها) يعني صفات الاجرام يعني اعراضها التابعة لها في التحيز اذ الاعراض لا تحيز لها استقلالا لا بل تحيزها تابع لتحيز الاجرام واذا كانت الاجرام والاعراض حادثة فالعالم كذلك حادث لتركبه منهما وصانعه قديم لما عرفت فيما سبق من وجوب قدمه جل وعز ووجوب بقائه . ثم شرع يتكلم في معنى الاتحاد وهو عبارة عن صيرورة شيئين شيئا واحدا لا يخفى انه مستحيل مطلقا في القدم والحادث وبرهانه ما ذكر في العقيدة ويلزم ان يكون محدث العالم ليس بجرم ولا صفة للجرم (ولا متحدا) يعني ممتزجا (بغيره اي) حرف تفسير اي (يكون معه) اي مع الله محدث العالم (واحدا) اي بعد الامتزاج والاختلاط والدليل على عدم اتحاده تعلي بغيره هو ما اشار اليه بقوله (وإلّا) بان اتحد وامتزج واختلط مع غيره (فان بقيا) معا (موجودين) على حالهما (فهما يعدان) بتشديد الدال المهملة من العدد (اثنين لا واحدا) فلا اتحاد اذا للقطع بان وجود احدهما ليس عين الاخر ومن المقرر انه يلزم كل ماهية وجوب سلب كل ما عداها عنها (وان لم يبقيا) معا (موجودين) بان عدم ما معا كان الموجود غيرهما لا هما (فلم يتحدا ايضا) وانما لم يتحدا (لانهما ان عدم كل منهما) يعني من المتحدين (ووجد ثالث فظاهر) عدم الاتحاد (وان عدم احدهما) يعني احد المتحدين (وبقي الاخر) على ما هو عليه من الوجود (فكذلك) يعني يمتنع الاتحاد ايضا (لان المعدوم لا يتحد بالموجود) اي لا يصير عين الموجود لتنافيهما وتنافرهما . ثم شرع يتكلم في لوازم الجرم والعرض فقال (و) يلزم (ان يكون) محدث العالم (ليس في جهة من الجهات) الستة بان يكون فوق الجرم او تحت الجرم او شمال الجرم او امامه او خلفه وهذه كلها مستحيلة على الله تعلي (لانه لا يعمرها إلا الاجرام) يعني لان مشغل الجهة يستلزم التحيز وكل متحيز فهو جرم والله جل وعلا يستحيل ان يكون جرما فلا يكون في جهة وايضا لو كان في جهة لاحتاج الى من يخصصه بجهة دون اخرى فيلزم الحدوث وايضا فالجهة اما ان يكون اصغر منها او اكبر او مساويا وذلك يوجب قدره فيحتاج الى المقدر « فان قلت » لوكان الاختصاص بالجهة يوجب التقدير لكان العرض مقدرا « فالجواب » ان العرض ليس في جهة بنفسه بل بتبعية الجوهر فلا جرم هو مقدر التبعية اذ لا توجد عشرة اعراض إلا في عشرة جواهر (و) يلزم (ان) يكون محدث العالم

ان (لا تكون له هو ايضا جهة) يعني لان كون الجهة له تعلى يستدعي الجرمية ايضا (لانها) اي الجهة (من عوارض) يعني خواص (الجسم) وخص الجسم بالذكر دون الجرم لان الجسم لايكون إلا مركبا بخلاف الجرم فانه يطلق على المركب وغيره كالجوهر (ففوق) وهو الجهة العليا (من عوارض عضو الرأس وتحت) وهوالجهة السفلى (من عوارض عضو الرجل ويمين) وهو الجهة اليمنى من جهة الكبد (من عوارض العضو الايمن وشمال) وهو الجهة اليسار من جهة القلب (من عوارض العضو الايسر وامام) بفتح الهمزة وهو من جهة القدام من جهة العينين (من عوارض البطن وخلف) وهو من جهة الورى من جهة القفا (من عوارض الظهر) وهذه الجهات حادثة لحدوث الانسان وقد نص العلماء على ان الجهة لا تكون إلّا للعاقل وغير العاقل لا جهة له فاذا قلنا عن يمين المسجد وعن يساره فانما هو بالنظر الى العاقل « والحاصل » ان كونه في جهة او الجهة له محال في حقه تعلى ولا غرابة في هذا الوجود ذلك في حق بعض الحوادث كالليل والنهار مثلا فانهما ليسا في جهة ولا جهة لهما فاذا تعقلناه في حق الحوادث فما بالك في حق من بعد عن الاوهام تبارك وتعلى فقد ظهر لك من كلام المصنف رحمه الله ورضي عنه ان الجهات مستحيلة عليه تبارك وتعلى مطلقا سواء كانت منفصلة عنه او متصلة به كما ذكره المصنف نفعنا الله به وبعلومه فالمنفصلة هو قوله وان تكون ليس في جهة من الجهات لانه لا يعمرها إلّا الاجرام والمتصلة هو قوله وان لا يكون له هو ايضا جهة لانها من عوارض الجسم الخ فاعرفه فانه نفيس وغريب قل من ذكره كذلك حتى ان بعض من تعاطى هذا العلم ويدعيه توهم وفهم ان ذلك بمعنى واحد والعيان يكذبه فما زلت معه الى فهم ذلك وحمدا لله تعلى على ذلك ولله الحمد (ومن استحال) يعني امتنع (عليه ان يكون جرما) يشغل فراغا بحيث يسكن فيه او يتحرك ولا فرق في ذلك بين الكثيف والشفاف (استحال) امتنع (عليه ان يتصف) اي تقوم به وينعت (بهذه الاعضاء) جمع عضو وهي القطعة من الجسد السابقة المتقدم ذكرها (ولوازمها) كذلك من افتقار وحدوث وما اشبه ذلك ولا يتوهم في الذات العلية اذا لم تكن جرما ولا قائمة بالجرم ولا تتصف بصغر ولا كبر ولا حركة ولا سكون وليست في جهة ولا لها جهة ان ذلك نفي لوجودها لان هذا توهم من حصر الموجودات فيما تخيل من الاجرام والقائم بها . ولما فرغ من ذكر صفة المخالفة للحوادث شرع في صفة القيام بالنفس وهي الصفة الرابعة من الصفات السلبية فقال (ويجب) عقلا ونقلا

(ايضا له تعلى) من ءاض يئيض اذا رجع (ان يكون) تبارك وتعلى (قائما بنفسه) ثم فسر قوله قائما بنفسه بقوله (اي ذاتا) فيعرب اما بدلا او عطف بيان (لا يفتقر) اي لا يحتاج (الى محل) اي ذات سوى ذاته العلية (ويستحيل) يعني يمتنع (ان يكون) سبحانه وتعلى (صفة) يعني معنى من المعاني هكذا فسر بعضهم القيام بالنفس فيندرج في مقتضى هذا اللفظ وهو ما لا يفتقر الى محل كما سبق الجوهر والقديم اذ كل منهما لا يفتقر الى محل اي لا يكون صفة لغيره ويخرج من مقتضى هذا اللفظ الصفة قديمة كانت او حادثة فان الصفة مطلقا لا بد لها من محل تقوم به ولما وقع الاختلاف بين الائمة في معنى القيام بالنفس والاختلاف راجع الى الاصطلاح من غير خلاف في المعنى فمن الائمة من اصطلح على ما تقدم اشار الى ذلك الاختلاف بقوله (ومنهم) يعني ومن الائمة وهو الاستاذ ابو اسحاق الاسفرايني رحمه الله (من فسر) يعني بين (قيامه تعلى بنفسه باستغنائه عن المحل) يعني عن الذات (والمخصص) بكسر الصاد يعني الفاعل ولا قائم بنفسه على هذا الاصطلاح إلّا القيوم سبحانه فان الجوهر وان استغنى عن المحل بمعنى انه ليس صفة لذات اخرى فهو مفتقر اعظم افتقار الى المخصص لذاته بالوجود بدلا عن العدم الذي كان عليه وبالمقدار والصفة اللذين هما عليهما دون غيرهما ثم هو بعد محتاج في ابقاء ذاته وصفاته الى خالقه ومولاه جل وعز ولولا ابقاؤه تعلى للكائنات الى ما شاء من الاجال لانعدمت كلها في الحال فقد استبان ان القيام بالنفس بهذا التفسير الثاني اخص منه بالتفسير الاول لان هذا التفسير الثاني فيه ما في الاول وزيادة ولهذا كان الجوهر في التفسير الاول يشاركه تعلى في مجرد التسمية بالقيام بالنفس وفي التفسير الثاني لا يشاركه في التسمية به فاعرفه والى هذا اشار بقوله (وهو) اي التفسير الثاني (اخص من التفسير الاول) لان فيه ما في الاول وزيادة كما تقدم فلا تغفل (ويخرج) بالتفسير الثاني ايضا (مشاركة الجوهر له) اي للتفسير الثاني (في قوله الصفة) يعني صفة القيام بالنفس . ولما ذكر ان معنى القيام بالنفس على التفسير الثاني وهو الاستغناء عن المحل والمخصص احتاج الى ان يقيم البرهان القاطع على وجوب استغنائه تعلى عن الامرين اما دليل استغنائه تعلى عن المخصص فهو ما اشار اليه بقوله (والدليل) اي البرهان القاطع (على) وجوب (استغنائه تعلى عن المخصص) يعني الفاعل بكسر الصاد هو (ما سبق) يعني تقدم (من وجوب قدمه و) وجوب (بقائه) يعني ان

الاحتياج الى المخصص يستلزم الحدوث لان اثر المخصص لا يكون إلّا حادثا لان القديم حاصل الوجود واجبه وتحصيل الحاصل محال والحدوث على ذات مولانا جل وعز وعلى صفاته مستحيل لوجوب القدم والبقاء للذات العلية وصفاتها فاحتياجه تعلى الى المخصص مستحيل . واما استغناؤه تعلى عن المحل فهو ما اشار اليه بقوله (و) الدليل (عن استغنائه) تعلى (عن المحل) اي عن الذات فاستدل لذلك في اصل العقيدة بثلاثة ادلة الاول (انه) اي دليله (لو كان) تبارك وتعلى (صفة) اي معنى من المعاني اي الاشياء التي ليست بذوات (لاستحال) يعني امتنع (اتصافه) تعلى (بالصفات المعنوية) الثبوتية وهي كونه قادرا ومريدا وعالما وحيا وسميعا وبصيرا ومتكلما (و) لاستحال ايضا اتصافه بصفات (المعاني) الوجودية وهي القدرة والارادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام ثم علل كونه ليس بصفة بقوله (اذ الصفة) اي المعنى (لا تقوم بالصفة) اي المعنى ووجه الاستحالة في ذلك انه اذا كان تعلى صفة وهذه الصفات واجبة ان تقوم به تعلى لزم على هذا الفرض والتقدير ان تقوم الصفة بالصفة وهو محال لان الصفة لا تقوم بها الصفة اذ لو قبلت ان تقوم لزم ان لا تعرى صفة عما تقبله من الصفات كالذات اذ القبول نفسي لا يتخلف وذلك يستلزم دخول ما لا نهاية له في الوجود لان الصفة القائم بها هي القابلة للاتصاف بالصفات ثم ننقل الكلام الى تلك الصفات القائمة بها فيلزم فيها ما لزم في التي قبلها وهلم جرا ودخول ما لانهاية له في الوجود محال فاتصاف الصفة بالصفة محال والاله يجب اتصافه بالصفات فثبت انه تعلى ذات لا صفة قطعا . الدليل الثاني على وجوب استغنائه عن المحل (لانه ايضا لو كان) تعلى (صفة) اي معنى من المعاني (لافتقر) اي لاحتاج (الى محل) اي ذات (يقوم به) قيام الصفة بالموصوف وانما افتقر لذلك لاستحالة قيام الصفة بنفسها (ثم) ننقل الكلام الى ذلك المحل الذي قام به فـ (ان كان المحل) الذي قام به (الا ها مثل الصفة) الذي قامت به (لزم) من ذلك (تعدد) تكثر (الالهة) وهو محال لا يتصور في العقل وجوده بوجه من الوجوه (وان انفردت الصفة) يعني استقلت (بالالوهية واحكامها) من كونها عالمة بكل معلوم قادرة على كل ممكن مريدة حية الخ صفات الالاه والمحل الذي قامت به لم يتصف بشيء من ذلك (لزم جواز) امكان (قيام الصفة بمحل) يعني بذات (ولا يتصف) ذلك (المحل) يعني الذي جاز قيام الصفة به (بحكمها) يعني بحكم تلك الصفة (وهو) جواز قيام

الصفه بمحل ولا يتصف ذلك المحل بحكمها (محال) لا يتصور في العقل وجوده (و) الدليل الثالث على وجوب استغنائه تعلى عن المحل فلانه (ايضا) مما يعقل تصوره لو كان صفة اي معنى من المعاني (فليس كون) اي تقدير (الاها باولى) اي احق واحرى (من كون محلها) الذي قامت به (الاها) بل محلها اولى بذلك . ولك ان تجعل هذا الدليل الثالث من تمام الثاني وهو ظاهر فعلى هذا يكون استدل في العقيدة على وجوب استغنائه تعلى عن المحل بدليلين فقط وهو ظاهر والله اعلم وحسبنا الله ونعم الوكيل . ولما فرغ من الكلام على الصفات السلبية واخر صفة الوحدانية ولم يذكرها مع اخواتها العدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس لطول الكلام عليها ولمناسبة ختم الصفات كلها بالوحدانية ختم الله لنا بها كما ختم لرسله وانبيائه والسعداء بجاه سيدنا محمد المصطفى شرع في الكلام على صفات المعاني وهي القسم الثالث من العشرين « وحقيقتها » على الجملة هي كل صفة موجودة في نفسها تقوم بمحل اي ذات اوجبت له حكما اي تعلقا سواء كانت قديمة كالقدرة والارادة او حادثة كبياض الجرم وسواده (و) قدم الصفات السلبية على المعاني من باب تقديم التخلية عن التحلية كما هو الشان عرفا لداخل حمام ليتحمم يزيل ادرانه ثم يلبس ثيابا حسنة وليطابق القرآن كما في قوله تعلى فاعلم انه لا إله إلّا الله وليس كمثله شيء وهو السميع البصير فقال (باب) اي هذا باب في بيان اقامة (الدليل) القاطع والبرهان الساطع (على وجوب) وجود (صفات المعاني) صفات المعاني على قسمين الاول ما تتوقف عليه افعاله تعلى والثاني ما لا يكون كذلك فالاول القدرة والارادة والعلم والحياة والثاني ما سوى ذلك والاضافة في صفات المعاني للبيان وان المراد الصفات التي هي نفس المعاني ويعنون بها المعاني الوجودية كالعلم والقدرة والارادة مثلا ونظير هذه الاضافة قولك بلغ فلان درجة العلم ومرتبة الامام ويصح ان تكون الاضافة في جميع ذلك بتقدير من كقولك ثوب من خز ونحوه (و) الدليل على (وجوب احكامها له تعلى) يعني احكام المعاني وهي المعنوية اللازمة للمعاني وحقيقتها هي الحال الواجب للذات ما دامت الذات معللة بعلة فالحال اخرج به السلوب وصفات المعاني ومعللة بعلة اخرج به النفسية ومعنى التعليل التلازم اي يلزمها معنى قائم بالذات فقادر يلازم القدرة ومريد يلازم الارادة وعالم يلازم العلم وحي يلازم الحياة وسميع يلازم السمع

وبصير يلازم البصر ومتكلم يلازم الكلام وسميت معنوية لانها منسوبة الى المعاني لان الاتصاف بالمعنوية فرع الاتصاف بالمعاني ولانها اظهر منها اذ هي موجودة والمعنوية ثابتة فقط وهذا على راي مثبتي الحال واما على راي من لا يثبته فقادر عنده عبارة عن قيام القدرة بالذات وهكذا الى آخرها وهي القسم الرابع من العشرين (و) في بيان الدليل على (وجوب القدم والبقاء لجميعها) يعني جميع صفات المعاني (و) في بيان (ما) اي الذي (يتعلق بذلك) يعني كالاستدلال على استحالة ان يكون فعله عز وجل بطبع او تعليل واستحالة ان تكون احكامه تعلى وافعاله لغرض واستحالة انصاف ذاته العلية بالحوادث (وفيه) اي في هذا الباب (خمسة فصول) ستاتيك وتلقاك وتقف عليها واحدا بعد واحد ان شاء الله تعلى وهذا شروع منه رحمه الله تعلى في الفصل الاول منها فقال (الفصل الاول في وجوب القدرة) قدم القدرة وان كانت متوقفة على غيرها لان لها مدخلا في التاثير فكانها بمنزلة الذات ولهذا وصفت بانها مؤثرة على سبيل المجاز واخر الارادة لانها كالوصف لها من حيث تخصيص احد المقدورين وان كان تاثير القدرة متوقفا على تاثير الارادة وقس على ذلك ولذاته تبارك وتعلى التقدم عليها اي على الصفات المعاني بالمرتبة لا بالزمان لما يترتب على الصفات من الحدوث والذات من النقصان تعلى في صفاته وتنزه في ذاته والقدرة الازلية عبارة عن صفة يتأتى بها ايجاد كل ممكن واعدامه على وفق الارادة فالازلية احتراز من الحادثة فلا تاثير لها فيما قارنها ومعنى يتاتى يتيسر ويحصل بها ايجاد كل ممكن والايجاد اخراج الممكن من العدم الى الوجود وكل ممكن يتناول افعالنا الاختيارية كحركاتنا وسكناتنا ويتناول ما له سبب كالاحراق الموجود عند مماسة النار للشيء المحروق وما لا سبب له كخلق السماوات والارض والاعدام هو ان يصير الشيء لا شيء كما كان اولا وهذا على المذهب المختار ومعنى على وفق الارادة ان الله تعلى لا يخلق ويوجد بقدرته إلّا ما اراده اي إلّا ما خصصته ارادته تعلى (و) في بيان (احكامها) يعني احكام القدرة من اثبات وجوب قدمها وبقائها ووجوب عمومها بجميع الممكنات ووجوب وحدتها وعدم اتحادها بالذات هذا مراده باحكامها والله اعلم (ويلزم ايضا ان يكون محدث) يعني فاعل وموجد (العالم) بفتح اللام كل ما سوى الله (قادرا) ذكر في هذا الفصل اربعة مطالب (الاول) اثبات كونه تعلى قادرا (الثاني) ان يكون ذلك بقدرة زائدة على الذات لا متحدة بها اي تكون

معها شيئا واحدا (الثالث) وجوب قدم تلك القدرة ووجوب بقائها (الرابع) ان تكون تلك القدرة متعلقة بجميع الممكنات (المطلب الاول) اثبات كونه تعلى قادرا والقادر هو المتمكن من الفعل والترك بحسب الداعي الذي هو الارادة فان قلت هذا انما يصح ان لو كان الفعل والترك مقدورين لكن الترك محالا ان يكون مقدورا لان الترك عدم والعدم نفي محض ولا فرق بين قولنا لم يكن مؤثرا وقولنا الترك تاثير عدمي اذ لو كان العدم اثرا لزم قدم العالم وايضا فان قولنا لم يوجد الله العالم معناه انه ليس بفاعل العدم الاصلي فاذا كان العدم الحالي غير فعل استحال اسناده الى القادر لان تحصيل الحاصل محال فثبت ان الترك غير مقدور واذا كان كذلك بطل قولك انه المتمكن من الفعل والترك « فالجواب » ان القادر هو الذي يصح ان يصدر منه ما يكون في نفسه ممكنا والفعل انما يصح فيما لا يزال فلا جرم بطل لزوم قدم العالم اذ لا ترك لان تحصيل الترك متجدد بعد ان لم يكن وقولهم ان الترك مستحيل ان يكون مقدورا لانه عدم محض « قلنا » ممنوع فان الترك هو الكف والامساك عن الفعل وهو امر وجودي ومن هنا تعلم ان من قال من الفقهاء الترك فعلي لا يلزم عليه محظور ولا اضرار فتنبه لذلك . ثم اشار الى اقامة الدليل على ان محدث العالم قادر (وإلّا) اي بان لم يكن محدث العالم قادرا (لما اوجد شيئا من الحوادث) يعني المخلوقات وهو خلاف الحس والعيان لانه لو انتفت القدرة لزم العجز فلا يتاتى معه تاثير البتة واذا لم يتات منه تاثير كان علة او طبيعة تعلى الله عن ذلك علوا كبيرا فيلزم قدم العالم وقد سبق برهان حدوثه واحتياجه اليه تعلى وانه لا يتاتى وجوده من غير موجد « فان قلت » لو كان تعلى قادرا وقدرته تتعلق اولا بايجاد الممكنات فعند وجودها يستحيل ان تكون مقدورة لاستحالة ايجاد الموجد فذلك التعلق انعدم وعدم التعلق محال وما ادى الى المحال محال فكونه قادرا محال « فالجواب » ان التعلق اضافة لا وجود لها في الاعيان فلا يلزم من عدمها عدم القديم فاعرفه هذا ما يتعلق بالمطلب الاول وهو كونه قادرا واما المطلب الثاني فقد اشار اليه بقوله (بقدرة) هذا الجار يتعلق بقوله قادرا يعني ان قادريته تعلى تكون بقدرة زائدة على الذات وفيه رد على المعتزلة القائلين بان قادريته تعلى بالذات لا بقدرة زائدة على الذات ولا يخفى فساده (لانه لا يعقل قادر لا قدرة له) لان القدرة اما شرط في كون القادر قادرا او علة له او مدلولا له او جزءا من حقيقته اذ القادر من له

القدرة وعلى جميع هذه التقادير يستحيل ان يعري القادر عن القدرة هذا كله ان قلنا بثبوت الاحوال وان القادرية حال ثابتة تقوم بالذات واما ان قلنا بنفي الاحوال كما هو مذهب امام السنة الشيخ الاشعري فلا معنى للقادرية إلّا قيام القدرة بالمحل « فبرهان » كونه تعلى قادرا هو بعينه برهان اثبات القدرة له تعلى . ولما كانت القدرة زائدة على ذاته تعلى غير متحدة به اشار الى ذلك بقوله (غير متحدة) يعني ممتزجة ومختلطة (بذاته) بان يكون معه شيئا واحدا ويصح قراءة غير بالخفض نعتا لقدرة وبالنصب على تقدير اعني (وإلّا) بان كانت متحدة بذاته (لزم كون الاثنين واحدا) والكل عين جزئه او الكثير عين القليل (وهو محال لا يعقل) يعني لا يتصور في العقل وجوده بوجه من الوجوه لان القدرة والذات حقيقتان اثنتان فلو اتحدتا صارتا واحدا ولزم ما ذكر ضرورة . ثم اشار الى المطلب الثالث بقوله (قديمة) يقرأ بالخفض نعتا للقدرة يعني ان قدرته تعلى قديمة لا اول لها واستدل على ذلك بدليلين الاول ان قدرة محدث العالم قديمة (وإلّا) بان لم تكن قديمة بان كانت حادثة (كان ضدها وهو العجز قديما) اذ لا واسطة بينهما في حق كل حي واذا كان العجز قديما (فلا ينعدم ابدا) لاستحالة عدم القديم لان ما ثبت قدمه استحال عدمه (لما علمت) يعني عرفت في باب حدوث العالم (ان القديم لا يقبل العدم) واذا كان لا يقبل العدم استحال عدم العجز واذا استحال عدم العجز استحال وجود القدرة التي هي شرط في وجود العالم (فيلزم ألا يقدر ابدا) واذا لزم ألا يقدر ابدا فيلزم ألا يوجد شيء منه ابدا (ومصنوعاته) يعني مخلوقاته (تشهد) اي تقر وتعترف بلسان الحال وبلسان المقال (باستحالة) يعني بامتناع (ذلك) يعني عدم القدرة بل هو القادر القاهر فوق عباده . والدليل الثاني على قدم القدرة هو ما اشار اليه بقوله (وايضا) مما يعقل تصوره (لو كانت القدرة) القديمة (حادثة) تنزهت عن ذلك يعني مسبوقة (لاحتاجت) يعني افتقرت (في احداثها) يعني ايجادها (الى قدرة اخرى) يعني محدث قادر بقدرة ثم تنقل الكلام الى هذه القدرة التي تتوقف عليها القدرة الاولى فيلزم ايضا ان تكون حادثة لمماثلتها للاولى فتتوقف هي ايضا على قدرة اخرى للفاعل فان كانت هذه الاخرى هي الاولى التي كانت تتوقف عليها لزم الدور وان كانت غيرها لزم فيها ما لزم في الاولى وهكذا ابدا (ويازم التسلسل) وقد علمت استحالة الدور والتسلسل في باب وجوب قدمه تعلى ووجوب بقائه وانما اقتصر

هنا في العقيدة المصنف رحمه الله تعلى على التسلسل لانه بالمعنى الاعم الشامل للدور لان الدور تسلسل ايضا لكن في امور متناهية فاعرفه . ثم اشار المصنف رحمه الله الى عموم تعلق القدرة وهو المطلب الرابع وبه تمت الاربعة والحمد لله بقوله (ويلزم) عقلا ونقلا (ان تكون هذه القدرة متعلقة) يعني طالبة بان تتعلق (بجميع الممكنات) يعني الجائزات دون الواجبات الذاتية وكون المستحيلات كذلك فلا تتعلق القدرة بهما بوجه من الوجوه وكذا صفة الارادة مثل القدرة حرفا بحرف فخرج بهذا القيد الواجب العرضي كايمان ابي جهل لانهما من جملة الممكنات وسواء كانت الممكنات كلية او جزئية جواهر كانت او اجساما او اعراضا سابقة او لاحقة او مستمرة تعلق علم الله بوقوعها كوجود العالم او بعدم وقوعها كايمان ابوي جهل ولهب وشمل ايضا ما يصدر عن الفاعل الظاهري اذ هو سبحانه الخالق له وان كسبه الفاعل كما سياتي في مباحث الافعال كما شمل الاعدام والتروك الممكنة غير الازلية على نزاع فيه الاصح منه عدم تعلقها بها . وبالجملة فجميع العوالم من عرشها الى فرشها على اختلاف انواعها واحوالها واوصافها من عرش وكرسي وسماوات وكواكب سيارة او غيرها وارضين وبراري وبحار وجبال ومعادن وارياح وسحائب وحيوان عاقل او غير عاقل او غيرهما كملائكة وجان وارواح وغير ذلك مما لا يعلمه إلّا الله تعلى كلهم متصرفون بقدرته تبارك وتعلى لا يملكون لانفسهم ولا لغيرهم نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياتا فهم عاجزون اتم العجز فهم كالخيال بالنسبة الى المولى الكبير المتعال ومفتقرون اليه تبارك وتعلى اشد الافتقار ابتداء ودواما على كل حال بحيث لا يطرقون لحظة عين إلّا بارادة العزيز الجبار وهو اقرب اليهم من حبل الوريد بل اقرب من بياض العين لسواده قربا يليق بعظيم جلاله وعز سلطانه . اللهم يا من هو اهل لذلك اغفر لنا ذنوبنا ولوالدينا واولادنا واخواننا والمؤمنين والمؤمنات واجمعنا معهم في اعالي الجنان وارحمنا واياهم رحمة تليق برحمانيتك يا ارحم الراحمين بجاهك وجاه نبيك العظيم يا من يقول للشيء كن فيكون « فائدة » ليس المراد بقوله كن ما يظهر من الكلام من صدور امر منه تعلى للكائنات بلفظ كن وانما خرج مخرج الاستعارة لسرعة الاجابة بمجرد توجه الارادة فاعرفه . وبالجملة فقدرته تبارك وتعلى لا نهاية لها في متعلقاتها بمعنى انها لا تصير بحيث يمتنع تعلقها على معنى تصور ممكن من الممكنات القابلة لتاثيرها

ولا يتصور تاثيرها فيه فلان ذلك عجز ونقص ولان كثيرا من المخلوقات ابدى كنعيم اهل الجنة في الجنان وذلك بتعاقب جزئيات لا نهاية لها بحسب القدرة والامكان ولان المقتضي للقادرية هو الذات والمصحح للمقدورية هو الامكان على الراجح الصحيح ولا انقطاع لهما وبهذا استدل على شمول قدرة الله تعلى لكل موجود ممكن بمعنى انه يصح تعلقها مع ادلة شرعية دالة على شمول تدرته تعلى اجمالا مثل والله على كل شيء قدير وخلق كل شيء فقدره تقديرا وتفصيلا مثل الحمد لله الذي خلق السماوات والارض وجعل الظلمات والنور خلق الموت والحياة وهذا تصريح بالرد على طوائف الضلال القائلين بعدم شمول القدرة الازلية لجميع الممكنات كالمجوس والقدرية والمعتزلة واشباههم نجانا الله من اعتقادهم « فائدة مهمة » فان قلت هل يؤخذ من كلام المصنف رحمه الله ان التاثير في المقدور وقع بصفة المعنى لا المعنوية « فالجواب » هي مسألة خلافية وفيه بعض تسليم الاخذ والاسلم فليس في العبارة حصر يقتضيه والنص على القدرة والارادة لا ينافي ان الصفة المعنوية كذلك ولا مانع من اتحاد المتعلق كما في صفة العلم والكلام « واعلم » ان للقدرة تعلقين صلاحيا وهو التعلق الازلي بمعنى انها في الازل صالحة للايجاد والاعدام على وفق تعلق الارادة الازلية بهما فيما لا يزال وتعلقا تنجيزيا وهو التعلق الحادث المقارن لتعلق الارادة بالحدوث الحالي والتعلق الصلاحي هو طلب الصفة امرا زائدا على القيام بمحلها والتنجيزي هو صدور الكائنات عن القدرة والارادة والتعلقات عند اهل الحق ثلاثة مرتبة تعلق القدرة وتعلق الارادة وتعلق العلم فالاول مرتب على الثاني والثاني مرتب على الثالث فالترتيب في تعلق الصفات لا نفس الصفات لاستحالة ذلك عليها لكونها ازلية قال العلامة احمد الغنيمي قد تبعناهم في التعبير عن التعلق بانه حادث او قديم والمشهور انه لا يوصف بهما نعم يوصف بانه ازلي او طار او ليس بازلي او ليس بقديم او نحو ذلك فلا تغفل عما هو الاصطلاح المشهور فيما بينهم وما قل وكفى خير مما كثر والهى ولو تتبعنا هذه المباحث لخرجنا عن المقصود بالذات واحتجنا الى دواوين ولكن مرادنا تتبع كلام المصنف باختصار واحسن وجه وتبيان والفضل فضل الله ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك له ذلك فضل الله يؤتيه لمن يشاء ثم احتج المصنف رحمه الله تعلى للمذهب المنصور مذهب اهل الحق في عموم تعلق القدرة بجميع الممكنات بقوله (اذ لو تعلقت) يعني القدرة الازلية (ببعضها) يعني ببعض الممكنات

(دون بعض) لزم من ذلك احد امرين اما حدوثها او انقلاب الممكن مستحيلا بيان الحدوث ما اشار اليه بقوله (لاحتاجت) يعني لافتقرت (الى مخصص) بكسر الصاد يعني فاعل (لا) جل (استوائهما) يعني الممكنات يعني تماثلها (في حقيقة الامكان) المصحح بتعلق القدوة فاختصاص بعضها بصلاحيته لتعلق القدرة دون الاخرى ان كان بمخصص (فتكون حادثة) من حيث انه يحتاج حينئذ الى ان يكون الفاعل المخصص خلق قدرة تتعلق ببعض الممكنات وعجز ان تتعلق بالبعض الاخر (وقد عرفت) فيما سبق برهان (وجوب قدمها) يعني قدم القدرة الازلية . ثم اشار الى الامر الثاني من الامرين وهو انقلاب الممكن مستحيلا بقوله (وان فرض) يعني قدر (تخصيصها) يعني تخصيص تعلقها بالبعض (بغير مخصص) يعني بغير مرجح (لزم) ان البعض الاخر لا يصلح لذاته ان يكون متعلقا لهما لما فرض من عدم المخصص وما لا يصلح لذاته ان يكون متعلقا للقدرة منحصر في الواجب والمستحيل وكون هذا البعض الممكن واجبا لا يصلح لانه معدوم لم يوجد ولا شيء من الواجب بمعدوم فتعين ان يكون مستحيلا والفرض انه ممكن مماثل لسائر الممكنات التي تعلقت بها القدرة فقد لزم بهذا التقدير (انقلاب) حقيقة (الممكن مستحيلا) واذا انقلب هذا الممكن مستحيلا لزم انقلاب سائر الممكنات مستحيلة للتماثل فلا يقدر الاله على شيء منها ويلزم ان لا يوجد شيء منها والعقل والعيان يكذبان ذلك . ولما فرغ من ذكر فصل القدرة الازلية شرع الان في ذكر فصل الارادة السرمدية فقال (الفصل) اي هذا مبحث الفصل (الثاني) يعني من الفصول الخمسة السابقة (في) بيان وتقرير الدليل القاطع على (اثبات) يعني تحقيق صفة الارادة الازلية (و) في اثبات (احكامها) يعني احكام صفة الارادة ومراده باحكامها ما اثبته من وجوب قدمها وبقائها ووجوب عمومها لجميع الممكنات واستحالة ان تكون لغرض والارادة الازلية صفة يتاتى بها تخصيص الممكن ببعض ما يجوز عليه على وفق العلم فالازلية احتراز من الحادثة فلا تخصيص لها حقيقة من نفسها فيما قارنها ومعنى يتاتى بها يعني يتيسر ومعنى تخصيص الممكن ترجيحه وببعض ما يجوز عليه يعني على الممكن والذي يجوز عليه متقابلات ستة وهي الوجود والعدم والمقادير والصفات والازمنة والامكنة والجهات فالممكن يجوز عليه الوجود والعدم فيخصصه بالوجود دون العدم تخصيص الارادة فيه وايجاده هو

تاثير القدرة فاعرفه وعلى وفق العلم يعني ان الارادة تابعة في تعلقها لتعلق العلم فكل ما علم انه يكون من الممكنات او لا يكون فذلك مراده جل وعلا وفيه رد على المعتزلة حيث ذهبوا الى ان الارادة تابعة للامر وذلك باطل بل بينهما عموم وخصوص من وجه فقد يامر ويريد كالايمان في حق الانبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام وسائر المؤمنين وقد لا يامر ولا يريد كالكفر في حقهم حاشاهم وقد يامر ولا يريد كايمان ابي جهل فانه مامور به غير مراد وقد يريد ولا يامر ككفر الكافر والرضا اخص من الارادة بدليل قوله تعلى ولا يرضى لعبادة الكفر ويريده منهم وقيل هما بمعنى واحد وقوله ولا يرضى لعباده الكفر يعني لا يرضاه دينا ويرضاه وقوعا فاعرفه (ويلزم ايضا ان يكون محدث) يعني فاعل وموجد (العالم) بفتح اللام كل موجود سوى الله (مريدا) المطالب الاربعة المذكورة في القدرة تكون في الارادة ايضا الاول اثبات كونه تعلى مريدا الثاني ان يكون ذلك بارادة زائدة على الذات لا متحدة بها اي تكون معها شيئا واحدا الثالث وجوب قدم تلك الارادة ووجوب بقائها الرابع ان تكون تلك الارادة متعلقة بجميع الممكنات وقد اشار الى المطلب الاول بقوله مريدا (اي قاصدا) يعني مختارا (لفعله) اي الصادر منه على سبيل القصد والاختيار لا على سبيل الكراهة والاجبار وربك يخلق ما يشاء ويختار (اذ) حرف تعليل (لولا قصده) يعني اختياره وارادته (لتخصيص) يعني ترجيح (الفعل) الواقع منه تبارك وتعلى (بالوجود) بدلا من العدم الذي كان عليه (في زمن مخصوص) كماض ومستقبل وحال بدلا من مقابله (على مقدار مخصوص) كطول وقصر ومتوسط بدلا من مقابله (وصفة مخصوصة) كبياض وسواد وحركة وسكون بدلا من مقابله (للزم بقاؤه) يعني بقاء الفعل (على ما كان) الفعل (عليه اولا من عدم ذلك) المذكور وهو تخصيصه بالوجود وبالزمان وبالمقدار والصفات (كله ابد الاباد) وذاك يستلزم ان لا يوجد حادث لعدم امكان وجود القصد من الفاعل الى نقل الحوادث عن العدم الذي كان عليه الى الوجود والقدرة لا تصلح للترجيح لان نسبتها الى جميع الممكنات على حد السواء وكذا العلم لا يصلح للتخصيص لانه صفة كشف والحياة كذلك لانها ليست من الصفات المتعلقة والسمع والبصر كالعلم في التبعية والكلام لا تعلق له بالايجاد فلا بد اذا من صفة اخرى خاصيتها الترجيح والتخصيص وهي المسماة بالارادة فلم يبق إلّا ثبوتها « فان قلت » لم لا يكتفى بالقدرة وقد قلتم نسبتها الى الكل على السواء « فالجواب »

والارادة ايضا نسبتها على السواء فلتفتقر الارادة الى ارادة اخرى لا الى نهاية « فان قلت » الارادة القديمة كانت على صفة لاجلها يجب تعلقها باحداث الحادث في وقت ءاخر « فالجواب » لو كان الامر كذلك لم يكن إله بالحقيقة مختارا بل موجبا بالذات وهو قول الفلاسفة فان جاز ذلك فلم يجوز ان يقال قدرة الله تعلى كانت على صفة لاجلها يجب تعلقها بايجاد الحادث المعين في الوقت المعين ويستحيل تعلقها بايجاده في وقت ما وعلى هذا التقدير تغني القدرة عن الارادة « فالجواب » قال سيف الدين الامدي هذه المعارضة قوية وجوابها ان مفهوم كون الشيء مرجحا غير مفهوم كونه مؤثرا وذلك يوجب الفرق بين القدرة والارادة فافهم. ثم شرع يذكر اعتراضا على ماذكر من وجوب اتصاف موجد العالم بالارادة فقال (فان قدرت) يعني فرضت ان تكون (ذاته) تبارك وتعلى (علة) يعني سببا عقليا بحيث لا ينفك احدهما عن الاخر (لوجود العالم) اي صدوره عنه (او موجدا) يعني فاعلا (له) اي للعالم (بالطبع) يعني بلا اختيار وبلا قصد (حتى لا يحتاج) يعني لا يفتقر (في وجود) اي ظهور (العالم عنه) تبارك وتعلى (الى ارادة) يعني الى قصد واختيار وبالجملة فتقرير الاعتراض ان يقال لا نسلم ان موجد العالم انما يرجح الممكن ببعض الجائزات بالارادة لان ذلك انما يلزم ان لو كان فاعلا بالاختيار ولم لا يجوز ان يكون مرجحا لذلك بطبعه او بذاته بان يكون علة لوجود ما وجد من الممكنات او طبيعة على ما نبين الفرق بين العلة والطبيعة والفرق بينهما ان الايجاد بطريق العلة لا يتوقف على شرط ولا على انتفاء مانع والايجاد بطريق الطبع يتوقف عليهما ولا يلزم اقتران الطبيعة بمطبوعها كاحراق النار مع الحطب لانه قد لا يحرق بالنار لوجود مانع كبلل او تخلف شرط كعدم مماسة النار له وسياتي لهذا من كلامه زيادة بيان عن قريب ان شاء الله والجواب عن هذا الاعتراض هو ما اشار اليه بقوله (لزم حينئذ) اي حين هذا التقدير (قدم العالم) وانما لزم قدم العالم (لا) جل (وجوب اقتران) يعني مصاحبة واستناد (العلة) يعني الذات العلية (بمعلولها) يعني العالم (و) وجوب اقتران (الطبيعة بمطبوعها) كذلك ولزم ان تكون تلك العلة والطبيعة قديمة لئلا يلزم الدور او التسلسل على ما عرفت في وجوب قدم موجد العالم والمعلول والمطبوع يستحيل ان يتاخر وجوده عن وجود العلة والطبيعة فوجب قدم العالم كيف يا عجبا يكون قديما « وقد عرفت » يعني علمت بالبرهان القطعي (وجوب حدوثه) يعني حدوث العالم فتعين ان صانع

العالم فاعل مختار وربك يخلق ما يشاء ويختار . ثم شرع في ذكر اعتراضين آخرين على جوابه على تقدير صانع العالم علة وطبيعة فانه يلزم عليه قدم العالم فقال (والاعتراض على هذا) يعني على جوابه على تقدير صانع العالم علة او طبيعة فانه يلزم عليه قدم العالم (فان صانع) يعني خالق وموجد (العالم طبيعة) هذا الاول من الاعتراضين وتقريره انا لا نسلم انه يلزم على تقدير كون الصانع طبيعة قدم العالم لما تقرر ان الطبيعة لا يلزم ان تقارن مطبوعها إلّا اذا توفرت الشروط وانتفت الموانع (و) لم لا يقال (انما لم يوجد العالم معها) اي مع الطبيعة (في الازل) اي في القدم (لوجود مانع ازلي) اي قديم (منع من وجوده) يعني من وجود العالم (في الازل) اي في القدم (فلما انتفى) ذلك (المانع فيما لا يزال) يعني مقابل الازل (اوجدت) يعني اظهرت (الطبيعة حينئذ) يعني حين انتفاء المانع فيما لا يزال وجوابه ما اشار اليه من ان هذا الاعتراض (فاسد) يعني باطل (لان هذا التقدير) وهو كون المانع ازلي منع من وجوده في الازل فلما انتفى المانع الخ (يستلزم ان لا يوجد العالم ابدا) وانما استلزم ذلك وهو ان لا يوجد العالم ابدا (لان مانعه) الذي منع من وجوده (على هذا الفرض) يعني التقدير (ازلي) يعني قديم واذا كان قديما (يستحيل عدمه) يعني عدم المانع (على ما عرفت) يعني علمت وادركت (ان ما ثبت) يعني تحقق (قدمه استحال عدمه) فيستحيل اذا وجود العالم ومشاهدة وجوده تكذب ذلك الفرض « فان قلت » نفرض المانع من وجود العالم حادث ليصح عليه العدم « فالجواب » يلزم ان يكون العالم قديما لتجرد الطبيعة في الازل من المانع على هذا التقدير « فان قلت » نفرض هذا العالم حادثا مع قدم الطبيعة المؤثرة فيه هل يصح « فالجواب » لا يصح إلّا اذا فرض انه توقف على عدم مانع آخر قبله وهلم جرا فيكون هذا الفرض مستحيلا ايضا لما فيه من لزوم حوادث لا اول لها لانه حينئذ يكون وجود كل حادث منها مسبوقا بارتفاع حادث آخر الى غير نهاية وهذا محال ومن اقرب ما استدل به على استحالة حوادث لا اول لها « فنقول » لما كان كل فرد منها حادثا في نفسه فعدم جميعها ثابت في الازل والظمآن يكفيه ما تيسر من الماء فقد ظهر لك بهذا ان تقدير المانع مطلقا اعني قديما او حادثا مستحيل والثاني من الاعتراضين قوله (وكذا الاعتراض) يعني انا نقدر (بان الصانع) يعني الفاعل واطلاق لفظ الصانع عليه تعلى وارد من

قوله صلى الله عليه وسلم ان الله صانع كل صانع وصنعته (طبيعة) يعني ازلية (وتاخر العالم) بمعنى لم يوجد (عنها) اي عن الطبيعة (في الازل) يعني القدم (لا) جل (توقف وجوده) يعني العالم (على شرط لم يوجد) يعني لم يكن موجودا (في الازل) يعني القدم (فلما) يعني حين (وجد الشرط فيما لا يزال) يعني مقابل الازل (وجد العالم عن الطبيعة حينئذ) يعني حين وجود الشرط فيما لا يزال وهذا الاعتراض قريب من الاول إلا ان المانع في الاول وجودي وفي الثاني عدمي وهو عدم الشرط وجوابه ان هذا الاعتراض (فاسد ايضا) يعني باطلا (لانا ننقل الكلام الى حدوث ذلك الشرط) مع ان الطبيعة المؤثرة فيه وفي غيره قديمة (و) ان اجاب عن (تاخيره) ايضا (عن الازل) بتقدير مانع ازلي وهذا معنى قوله (كالكلام في المانع فيحتاج هو) يعني الشرط (ايضا الى تقدير مانع ازلي فيلزم) ما سبق وهو استحالة عدم ذلك المانع الازلي فيلزم (ان لا يوجد شرط العالم ابدا) لاستحالة وجود الشرط المتوقف على عدمه ويلزم ان يستحيل ايضا وجود العالم الموقوف على وجود شرطه الذي اتضحت استحالته وهذا معنى قوله (فلا يوجد العالم بشروطه ابدا او) اجاب بـ (تقدير شرط ءاخر حادث فننقل الكلام اليه) يعني الى ذلك الشرط (ويلزم) ما لزم في الاول وذلك يؤدي الى (التسلسل) يعني تسلسل شروط لا نهاية لها مجتمعة كلها في ءان واحد لانه يلزم احتياج كل شرط الى شرط مقارن له الى غير نهاية وهذا خلاف ما يلزم في تقدير الموانع الحادثة فان اللازم فيها حوادث متعاقبة لا اول لها وليست تجتمع في ءان واحد كما لزم ذلك في مقادير الشرط الحادثة « فان قلت » ما اللازم في تقدير موجد العالم فاعلا بالذات علة او طبيعة لا فاعلا بالاختيار « فالجواب » فاللازم على ذلك احد امور ثلاثة اما قدم العالم او التسلسل مع الاقتران او حوادث متعاقبة لا اول لها والاقسام الثلاثة باطلة مستحيلة على القطع فيكون موجد العالم بالذات علة او طبيعة مستحيل القطع (فثبت) يعني تعين وتحقق (بهذا) الذي تقدم ذكره (ان موجد) يعني فاعل وخالق ومخترع (العالم) وهو كل ما سوى الله من عرشه الى فرشه (مريد) يعني قاصد الفعله (مختار) يعني مرجح (لا علة يتعلى عنها ولا طبيعة) يتنزه ويتقدس عنها سبحان الفاعل بالاختيار وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخير سبحان الله وتعلى عما يشركون . ثم شرع في ذكر بقية مطالب الارادة وما بينها وبين كونه تعلى مريدا

من اللزوم فقال (ويلزم ان يكون ذلك) يعني كونه تعلى مريدا اي يلزم ان تكون مريديته تعلى (بارادة) يعني بقصد واختيار وهذا المطلب الثاني من مطالب الارادة الاربعة كما للقدرة وهو ان تكون الاراده زائدة على الذات لا متحد بها والمطلب الثالث اشار اليه بقوله وان تكون تلك الارادة (قديمة) بالخفض نعت للارادة لاستحالة حدوثها لان حدوثها يستلزم حدوث موصوفها وهو الذات العلية وحدوث الذات محال فحدوث الارادة وحدوث كل صفة من صفاته القائمة بالذات محال فوجب ان تكون قديمة وهو المطلوب . ثم اشار الى المطلب الرابع وهو تمامها بقوله وان تكون (عامة) التعلق (في جميع الممكنات) يعني الجائزات دون الواجبات الذاتية والمستحيلات كذلك (خيرا كانت) يعني الممكنات كالايمان والاسلام والطاعة (او) كانت الممكنات (شرا) كالكفر والاشراك والمعصية او كانت ما ليس بخير ولا شر ولا طاعة ولا معصية كالمباح لذاته ما لم يعرض له عارض او نية فيخرجه عن دائرة المباح اما للوجوب واما للتحريم كالنكاح والبيع والشراء وما اشبه ذلك فاعرفه ولما اطنب في صفة القدرة بذكر قيود وادلة وغير ذلك واختصر في صفة الارادة شبهها بها لان حكمها كحكمها معللا بذلك بقوله (لما عرفت) يعني علمت قبل (في) مبحث (القدرة) يعني فكما انه لا يعقل قادر لا قدرة له كذلك يعقل مريد لا ارادة له وكما ان القدرة يجب قدمها وإلا لكان ضدها وهو العجز قديما والقديم لا ينعدم ابدا فيلزم ان لا توجد القدرة ابدا فلا يوجد شيء من العالم ابدا لتوقف وجوده على القدرة وايضا فلو كانت القدرة حادثة لاحتاجت في حدوثها الى قدرة اخرى ولزم التسلسل كذلك يقال في الارادة لو كانت حادثة لاحتاجت الى ارادة اخرى ولزم التسلسل كما وجب عموم القدرة لجميع الممكنات وإلا لزم حدوثها للافتقار الى المخصص او يلزم انقلاب الممكن مستحيلا كذلك يلزم حرفا بحرف في الارادة لانها اختها مشاركة لها في حكمها « فان قلت » يلزم من ثبوت عموم تعلق الارادة نفيها للزوم المحال. وبيانه ان نسبة الارادة الى الفعل والترك والى جميع الاوقات على السواء اذ لو لم يجز تعلقها بالطرف الاخر وفي الوقت الاخر لزم نفي القدرة والاختيار واذا كانت على السواء فتعلقها بالفعل مثلا دون الترك وفي هذا الوقت دون غيره مفتقر الى مرجح ومخصص لامتناع وقوع الممكن بلا مرجح كما ذكرتم ويلزم تسلسل الارادة وهو محال « فالجواب » ان الارادة تتعلق بالمراد لذاتها من غير افتقار الى مرجح آخر لانها

صفة شانها التخصيص والترجيح للمساوي والمرجوح وليس هذا من وجود الممكن بلاموجد وترجحه بلا مرجح في شيء « فان قلت » فمع تعلق الارادة لايبقى التمكن من الترك وينتفي الاختيار « فالجواب » قد تقرر ان الوجوب بالاختيار محقق للاختيار « فان قلت » ان الارادة لا تبقى بعد الايجاد ضرورة فيلزم عدم القديم وهو محال « فالجواب » انها صفة تتعلق بالفعل وتتعلق بالترك فتخصص ما تعلقت به وترجحه وعند وقوع المراد يزول تعلقها الحادث مع بقائها بحالها وبقاء تعلقها الصلاحي بحاله ايضا وبهذا يندفع ما يقال انها لا تكون بدون المراد فليزم من قدمها قدم المراد فيلزم قدم العالم على ان قدم المراد لا يوجب قدم العالم لان معناه ان يريد الله تعلى في الازل ايجاد العالم واحداثه في وقت ويشكل بايجاد الزمان إلّا ان يجعل امرا مقدرا لا تحقق له في الاعيان ومن هنا علم ان للارادة تعلقين ازلي وحادث تنجيزي كما للقدرة سواء وبالجملة مع اجماع اهل السنة على ان الكائنات كلها انما تقع بارادة الله تعلى ولا فرق في ذلك بين الكفر والايمان ولا بين الطاعة والعصيان اختلفوا في جواز اطلاق ارادة الله كفر زيد وزنا عمرو ومنعه طلبا للادب معه تعلى والتفرقة بين مقام التعليم فيجوز ذلك فيه وفي غيره فيمتنع للزوم الادب واستحسن هذا المصنف رحمه الله (و) يلزم (ان تكون ارادته) الازلية تبارك وتعلى (لا لغرض) يعني باعث وحاجة وعلة (له) تبارك وتعلى اذ يستحيل ان تكون ارادته تعلى لغرض من الاغراض في وجود فعلا او في اعدامه بل هو جل وعلا مختار فيهما واستدل على هذا المطلب بان الغرض اما ان يعود اليه تعلى او الى خلقه اما عوده عليه فاشار اليه بقوله (وإلّا) بان كان له غرض في وجود فعل او في عدمه (كان) تعلى (ناقصا) يعني غير كامل (في ذاته) تعلى العلية الغنية (متكملا بفعله) وهو خلق المصلحة لان كمال تلك المصلحة قد فاتته على هذا الفرض قبل خلق الفعل الذي وجدت معه وفوت الكمال نقص (وذلك) يعني كونه ناقصا في ذاته متكملا بفعله (محال) لا يتصور في العقل وجوده بوجه من الوجوه فبطل ان تكون ارادته لغرض وهو المطلوب واما عوده الى خلقه فقد اشار اليه بقوله (ولا لغرض لخلقه) يعني كما انه تعلى لا غرض له يعود اليه في وجود فعل او في عدمه كذلك لا غرض له يعود الى خلقه كخلق الثواب والعقاب والصلاح والاصلح (وإلّا) بان كان تعلى يبعثه على الفعل ايصال المصالح للعباد (لوجب عليه) تعلى (مراعاة) يعني وجوب (الصلاح) وهو ما ضده فساد

(والاصلح) وهو ما ضده صلاح وقيل الصلاح لامور الدنيا والاصلح لامور الاخرة (لهم) يعني للخلق (وهو) اي مراعاة الصلاح والاصلح للخلق (محال) يعني لا يتصور في العقل وجوده بوجه من الوجوه (لما سياتي) من دليل بطلانه فيما يجوز في حقه تعلى واقرب شيء يدلك على بطلانه ايلام الله تعلى الاطفال ولا صلاح لهم في ذلك قطعا وان قدر ثم مصلحة هو قادر ان يوصلها بغير ايلام وكذا تخليد الكافر مع مساواته للمؤمن المخلد في النعيم اذ كل منهما لا اثر له في شيء من افعاله وكذا تكليف الخلق في الدنيا اي مصلحة لهم فيه وايضا لو وجب عليه الاصلح لما بقي للتفضيل مجال ولم يكن له تعلى خيرة في الانعام وهو باطل لقوله تعلى وربك يخلق ما يشاء ويختار يختص برحمته من يشاء . ولما فرغ من الكلام على نفي الغرض في الافعال شرع يتكلم على نفي الغرض في الاحكام فقال (وكما) عرفت انه (استحال) اي امتنع (ان يريد سبحانه او يفعل) فعلا او تركا (لغرض) يعني لباعث او حاجة من مراعاة مصلحة تعود عليه او لخلقه (كذلك استحال) ايضا يعني متنع (ان يكون حكمه) الشرعي والعقلي والعادي الدنيوي والاخروي (على فعل) من الافعال (بوجوب) كصلاة وصيام مثلا ونحوهما (او تحريم) كشرب خمر مثلا وزنا ونحوهما (او غيرهما) يعني غير الوجوب كمندوب كضحى وقيام ليل ونحوهما ومكروه كنفل بعد فرض عصر وضيام يوم مكرر ونحوهما ومباح كنكاح وبيع وشراء ونحوها وخلاف اولى والصحة والفساد والحظر وما اشبه ذلك (من الاحكام) جمع حكم (الشرعية) يعني المنسوبة للشرع العزيز احيانا الله عليه واماتنا كذلك بجاة من جاء به وقوله (لغرض) يعني باعث متعلق باستحال (من الاغراض) يعني البواعث والحاجات وانما استحال ان يكون حكمه على فعل بوجوب الى قوله لغرض من الاغراض (لان) البرهان القاطع دل على ان (الافعال كلها) الصادرة من الخلق المكتسبة منها وغيرها (مستوية) يعني متماثلة (في انها) اي الافعال (خلقه) يعني مخلوقا له لا لغيره والله خلقكم وما تعملون انا كل شيء خلقناه بقدر لا شك انها خلقه (واختراعه) يعني مخترعا له وبالجملة فسميع الكائنات كلها تسند اليه بدءا بلا واسطة من انس او جن او ملك او غيرها وما ينسب اليها على وجه يظهر منه التاثير فهو مؤول وتاويله عندها لا بها اذ لا اثر لكل ما سواه في اثر ما على العموم وهذا يوجب استواء الافعال بالنسبة اليه جل وعز (فتعين) يعني تخصيص وترجيح

(بعضها) اي بعض الافعال (للايجاب) يعني الوجوب كحج وزكاة مثلا (و) تعيين (بعضها) يعني بعض الافعال (للتحريم) يعني المحرم كشرب خمر وزنا مثلا (او غيره) يعني غير التحريم كالمكروه مثلا والمندوب (سبب له) عقلي يبعثه تعلى عليه (ولا مجال) يعني مدخل من الجولان بالجيم المنقوطة من اسفل (للعقل) وانما يدرك العقل الامارات والعلامات الشرعية التي نصبها الشرع على تلك الاحكام ووضعها علامة عليها كوضع زوال الشمس سببا لوجوب الظهر وتمام الحول لوجوب الزكاة والحيض لعدم الصلاة ورؤية الهلال لوجوب صوم شهر رمضان والسرقة لقطع اليد مثلا والطاعة للثواب والمعصية للعقاب فهذه كلها امارات شرعية جعلها الله على تلك الاحكام لخفائها علينا فضلا منه واختيارا اذ لو عكس بان جعل الطاعة امارة على العقاب والمعصية على الثواب لم يلزم من ذلك نقص في حقه تبارك وتعلى فتنبه لذلك والظمآن يكفيه ما تيسر من الماء والحاصل لا مجال للعقل (فيه) يعني في تعيين بعضها للايجاب وبعضها للتحريم الخ (اصلا) يعني بوجه من الوجوه (وانما يعرف بالشرع فقط) وبهذا تعرف فساد ما زعمه المعتزلة من ان العقل وحده يتوصل الى معرفة احكام الله تعلى بغير واسطة الرسل عليهم الصلاة والسلام وهذه المسألة هي المعبر عنها بالتحسين والتقبيح او الحسن والقبح فليس الحسن شرعا عند اهل الحق إلَّا ما قال الشرع فيه افعلوه وليس القبيح شرعا إلَّا ما قال فيه لا تفعلوه وتخصيص كل واحد منهما بما اختص به من الافعال لا علة له ولا باعث ولا حاجة وبالله تعلى التوفيق والى هذا اشار بقوله (وبالجملة) يعني حاصل الكلام (فافعاله تعلى) كالثواب والعقاب وارسال الرسل والصلاح والاصلح (واحكامه) كالواجب والمندوب والمحرم والمكروه والمباح (لا علة لها) يعني لا حاجة ولا باعث (وما يوجد من التعليل لذلك في كلام اهل الشرع فمؤول بالامارة ونحوها مما يصح) هذا كانه جواب عن سؤال وهو ان يقال انتم قلتم ان افعال الله تعلى واحكامه لا علة لها ولا باعث ينتقض قولكم بوجود ذلك في كلام فقهاء اهل السنة رضي الله عنهم لانه يفهم منه ذلك فلما استشعر المصنف هذا السؤال اشار الى الجواب عن ذلك بقوله وما يوجد من التعليل لذلك في كلام اهل الشرع الخ يعني ما يذكره فقهاء اهل السنة من علل الاحكام كالزوال مثلا علة لوجوب الظهر لا يفهم على ظاهره من العلة الباعثة للشارع على الحكم كما يقوله المعتزلة بل مرادهم الامارات التي نصبها الشرع بمحض الاختيار او ارادوا بها

المصالح التي راعاها الشرع مع تلك الاحكام تفضلا منه لا على طريق الوجوب العقلي وكذا ما يوجد في الكتاب والسنة من ايهام تعليل افعال الله تعلى بالاغراض كقوله تعلى وما خلقت الجن والانس إلّا ليعبدون فانه يجب تاويله فتجعل اللام فيه لام الصيرورة اي ما خلقت الجن والانس إلّا صائرين للامر بالعبادة وانما قررنا الامر في الاية لئلا يتوهم ان المعنى انهم خلقوا مرادا منهم ان يعبدوا الله تعلى اذ لو كان كذلك لما عصى منهم احد لاستحالة ان يريد الله شيئا ولا يقع والمعتزلة قد ضلوا في هذا وفي غيره فانظره في اصل المصنف ان شئت والله الموفق للصواب . ولما فرغ من الكلام على الفصل الثاني في الارادة شرع في الكلام على الفصل الثالث في العلم فقال (الفصل الثالث) يعني من الفصول الخمسة (في) بيان اقامة الدليل القاطع على (وجوب علمه) تبارك وتعلى والعلم صفة ينكشف بها المعلوم على ما هو به انكشافا لا يحتمل النقيض بوجه من الوجوه فمعنى ينكشف يتضح فخرج الظن والشك والوهم لان احتمال نقيض المظنون مثلا لا يمتنع انكشافه وعلى ما هو به تاكيد وتصريح باخراج الجهل المركب لانه لا ينكشف به المعلوم على ما هو به وخرج بقوله لا يقبل النقيض الاعتقاد الجازم لانه يحتمل النقيض بتشكيك مشكك ان كان عن ضرورة او برهان او بالسلب والعياذ بالله ان كان عنهما فاعرفه « فان قلت » يرد على هذا الحد لزوم الدور وذلك ان المحدود يتوقف على الحد والحد يتوقف على المحدود « فالجواب » عدم لزوم ذلك لان الحد المذكور لفظي وقد صرحوا بان الحدود اللفظية لا يرد عليها الدور وبالمعلوم ما شانه ان يعلم وهو كل واجب وكل جائز وكل مستحيل (و) مراده من قوله و (ما يتعلق) به ما ذكره من تنزه العلم على الاتصاف بكونه ضروريا او نظريا وما ذكره من وجوب تعلقه بما لا نهاية له من جميع ما دلت عليه الاحكام العقلية (ويلزم ان يكون محدث) يعني فاعل وموجد (العالم) بفتح اللام كل موجود سوى الله وهذا الفصل ايضا يجتمع على اربعة مطالب الاول اثبات كونه (عالما) والدليل على كونه عالما ما اشار اليه بقوله (لما احتوى) يعني انطوى واحاط (عليه من حقائق الصنع وعجائب الاسرار) يعني انه لولم يكن محدث العالم عالما لم يكن كل فرد من افراد العالم متصفا بما لا يحاط به من انواع المحاسن ودقائقها التي تعجز العقول عن الاحاطة بادناها ومن جوز صدور تلك العجائب مع كثرتها وخروجها عن حد الحصر من الجاهل على سبيل الاتفاق كان

معاندا للحق جاحدا للضرورة وسقطت مكالمته لخروجه عن حيز العقلاء ومن تأمل الانسان الذي نسبته الى سائر العالم كلا شيء وجد فيه من الغرائب والعجائب ما تحير العقول الراجحة الكاملة فيه إلّا بمنحة ربانية او سر إلاهي فانه اذا تاملت فيه وجدته مشتملا على ما في العالم باسره من عرش وكرسي ولوح وقلم وسماوات ونجوم وكواكب سيارة وغير سيارة وشمس وقمر واریاح وسحاب وارضين وبراري وبحار واودية وعيون وانهار وجبال ومعادن ومياه على اختلاف اوصافها من عذوبة وملوحة ومرارة ونيران وهواء وتراب ونبات واشجار وليل ونهار ونور وظلام وجنة ونار وانس وجان وملائكة وارواح فسبحان من جمع هذه المتضادات في هذا الشكل والهيكل الصغير ومع هذا كله جميع العالم من عرشه الى فرشه مسخر له وهو الذي سخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه وفي الحديث القدسي عبدي خلقتك لاشياء من اجلك وخلقت لاجلي من غير استحقاق له لانه غني عن العالمين يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد . وفي هذا المعنى يقول الشيخ العارف بالله ابو العباس احمد بن محمد المعروف بابن البنا السرقسطي ثم العباسي رحمه الله

يا سابقا في موكب الابداع ولا حقا في جيش الاختراع
اعقل فانت نسخة الوجود لله ما اعطاك من موجود
اليس فيك العرش والكرسي والعالم العلوي والسفلي
ما العالم إلّا رجل كبير وانت مثله طفل صغير

فانظر يا اخي بعين البصيرة وتامل في هذه الخلقة الانسانية الربانية ما اكملها واشرفها واكرمها على الله ولقد كرمنا بني ءادم ولم يخلق خلقا اشرف واكمل واحسن من الانسان لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم. وبالجملة فقد جعل الله الانسان برزخا جامعا لجميع العوالم والمعلومات من يوم ان علم الله ءادم الاسماء كلها فهو بالضرورة ءادمي وبالعقل ملكي وبالخيال جني وبالروح رباني قال الله العظيم ولكن كونوا ربانيين والربي هو الذي يقول للشيء كن فيكون باذن الله وهو بالذات فقير بنفسه وبالقلب غني بربه ولو تتبعنا في الانسان من الاسرار والعجائب لرايت امرا يهولك والحمد لله الذي خلقنا ءادميين ومن امة محمد صلى الله عليه وسلم الصادق الامين (و) يلزم (ان يكون ذلك يعني كونه عالما) بعلم (زائد على الذات لا متحد بها وهذا هو المطلب الثاني واشار الى المطلب الثالث بقوله (قديم)

بالخفض نعت للعلم يعني لا اول له (بما سبق) يعني تقدم (في) صفة (القدرة) يعني لان كون العالم عالما من غير علم يقوم به لا يعقل والدليل على كون ذلك العلم قديما انه لو كان حادثا لكان ضده من الجهل ونحوه قديما والقديم لا ينعدم فيلزم ان لا يتصف بالعلم ابدا ومصنوعاته تشهد بكذب ذلك وايضا فلو كان العلم حادثا لاحتاج في احداثه الى علم اخر يتعلق به اذ القصد الى احداثه فرع العلم به ثم تنقل الكلام الى العلم الاخر فيحتاج هو ايضا في احداثه الى علم اخر ويلزم التسلسل (منزه) يعني مطهر ومقدس بالخفض نعتا لقوله بعلم قديم (عن الضرورة) يعني عن ان يقارنه ضرر اوحاجة كعلمنا بالمنا وجوعنا وإلّا لزم ان يكون عاجزا عن دفع الضرر وهو محال وقد يطلق الضروري على ما يحصل بغير نظر وهو بهذا المعنى صحيح في علمه تعلى إلّا ان اطلاقه عليه تعلى لا يجوز شرعا لما افهمه من الضرر والالجاء (و) منزه عن (النظر) وإلّا كان حادثا لان النظري هو الذي يحصل بعد النظر والتامل وذلك على الله محال لانه من خواص الحوادث (وإلّا) بان لم يكن منزها عن الضرورة والنظر (قارنه) يعني صاحبه (الضرر او كان حادثا) هذا من باب اللف والنشر المرتب فاللف في قوله الضرورة والنظر والنشر في قوله قارنه الضرر او كان حادثا فمقارنته الضرر دليل على استحالة كون علمه تعلى ضروريا والحدوث دليل على استحالة كونه نظريا ثم اشار الى المطلب الرابع وهو عموم التعلق للعلم بقوله (ويتعلق) يعني العلم الازلي تعلقا واحدا ازليا وهو صريح كلام المصنف رحمه الله في كبراه في فصل وجوب الوحدة للصفات وقيل له تعلقان ازلي وغير ازلي وهو ظاهر كلام ابن ابي شريف في حواشي العقائد عند قوله صفة ازلية ينكشف بها المعلومات عند تعلقها بها اي بها تمتاز المدركات عند تعلق تلك الصفة امتيازا قديما اذا كان ذلك التعلق قديما وهو التعلق بالنسبة الى الازليات المتجددات باعتبار وجودها الان او في الزمان الماضي فلا اشكال في توقيت الانكشاف بالتعلق انتهى ويتعلق العلم (بجميع اقسام) جمع قسم بكسر القاف (الحكم العقلي) يعني الواجبات وهو ذات الله وصفاته ومنها علمه فيعلم سبحانه وتعلى علمه بعلمه نفسه والمستحيلات كاتصاف مولانا باضداد صفاته تعلى وكمالاته ومعنى تعلق علمه بالمستحيل علمه تعلى باستحالته والجائزات وهي ذات العالم من عرشه الى فرشه وصفاته كلياته وجزئياته « فان قلت » كيف تعلق العلم بالواجبات والمستحيلات « فالجواب » وانما تعلق بهما لانه ليس من صفات التاثير

بخلاف القدرة والارادة فانهما من صفات التاثير والتاثير تغيير فلذلك لم تتعلق القدرة والارادة بهما فاعرفه « فان قلت » ما معنى قولهم العلم بالوقوع تابع للوقوع « فالجواب » معناه ان الممكن الذي علم الله وقوعه علم في الازل انه معدوم وانه سيوجد في زمان كذا في جهة كذا على مقدار كذا ولم يتعلق علمه بوقوعه إلّا بعد وقوعه واما قبل ان يقع فيلزم تعلق علمه بالشيء على خلاف ما هو عليه فتنبه لذلك وبالجملة فمعلوماته تبارك وتعلى لا نهاية لها والدليل على ان علمه تبارك وتعلى يتعلق بجميع اقسام الحكم العقلي ما اشار اليه بقوله (وإلّا) بان لم يتعلق بجميع اقسام الحكم العقلي بل تعلق ببعضها دون بعض (لزم الافتقار) يعني الاحتياج (الى المخصص (بكسر الصاد يعني الى الفاعل المختار لاستواء الجميع بالنسبة اليه وذلك يوجب حدوثه وحدوثه يستلزم حدوث موصوفه وذلك محال لما سبق بالبرهان القاطع على وجوب القدم والبقاء لذاته تعلى ولجميع صفاته وايضا لو علم بالبعض دون البعض لا تصف بالجهل والجهل بالبعض يستلزم الجهل بالجميع واذا جهل بالجميع لزم انتفاء الاتقان والعيان يكذبه واذا انتفى الجهل لزم إتصافه بالعلم وهو المطلوب « فان قلت » ينتقض هذا الدليل بما يتخذه النحل بغير إله من البيوت المحكمة المسدسة التي لا يعرف وضع مثلها إلّا الهندسيون ومعلوم ان النحلة من الحيوان غير العاقل وقد صدر من فعلها ما صدر فكيف يصح مع هذا ان يستدل باحكام الفعل واشتماله على دقائق الصنع على علم صانعه « فالجواب » قد عرفت ان لا تاثير لشيء من الكائنات في اثر ما البتة فهي منسوبة الى الله تعلى خلقا واختراعا وانما وقع ذلك الشكل بمجرد خلق الله واختراعه والهم النحل لاتخاذه مسكنا كما الهم العنكبوت وسائر الحيوانات لمصالحها الذي خلق كل شيء ثم هدى فهو من جملة ما يدل على عظيم علمه جل وعلا ولو سلم انه من فعلها فلا نسلم انها غير عالمة به حينئذ بل خرقت في حقها العادة والهمت علم ذلك وخلق لها كما خلق للنملة علما بسليمان عليه السلام وبجنوده حتى قالت يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم ثم تعليم دقائق العلوم وحقائقها لمن ليس اهلا لمطلق العلم فكيف بدقائقه من ادل دليل على شرف علمه جل وعلا وباهر قدرته ونفوذ ارادته وانفاد جميع الكائنات لمشيئته تبارك وتعلى وقوله (كما سبق) يعني تقدم في صفة القدرة والارادة وقد زدنا هنا بيانا على ما هنا لك . ولما فرغ من الكلام على الفصل الثالث في العلم شرع في الكلام على الفصل الرابع في السمع

والبصر والكلام فقال (الفصل الرابع) يعني من الفصول الخمسة (في) بيان اقامة الدليل القاطع على (اثبات السمع) الازلي وهو صفته المنكشف له بها كل موجود على ما هو عليه انكشافا يباين غيره ضرورة من غير حد ينتهي به السمع في الموجودات (والبصر) الازلي وهو صفته المنكشف له بها كل موجود ما هو عليه انكشافا يباين غيره ضرورة من غير حد ينتهي به البصر في الموجودات (والكلام) الازلي وهو صفته القائم بذاته تعلى المنافي للسكوت والافة هو به امرناه مخبر الى غير ذلك يدل عليه بالعبارة والكتابة والاشارة فاذا عبر عنه بالعربية فالقرآن وبالسريانية فالانجيل وبالعبرانية فالتوراة فالمسمى واحد وان اختلفت العبارات هذا معنى كلامه سبحانه ومراده بقوله (وما يتعلق بذلك) ما ذكر في الادراك والصفات السمعية التي اختلف في اثباتها الشيخ الاشعري وغيره وما اوضح من الصفات اللائقة بكلام الله تعلى وانما جمع هذه الثلاثة في فصل واحد لاشتراكها في كون دلالتها نقلية ولكونها ايضا لاتتوقف عليها دلالة المعجزة (ويلزم ان يكون تعلى سميعا) يعني مدركا لكل موجود بادراك زائد على العلم الذي سبق برهان وجوبه وسمي ذلك الادراك السمع و (بصيرا) يعني مدركا لكل موجود بادراك زائد على العلم ايضا وسمى ذلك الادراك البصر و (متكلما) يعني دالا لكل معلوم وتسمى تلك الدلالة الكلام (بسمع) يتعلق بقوله سميعا (و) بـ (صير) يتعلق ايضا بقوله بصيرا (قديمين) بالجر نعتا لقوله بسمع وبصر يعني ازليين لا اول لهما ولا افتتاح (متعلقين) تعلقا ازليا كتعلقهما في الازل بذاته العلية وبصفاته الوجودية الداخلة هما فيها وتعلقا غير ازلي كتعلقهما فيما لا يزال بذوات الحوادث الكائنات كلها وجميع صفاتها الوجودية (بكل موجود) يعني سواء كان قديما او حادثا كما تقدم دون المستحيل الذي لا يتصور في العقل وجوده ازلا وابدا لمحض عدمه والمعدوم لا يسمع شيئا ولا يرى ضرورة فلا تعلق لهما به وبالجملة فالسمع والبصر في حقه تعلى متحدان في التعلق ومختلفان في الحقيقة اذ كل واحد منهما له تعلق يخصه ليس هو عين الاخر وهذا معنى قولهم في الحد يباين سواه ضرورة فاعرفه (وبكلام) يتعلق بقوله متكلما فهو من اللف والنشر المرتب فلا تغفل (قديم) بالخفض نعت لكلام يعني لا اول له والدليل على وجوب قدمه استحالة اتصافه تعلى بالحوادث (قائم بذاته) فيه رد على المعتزلة القائلين بانه لا يقوم بذاته وانما يخلقه في جرم من الاجرام تعلى الله عن قولهم ومن اجل انه تعلى قديم استحال عليه تعلى ان

يتصف بما تتصف به الحوادث من الحروف والاصوات واليه اشار بقوله (ليس) كلامه تعلى (بحرف ولا صوت) ضرورة انها اعراض حادثة مشروط حدوث بعضها بانقضاء البعض لان امتناع التكلم بالحرف الثاني بدون انقضاء الحرف الاول بديهي يدركه كل عقل سليم باول توجهه واخر الصوت لانه بمنزلة العام والحرف بمنزلة الخاص ولا يلزم من نفي الخاص نفي العام اذ قد يوجد صوت بدون حرف ومن قدم الصوت راعى انه معروض للحرف والمعروض مقدم بالطبع (ولا يتجدد) التجدد هو معاودة الكلام بعد السكوت وذلك من اوصاف الحوادث والله منزه عن ذلك (ولا يطرا عليه سكوت) بوجه من الوجوه وإلّا كان السابق حادثا لانعدامه بالسكوت واللاحق بعد السكوت ظاهر الحدوث لطرو العدم عليه والقديم لا يقبل العدم واللاحق حادث لسبق عدمه وحقيقة السكوت هو ترك الكلام مع القدرة عليه (ولا يتصف بتقديم ولا تاخير) يعني لانه ليس مركبا من الحروف والاصوات وانما هو صفة واحدة تعلقت بما لا يتناهى (ولا ابتداء ولا انتهاء) يعني لا باول ولا بآخر لحدوث كل منهما والله قديم منزه عن ذلك (ولا كل ولا) هما بعض ايضا من اوصاف الكلام الحادث وكلام الله قديم والقديم لا يوصف باوصاف الحوادث اذ كيفيته مجهولة لانا كما لا نحيط بذاته كذلك لا نحيط بجميع حقائق صفاته والحروف انما هي عبارة عنه والعبارة غير المعبر عنه فلذلك اختلفت باختلاف الالسنة ولم يختلف هو فحروف القرءان حادثة والمعبر عنه بما هو المعنى القائم بذات الله قديم (ويتعلق) يعني الكلام الازلي تعلقا صلاحيا قديما وتعلقا تنجيزيا حادثا ولا يرد ما امر الله له مما علم انه لا يقع وامره تعلى بوقوع ذلك المامور وعليه بعدمه لان تعلقات الكلام كثيرة فانه وان لم يتعلق بترك المامور بطريق الامر فقد تعلق به بطريق الوعد والوعيد والخبر بعدم وقوعه (بكل ما) اي الذي (يتعلق به العلم) من المتعلقات الواجبات كقوله تعلى قل هو الله احد الله الصمد والمستحيلات كقوله تعلى يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا احد والجائز كقوله تعلى والله خلقكم وما تعملون وبالجملة فهما متحدان في التعلق وان اختلفا في الحقيقة اذ كل واحد منهما له تعلق يخصه ليس هو عين الاخر فافهم ثم شرع في الدليل على اثبات السمع والبصر والكلام واحتج عليها بدليلين عقلي ونقلي وقدم العقلي اما لضعفه او على ان الواو لا تقتضي ترتيبا فقال (ويدل على اتصافه) تعلى (بهذه الثلاث) يعني السمع والبصر والكلام

(العقل) وبيانه انه تبارك وتعلى حي والحي يجب إتصافه بالسمع والبصر والكلام فالله يجب اتصافه بالسمع والبصر والكلام (لاستحالة اتصافه باضدادها) المعلوم كل منها من مقابله وهي نقائص تنافي كماله والنقص عليه تعلى محال لا يتصور جوازه في حقه تعلى فانه سبحانه لو اتصف بالنقص لزم احتياجه حينئذ الى من يدفع عنه ذلك النقص ويوجد له الكمال وذلك يستلزم حدوثه تعلى لان القابل للحادث حادث وايضا لو اتصف تعلى بشيء من تلك النقائص لزم ان يكون بعض مخلوقاته اكمل منه لسلامة كثير من المخلوقين منها ويستحيل ان يكون المخلوق اشرف من خالقه تعلى وتقدس عن ذلك . ثم اشار الى الدليل النقلي فقال (والنقل وهو) اي الدليل النقلي (اولى) يعني احق واجدر من الدليل العقلي في هذه الثلاثة لكونه ضعيفا ووجه ضعفه ان ذاته تعلى لم تعرف حتى يحكم بمجرد العقل ان هذه الصفات الثلاثة كمالات في حقه يصح اتصافه بها بحيث يلزم اذا لم يتصف بها ان يتصف باضدادها وانما نعرف من صفاته تعلى بالعقل ما دلت عليه افعاله بحيث لو لم تكن تلك الصفة لم يمكن ان يكون فعلا من الافعال فان لم نجد في العقل دلالة لجأنا الى السمع فان لم يرد وجب الوقف وقد ورد السماع بثبوت هذه الصفات الثلاثة فوجب القطع بثبوتها من الكتاب والسنة والاجماع اما الكتاب فقوله تعلى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وقوله وكلم الله موسى تكليما واما السنة فقوله صلى الله عليه وسلم ايها الناس ارفقوا باصواتكم فانكم لا تدعون اصم ولا اعمى ولا ابكما ولكن سميعا بصيرا متكلما وهو معكم واما الاجماع فقد اجمع السلف الصالح قبل ظهور البدع على وصفه بالصفات الثلاث هذا في اثباتها واما عموم التعلق لهذه الصفات وتنزيه الكلام عن الحرف والصوت والتقديم والتاخير والكلية والبعضية وسائر انواع التغيرات وتقديسه عن جميع لوازم صفات المحدثات فهو بالعقل قطعا . ولما فرغ من الكلام على السمع والبصر والكلام شرع في صفة الادراك وما فيه من الخلاف بين العلماء فقيل بالاثبات وقيل بالنفي وقيل بالوقف وهو احسنها وارجحها فقال (ومن ثم) اي من اجل ان الاولى في اثبات ما تقرر انه كمال في الشاهد كالسمع والبصر والكلام والاعتماد على دليل الشرع وقد ورد في تلك الثلاثة فوجب اثباتها ولم يرد في هذا الادراك الاخر فوجب الوقف على اثباته ونفيه كما قال (كان المختار) يعني الراجح عند المقترح وابن التلمساني رحمهما الله (الوقف) يعني وقف حيرة (لعدم ورود) يعني مجيء (النقل) يعني الشرع (فيه) يعني في

الادراك (بالاثبات او بالنفي) وذهب امام الحرمين الى ان ادراك المشمومات وادراك المذوقات وادراك الملموسات ثابتة لله تعلى زائدة على العلم من غير جارحة ولا اتصال ولا حدوث وجزم بعضهم بنفيه بما رآه ملزوم الاتصال بالاجسام يعني ويدخل في العلم « فان قلت » ما حقيقة الادراك على القول به « فالجواب » هو عبارة عن صفة ينكشف بها الموجود على ما هو به انكشافا يباين سواه ضرورة وهو في جميع ما تقدم للسمع والبصر مثلهما حرفا بحرف سواء بسواء . ولما فرغ من الكلام على السمع والبصر والكلام والادراك على القول به شرع الان في بيان صفات سمعية وهي عبارة عن معاني ورد السمع بها واعني بها الكتاب والسنة المتواترة وكذا خبر الآحاد بشرط اعتقاد الدليل العقلي وفيها ثلاثة اقوال الاول للشيخ الاشعري بانها صفات زائدة على الثمانية المعلومة واليه اشار بقوله (وفي كون الاستواء) نحو على العرش استوى (واليد) نحو يد الله فوق ايديهم (والعين) نحو تجري باعيننا (والوجه) نحو ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام (اسماء لصفات) تقوم بذاته تعلى (غير الثمانية) يعني الوجودية وهي صفات المعاني وهي القدرة والارادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام والادراك على القول به وهذا مع القطع باستحالة الظاهر ثم اشار الى القول الثاني وهو لامام الحرمين لانها مؤولة فقال (او مؤولة) يعني مفسرة وجوبا بان تحملها على خلاف ظاهرها فتؤول الاستواء (بالاستيلاء و) اليد تؤولها (بالقدرة و) العين تؤولها (بالبصر و) الوجه تؤوله بـ (الوجود) وهذا القول اعلم اي احوج للعلم . ثم اشار الى القول الثالث وهو للسلف الصالح بالوقف على تاويلها وتفويض معانيها الى الله تعلى فقال (او يوقف) يعني يتوقف ولا يتسور (على تاويلها) يعني تفسيرها (وتفويض) علم (معانيها) يعني هذه الصفات السمعية (الى الله تعلى) لصحة حمل اللفظ على محامل ولم يعين الشرع ان المراد بعضها فتعيين بعضها بغير نقل عن صاحب الشرع تسور على الغيب بغير دليل وهذا القول هو احسن الاقوال واسلمها لكن التفويض يكون (بعد التنزيه) يعني التقديس والتطهير (عن ظواهرها) يعني الجوارح والاعضاء (المستحيلة) يعني الممنوعة (اجماعا ثلاثة) مبتدأ مؤخر وخبره الجار والمجرور السابق وهو قوله وفي كون الاستواء وقوله ثلاثة يعني ثلاثة اقوال (للشيخ الاشعري) الاول (وامام الحرمين) الثاني (والسلف) الثالث رحمة الله عليهم ونفعنا بهم وجعلنا الله منهم في الدنيا

والاخرة ويرحم الله والدينا واولادنا واخـوانا وجميع المسلمـين . ولما فرغ من الكلام على الفصول الاربعة في بيان ما يتعلق بالقدرة والارادة والعلم والسمع والبصر والكلام شرع في بيان الفصل الخامس في بيان الحياة وما يتعلق بها فقال الفصل الخامس وهو ختامها وتمامها (في) بيان (وجوب حياته تعلى) الازلية وهي صفته القائمة بالمدرك بها على المدركات كالمشمومات والمذوقات المدركة لغيره تعلى بالحـواس المنزه تعلى عنها وهي لا تتعلق بشيء سوى ذات الحي بخلاف غيرها من الصفات التي تقتضي زائدا على القيام بالذات كالعلم مثلا فانه بعد قيـامه بالذات يطلب امرا يعلم به وكذا باقي هذه السبع (و) في بيان وجوب (اقامة يعني) نصب (براهين) يعني ادلة عقلية (قطعية) اي قاطعة صفة كاشفة اذ البرهـان لا يكون إلّا قطعي الدلالة (على وجـوب القدم) يعني عدم الاولية (و) على وجوب (البقـاء) يعني عدم الاخريـة (لجميع) يعني كل (ما) اي الذي (تتصف به ذات مولانا) اي ناصرنا ومتولي امورنا دنيا واخرى (جل) اتصف بالرفعة التي لا يماثل وعز انفرد بصفة الجلال واضاف هذا الفصل في اثبات الحياة اثبات القدم والبقاء لجميع الصفات التي تقوم بذات مولانا جل وعز تكميلا للفائدة وإلّا فقد تقدم في الفصول السابقة ما يرشد الى دليل ذلك (وانه) اي الله (يتعلى) يعني يتنزه ويتقدس (عن الاتصاف بالحوادث) الناقصة بالنسبة الى مقام جلاله ورفعته وسلطـانه الغني عن كل ما سواه « فان قلت » لم أخر الكلام في الحياة لهذا الفصل « فالجواب » لان ما سبق من صفات المعـاني والمعنوية كل واحد منهـا يصلح ان يستدل به على ثبـوت الحياة لان ثبوتها مشـروط بثبوتها وثبوت المشروط دليل على ثبوت شرطه والعلم بالدليل سابق على العلم بالمدلول فتقديم تلك الفصول على هذا الفصل من باب تقديم الدليل على المدلول وإلّا فهي من جهة انها شرط في تلك الصفـات مقدمة بالذات عليها لتوقف وجـود المشروط على وجود شرطه إلّا ان التوقف هنا توقف معية لا توقف تقدم اذ صفات الباري جل وعز كلها ازلية يستحيل تقدم بعضها على بعض بالوجود فاعرفه (ويلزم ان يكون) تبارك و (تعلى حيا) الحي هو ذو الحيـاة التي لا يجوز عليها عدم ولا سنة ولا نوم ولا كدر ولا سقم ولا انتسابها الى روح ومزاج وطبيعة ولا شيء من انـواع العـلاج هو الحي القيوم لا أله ألّا هو . ثم شرع في اقـامة الدليل على وجوب الحيـاة بقوله (وإلّا) بان لم يكن حيا (لم يتصف بعلم ولا قدرة ولا ارادة ولا سمـع ولا بصر

ولا كلام) ووجه الاستدلال بها ان ثبوت هذه الصفات مشروط بثبوتها فلو انتفت الحياة لانتفت تلك الصفات التي قام البرهان على وجوبها له تعلى لما تقرر ان عدم الشرط يستلزم عدم المشروط لكن نفي تلك الصفات محال القيام البرهان على وجوبها فنفي شرطها الذي هو الحياة محال وقوله (بحياة) يتعلق بقوله حيا (قديمة) بالخفض نعت لحياة يعني غير مسبوقة بعدم (لما سبق) يعني تقدم (من وجوب قدم مشروطها) يعني مشروط الحياة وهي القدرة والارادة والعلم والسمع والبصر والكلام (والشرط) الذي هو الحياة (يستحيل) يعني يمتنع (تاخيره) يعني مفارقته (عن مشروطه) وهي الصفات السابقة فثبت بهذا وجوب قدم حياته وهو المطلوب (واجبة البقاء) ضرورة ان وجوب القدم يستلزم وجوب البقاء (وإلّا) بان لم تكن واجبة البقا (لانتفى قدمها) الواجب لها دون كل موجود (وقد عرفت) يعني علمت (الان وجوبه) يعني وجوب قدمه فاذا يجب بقاؤه تبارك وتعلى وهو المطلوب لان كل ما ثبت قدمه استحال عدمه ولما بين بالبرهان وجوب القدم والبقاء للحياة ولما قبلها من الصفات بين هنا بالبرهان وجوب القدم والبقاء لسائر الصفات التي تقوم بذاته تعلى على العموم ما عرفناه منها وما لم نعرفه بحيث يقطع باستحالة ان تكون الذات العلية محلا للحوادث واحتج على هذا المطلب بثلاثة ادلة اشار الى الاول منها بقوله (وكذا يجب القدم والبقاء لسائر) اي لجميع (الصفات التي تقوم بذاته تعلى) وتتصف بها اتصافا لازما لا تعقل بدونه (اذ) تعليلية (لو قبلت) الذات العلية تعالت (العدم) بان سبقها على وجودها فرضا وتقديرا (لكانت) يعني الذات العلية (حادثة) يعني مسبوقة بالعدم وانما كانت حادثة مسبوقة بالعدم (لما عرفت) يعني علمت وتحققت وتيقنت (ان القديم) الازلي الذي لا اولية لوجوده (لا يقبل العدم) بوجه من الوجوه لان الدليل دل على ان ما ثبت قدمه استحال عدمه والله تعلى اعلم (وهو) اي الله (تعلى يستحيل) يعني يمتنع (ان يتصف بصفة حادثة) يعني مسبوقة بالعدم (وإلّا) بان اتصف تعلى عن ذلك بصفة حادثة (لكانت ذاته) العلية تعالت وتنزهت (قابلة لها) يعني للصفة الحادثة (في الازل) يعني القدم وانما كانت قابلة لها في الازل (لان) الذات من حيث هي ذات (قبوله لها) يعني لكل ما تتصف به (نفسي) لها لا يمكن ان تعقل بدونه لان ما بالنفس لا يختلف عنه بوجه من الوجوه اذ لا يمكن ان يطرا عليها بعد ان لم يكن (لو كان ايضا) ما تقبله الذات العلية (حادثا للذات)

تعالت عنه وتنزهت (لاحتاجت) يعني لافتقرت (الذات الى) طرو (قبول آخر) ثم ذلك القبول يفتقر الى قبول آخر (لذلك القبول) ثم يلزم مثل ذلك في قبول ذلك القبول (و) يلزم على هذا التقدير ان (يتسلسل) وهو محال فتعين ان قبول كل ذات لماتتصف به لا يكون إلّا نفسيا لها ويستحيل ان يكون طارئا عليها بعد ان لم يكن لها (واذا لزم ان يكون قبوله) تبارك وتعلى (لتلك الصفه المفروضة) يعني المقدرة فرضا (الحدوث) يعني المسبوقة بالعدم (كائنا) قبوله لها (في الازل) اي القدم (صح) يعني ثبت وتحقق بلا شك ولا ريب (ان يتصف) سبحانه وتعلى عن ذلك (بتلك الصفة الحادثة) يعني المقدرة الحدوث (في الازل) اي القدم (اذ) تعليل (لا معنى لقبول) الذات (إلّا ذلك) يعني صحة اتصافها بها وذلك يستلزم ان يكون القدم والحدوث جائزين على تلك الصفة (وذلك محال) لا يتصور في العقل وجوده (اذ) تعليل (الحادث) يعني المسبوق بالعدم (لا يمكن) يعني لا يجوز ولا يصح ولا يتصور (ان يكون) يعني الحادث (قديما) بلا بداية وانما لا يمكن ان يكون قديما (لان من لازم القديم) الذي ثبت له القدم إلّا (يقبل العدم) اصلا لا سابقا ولا لاحقا (والحادث قد قبل العدم) سابقا وجوبا وجوازا لحوقا (واتصف) يعني الحادث (به) يعني بالعدم (فهما) يعني القدم والحدوث (متنافيان) يعني تنافي النقيضين بحسب الموصوف بهما فما قبل الاتصاف باحدهما لا يقبل الاتصاف بالاخر فاذا هذه الصفة المفروضة الحدوث لا تقبلها الذات العلية في الازل لاستحالة ان يتصف بالقدم كل ما جازعليه الحدوث واذا لم تقبلها الذات العلية في الازل لاستحالة ان يتصف بالقدم جاز عليه الحدوث واذا لم تقبلها الذات العلية في الازل لزم ان لا تقبلها ابدا لما عرفت من استحالة ان يطرا على الذات قبول الصفة بعد ان لم يكن لها واذا لزم ان لاتقبل الذات العلية الصفة الحادثة ابدا لزم ان لا يتصف بها ابدا لاستحالة اتصاف ذاته بصفة وهي لا تقبلها (فخرج) اي ظهر وبان واتضح لك (بهذا) البرهان القاطع (ان كل ما) يعني جميع الذي (قبلته الذات العلية من الصفات فهو ازلي) يعني قديم لا يتصور في العقل عدمه بوجه من الوجوه (واجب لها) اي للذات وينعكس بعكس النقيض الموافق الى ان كل ما ليس بازلي فلا تقبله الذات العلية واذا كان واجبا لها (لا يتصور) يعني لا يتعقل (ان يكون) ما تقبله الذات العلية (حادثا) يعني مسبوقا بالعدم بوجه من الوجوه (وما لا تقبله الذات

العلية في الازل) اي القدم (فلا تقبله ابدا لما عرفت) يعني علمت فيما سبق (من استحالة) يعني امتناع (ان يطرأ) يعني يحدث (القبول على الذات العلية بعد ان لم يكن لها) اذ لو طرأ بعد ان لم يكن لزم ان تكون تلك الصفة واجبة اذ كل ما صح قدمه لم يقبل ان يكون حادثا وبيان ذلك ان تلك الصفة التي يقبلها القديم اذ لا يخلو اما ان تكون واجبة الوجود او مستحيلة الوجود او جائزة الوجود وكونها مستحيلة الوجود واضحة البطلان اذ لو كانت كذلك لما قبل ان يتصف بها القديم بل ولا غيره وكذا ايضا يبطل كونها جائزة الوجود والا لما قبلها القديم في الازل اذ الجايز لا يكون إلا حادثا لاحتياجه الى المخصص والازل ينافي الاحتياج الى المخصص فاذا حقيقه الجائز تنافي الازل قطعا واذا بطل القسمان في هذه الصفة التي قبلتها الذات العلية في الازل تعين فيها القسم الثالث وهو ان تكون واجبة الوجود وهو المطلوب « وبالجملة » فتاخر الصفة عن الازل يستلزم امكانها وكل ممكن فهو واجب الحدوث وما وجب حدوثه فلا يقبل الوجود في الازل فاذا الجمع بين كون الصفة تقبلها الذات العلية في الازل وبين كون تلك الصفة تقبل التاخر عن الازل تناقض بلا شك فقد ظهر لك بهذا البرهان القاطع ما ذكرناه ان كل ما تقبله الذات العلية من الصفات يلزم ان يكون ازليا واجبا لها فلا يقبل التاخر عن وجودها واما ما تقبله الذوات الحادثة من الصفات فانما لم يلزم وجوبها لتلك الذوات من جهة ان تلك الذوات لما كانت حادثة لم يقدح تاخر مقبولها عن وجودها في صحة اتصافها به حال وجودها اولا ومولانا هو الفاعل المختار المقدم المؤخر يفعل ما يريد ويقدم ما شاء من ذلك ويؤخر « وبالجملة » فلا تناقض في الحادث بين قولنا انه يصح اتصافه بصفة كذا حال وجوده وبين قولنا يصح تاخر تلك الصفة عنه اذ لا ملازمة بين صحة الجائز وبين وقوعه بخلاف القديم فتنبه لذلك وناهيك بفهم هذا التدقيق فانه في غاية التحقيق وهذا الذي ينبغي ان يعول عليه ثم اشار الى الدليل الثاني على استحالة قيام الحوادث بذاته تعالى بقوله (وايضا) مما يعقل تصوره (لو اتصف تعالى بصفة حادثة) يعني لو فرض اتصافه تعالى بصفة حادثة يعني مسبوقة بالعدم فانه (لم يجز) يعني لم يخل اما (ان يعرو) يعني يتجرد وينفك (عنها) اي عن الصفة الحادثة (او) يعرى ويتجرد وينفك (عن ضدها) يعني ضد تلك الصفة الحادثة (او) يعرى ويتجرد وينفك (عن مثلها) يعني مثل تلك الصفة الحادثة (وإلّا) بان عرى عن الصفة الحادثة او عن ضدها او عن مثلها (لجاز)

اي لامكن وصح (عروه) اي تجرده (عن جميع) يعني كل (الصفات) القائمة بذاته تعلى وانما لزم ذلك (لان قبوله) يعني قبول الذات (لها) اي للصفات (ذاتي) يعني نفسي للقابل وما بالنفس (لا يتخلف) عن ذلك القبول بوجه من الوجوه فاذا ما وجب لبعض الصفات التي تقبلها ذات اي ذات كانت يجب لتلك الصفات (وقد عرفت) يعني علمت وتيقنت (فيما سبق) تقريره بالبرهان القاطع (استحالة) اي امتناع (عروه) اي تجرده (تعلى عن العلم والقدرة والارادة والحياة) فاذا استحال عروه عن هذه الصفات وجب الاتصاف بها وهو المطلوب (فثبت) يعني تحقق (ان كل ما يقبله) سبحانه وتعلى (من الصفات لا يعرى) يعني لا يتجرد ولا ينفك (عنه) اي عما يقبله من الصفات (إلا الاتصاف بضدها) اي ضد تلك الصفة المفروضة الحدوث فان لم تقبل ضده تعين ان تقبل مثله واليه اشار بقوله (او مثله) اي مثل الضد (لكن ضد تلك الصفة الحادثة او مثلها لا يكون) يعني الضد او مثله (إلا حادثا) يعني مسبوقا بالعدم (بدليل طريان عدمه) اي عدم الضد او المثل لانهما ان تاخر وجودهما عن تلك الصفة الحادثة فحدوثهما ظاهر وان تقدما عليهما فطرو عدمهما عند الاتصاف بتلك الصفة الحادثة يستلزم نفي قدمهما لما عرفت ان القديم لا يصح عدمه والى هذا اشار بقوله (اذ القديم لا ينعدم) للقاعدة الكلية وهو ان من ثبت قدمه استحال عدمه (وما لا يعرى) اي يتجرد وينفك (عن الحوادث يكون) ما لا يعرى عن الحوادث (حادثا ضرورة) يعني لزوما لا ينفك عن ذلك واذا وجب الحدوث لهذه الثلاثة لزم من قبول الذات واحدا منها ان تكون حادثة لوجوب ملازمة الذات حينئذ لما تقبله وهو احد هذه الثلاثة الحادثة لا بعينه ولا يصح ادعاء ان الذات لا تقبل تلك الصفة الحادثة ولا مثلها لان فرض قبول الذات للاتصاف بتلك الصفة الحادثة يستلزم قبوله لمثلها ضرورة وايضا فهذه الدعوة تستلزم قبوله لمثلها ضرورة وايضا فهذه الدعوة تستلزم حدوث الذات ضرورة لانها اذا لم تقبل إلا تلك الصفة الحادثة وجب ان لاتتجرد عنها وتلك الصفة لم تكن في الازل فيلزم ان تكون الذات الملازمة لها كذلك واشار اليه بقوله (فلزم انه لو اتصف تعلى بصفة حادثة لوجب حدوثه ضرورة) كيف يتصور هذا (وقد عرفت) يعني علمت وتيقنت بالبرهان القاطع (وجوب قدمه جل وعلا) ومن ثبت قدمه استحال عدمه. ثم اشار الى الدليل الثالث على استحالة قيام الحوادث بذاته تعلى بقوله (وايضا) مما يعقل

تصوره (فهو) اي الله (جل وعز لا يتصف إلا بالكمال) المطلق (اجماعا) اي اتفاقا اذ لو اتصف بصفة حادثة لزم اتصافه بالنقص تعلى عنه (فيلزم في هذه الصفة الحادثة) يعني المسبوقة بالعدم لان الحادث لا يكون الا مسبوقا به (التي فرض) يعني قدر بالبناء للمجهول (اتصافه تعلى بها) يعني بالصفة الحادثة بانها لا تخلو اما (ان تكون) الصفة الحادثة (من صفات الكمال) او تكون من صفات النقص فلزوم اتصافه تعلى بالنقص على تقدير اتصافه جل وعلا بتلك الصفة الحادثة واضح وان كانت من صفات الكمال لزم ان تفوت الذات في الازل اي لاتكون ثابتة لها فيه لاستحالة كون الحادث قديما وهو معنى قوله (وقد فاتت ذاته العلية في الازل) يعني لفوات هذه الصفة الكاملة لها (لفرض حدوثها او) لا خفاء ان (فوت الكمال نقص (وهو) اي الله تبارك و (تعلى منزه) يعني مقدس مطهر (منه) يعني عن النقص (باجماع) يعني باتفاق (العقلاء) وغير العقلاء هم والانعام سواء بل هم اضل فقد بان لك بهذا ان اتصافه تعلى بصفة حادثة يستلزم اتصافه تعلى بصفة نقص سواء قدرت ان تلك الصفة الحادثة صفة نقص او قدرت انها صفة كمال ولما كان لزوم النقص على التقدير الاول اعني تقدير النقص ظاهرا وعلى الثاني اعني تقدير الكمال خفيا اضرب المصنف رحمه الله في اصل العقيدة عن التقدير الاول لوضوح لزوم النقص معه واقتصر على بيان الثاني لخفائه ثم استشعر المصنف رحمه الله تعلى اعتراض معترض على هذا البرهان الثالث فقال (ولا يعترض) يعني لا يرد (على هذا) يعني على البرهان الثالث (بانه لا يلزم فوت الذات العلية كمال هذه الصفة الحادثة) يعني ما ذكرتموه من لزوم النقص له تعلى على تقدير اتصافه بصفة حادثة غير مسلم وقولكم في بيان لزوم ذلك لان تلك الصفة لا بد وان تكون صفة كمال وقد فاتت الذات في الازل وفوت الكمال نقص لا يصح (لاحتمال) ان نقول لما كانت ذاته عز وجل ازلية فما المانع من ان يقال (باتصافه) قبل تلك الصفة الحادثة المفروضة (بامثالها) يعني امثال تلك الصفة (على التوالي) يعني على التعاقب (لا الى اول) فلا تفوت حينئذ الذات كمال هذه الصفة لا في الازل ولا فيما لا يزال « والجواب » على هذا الاعتراض ما اشار اليه بقوله (لانا نقول لا يخفى) من (ان هذا الاحتمال) الذي اعترض به هذا المعترض على الدليل (باطل) قطعا (لانه) يعني هذا الاحتمال (تسلسل) اي تعقب (من باب) اي طريق (حوادث) يعني وجودات (لا اول) يعني لا افتتاح

(لها) يعني للحوادث (وهو) اي حوادث لا اول لها (ظاهر) يعني بين (الاستحالة) اي الامتناع فثبت بهذا الذي تقرر استحالة قيام الحوادث بذاته تعلى وهو المطلوب . ولما فرغ من مباحث استحالة قيام الحوادث بذاته تعلى شرع في ذكر وجوب وحدة كل صفة من صفاته فقال (ويلزم ايضا) من ماض يئيض اذا رجع يعني انه يجب (ان تكون كل صفة من صفاته تعلى) يعني التي تقوم بذات مولانا جل وعز كالعلم والقدرة ونحوهما (واحدة) فيعلم جل وعز جميع المعلومات التي لا نهاية لها بعلم واحد ويقدر على جميع المقدورات التي لانهاية لها بقدرة واحدة وقس على هذا ما بقي من الصفات والدليل على وجوب الوحدة لكل واحدة من هذه الصفات ما اشار اليه بقوله (وإلّا) اي بان لم تكن كل صفة من صفاته تعلى واحدة بل كانت متعددة كأن يقدر انه تعلى يعلم المعلومات بعلوم متعددة او يقدر على المقدورات بقدرات متعددة او يريد المرادات بارادات متعددة ويقدر مثل ذلك في سائر الصفات لزم على هذا التقدير اجتماع المثلين وبيان اللزوم ان العلم الواحد له تعلى يجب ان يتعلق بكل ما لا نهاية له من المعلومات فلو فرض انه له تعلى علما آخر لوجب ان يتعلق بمثل ما يتعلق به العلم الاول فيتماثلان ومحلاهما واحد لا تعدد فيه فقد لزم اجتماع المثلين.وقس على هذا باقي الصفات واستدل ايضا في اصل العقيدة على وجوب الوحدة في صفاته تعلى بانه لو تعددت لزم تحصيل الحاصل واليه اشار بقوله (وتحصيل الحاصل) ولزوم ذلك واضح لانه لو كانت له حياة زائدة او علما مثلا لكان احد العلمين او احد الحياتين اما ان يحصل للذات ما هو لازم لها وهو كون الذات حية عالمة ولا شك ان ذلك تحصيل لما حصل للذات لحصول ذلك لها بالحياة الاخرى والعلم الاخر واما ان لا يحصل للذات ذلك اللازم فيلزم ان يكون حيا وعالما بدون لازمهما الذي يستحيل ان يوجدا عاريين عنهما (وذلك محال) لا يتصور في العقل وجوده ومن الادلة ايضا على استحالة التعدد في الصفات المعلقة انما هو لو تعددت بتعدد متعلقاتها لزم دخول ما لا نهاية له في الوجود وهو محال وإلّا لم يكن لبعض الاعداد ترجيح على بعض فيفتقر في تعيين بعضها الى مخصص وذلك يوجب حدوثها وقد تبين وجوب قدمها هذا خلف فتعين اذا وجوب وحدتها وهو المطلوب . ولما فرغ من الكلام على مباحث الصفة النفسية والسلبية والمعاني وكانت الوحدانية من جملة الصفات السلبية شرع الان في ذكرها واخرها الى

الموضع لتوقف برهانها على كثير مما سبق فقال : (باب) اي هذا باب في بيان اقامة (الدليل) القاطع (على وجوب الوحدانية له جل وعلا) هذا باب الوحدانية وينبغي ان نقدم قبل الشروع في مسائله مقدمة في معنى الوحدة وفي اقسامها فنقول اما معنى الوحدة فقال ناصر الدين البيضاوي في طوالعه هو كون الشيء بحيث لا ينقسم الى امور متشاركة في الماهية وتعريفه شامل للواحد الحقيقي وهو ما لا ينقسم اصلا وللواحد الاضافي وهو ما لا ينقسم لكن الى امور مستوية في الحقيقة كالانسان المنقسم الى الاعضاء المختلفة من يد ورجل وراس ونحوها غير مستوية في الماهية ويخرج من التعريف ما انقسم الى امور متساوية في الماهية كجماعة نقط من عسل او من ماء ونحوهما واما اقسام الوحدة فكثيرة الواحد الحقيقي والواحد بالشخص والواحد بالجنس والواحد بالنوع والواحد بالفصل والواحد بالعرض ثم الواحد بالشخص اما واحد بالاتصال او واحد بالاجتماع ويسمى الواحد بالتركيب والواحد بالارتباط ثم الواحد بالعرض اما واحد بالمحمول واما واحد بالموضوع فهذه اقسام سبعة ووجه التقسيم اليها ان الواحد اما ان يكون لا ينقسم بوجه من الوجوه او لا . الاول الواحد الحقيقي والثاني اما من يكون بحيث يمنع حمله على كثيرين مختلفين كزيد فهو الواحد بالشخص واما ان يكون بحيث لا يمنع على كثيرين ولا بد ان يكون واحدا من وجه كثير من وجه بحيث تغاير الوجهين لتنافيهما واذا كان كذلك فجهة الوحدة اما ان تكون الماهية لمعروض الكثرة او جزءا منها او خارجا عنها والاول هو الواحد بالنوع كاتحاد زيد وعمرو في الانسانية والثاني وهو جزء الماهية اما ان يعم حقيقتين فاكثر وهو الواحد بالجنس لاتحاد الانسان والفرس في الحيوان او يختص بحقيقة واحدة وهو الواحد بالفصل كاتحاد زيد وعمرو في الناطقية والثالث وهو الواحد بالعرض قسمان لانه اما ان تكون جهة الاتحاد محمولة على التعدد كاتحاد القطن والثلج في حمل البياض عليهما ويسمى الواحد بالمحمول او تكون جهة الاتحاد موضوعة له كاتحاد الضاحك والكاتب في وضع الانسان لهما اي يحملان عليه ويسمى الواحد بالموضوع ثم الواحد بالشخص القابل للقسمة اما ان تكون الاقسام التي تحصل بالقسمة متشابهة بالاسم كالمقدار او لغيره كالجسم البسيط فانه يقبلها بواسطة المقدار او تكون الاقسام مختلفة كالبدن المنقسم الى الاعضاء المختلفة وهو الواحد باجتماع ويسمى الواحد بالتركيب والواحد بالارتباط فاذا عرفت هذا

فاعلم ان المراد من كونه جل وعلا واحدا نفي قبوله الانقسام ونفي نظير له في الالوهية وحاصله نفي الكمية المتصلة والكمية المنفصلة وفي معناه نفي نظير له تعلى في الالوهية ونفي شريك معه في جميع الممكنات فلا مؤثر في جميعها سواه فهو الواحد في ذاته اي غير مؤلف من جزءين فاكثر والواحد في صفاته فلا مثل له ولا نظير والواحد في افعاله فلا شريك له فيها ولا ضد ولا وزير وبالجملة فالمقطوع به شهادة البراهين العقلية والقواطع السمعية انه جل وعلا ذات قائم بنفسه اي مستغنى عن المحل والمؤثر لوجوب وجوده موصوف بما لا يحاط به من صفات الجمال والجلال (و) في بيان اقامة الدليل القاطع على (وجوب اسناد) يعني اضافة (الكائنات) يعني الجائزات (كلها) على اختلاف احوالها علويها وسفليها ماضيها ومستقبلها افعال الحيوانات عاقلة او غيرها انسها وجنها وملكها ظلمانيها ونورانيها ما كان وما يكون الى ما لا نهاية له يعني الى الله تعلى اذ لا اثر لكل ما سواه على العموم (ابتداء) يعني ودواما اما ابتداء ففي حالة وجود الممكن فان الله تعلى اذا اراد بقاءه خلق له عرض البقاء واذا اراد فناءه خلق له عرض الفناء (بلا واسطة آلة) يعني كملك او انس او جن او غيرها كالقدوم للنجار مثلا (له) تبارك وتعلى (منها) يعني من الكائنات (ولا معين) يعينه على ايجاد شيء منها بوجه من الوجوه فيتعلى عن ذلك من وجب له الغناء المطلق رب العالمين وما ينسب منها لغيره كملك الحياة وملك الموت وملك النبات وملك الامطار وغير ذلك ومسائل الربط العادي كلها من هذا القبيل فهو مؤول وتاويله ان الفعل عندها لا بها وكما يفعل تبارك وتعلى مع وجودها يفعل مع عدمها ان شاء وانما ذلك حكمة لا آلة اذ الالة هي التي يتعذر الفعل بدونها كقدوم النجار وقلم الكاتب ونحو ذلك نتنبه لهذا (و) وجوب اعتقاد (انه) اي الشان (ليس في الوجود) الذهني والخارجي (إلّا الله) اي الذات الواجبة الوجود المسماة بهذا الاسم الاعظم الاقدس الارفع (سبحانه) مصدر سبح بمعنى قدس ونزه (و) انه ليس في الوجود كذلك إلّا افعاله تبارك وتعلى فلا خالق سواه والله خلقكم وما تعملون (ويلزم) يعني يجب عقلا وشرعا (ان يكون) الله تبارك و (تعلى واحدا في ذاته) يعني وفي صفاته وفي افعاله اما وحدانية الذات فهي عبارة عن نفي التعدد مطلقا متصلا كان او منفصلا (بمعنى انه) اي الله (غير مركب) في نفسه ولا يمكن وجود ذات اخرى منفصلة عنها تماثلها وانما اكتفى

المصنف رحمه الله في اصل العقيدة بنفي التعدد المتصل وهو نفي التركيب في الذات لفهم الثاني المنفصل عنه واما وحدانية الصفات فهي عبارة عن وجوب انفراده تعالى بصفاته وعدم امكان ان يتصف ذات بمثل صفاته جل وعلا واما وحدانية الافعال فهي عبارة عن انفراده جل وعز بايجاد جميع الكائنات بلا واسطة وانه لا تاثير لكل ما سواه في اثر ما على العموم فهذه لاقسام الثلاثة مما يجب تحقق كل مؤمن لها وبمعرفتها والاطلاع على برهانها يكون موحدا عارفا ؛ ثم شرع في ذكر الدليل على وحدانية الذات فقال (وإلّا) اي بان كان مركبا بان وقع التعدد فيها فان كان متصلا (لزم ان يكون) تبارك وتعلى (جسما) اذ لا معنى للجسم إلّا المركب من جزءين فاكثر (وايضا) مما يعقل تصوره (فلو تركب) بان يقع التعدد في ذات الاله بان يتركب (من جزءين فاكثر) يعني فاعلا (لم يخل) يعني لم يعد (اما ان يقوم صفات الالوهية) من القدرة والارادة والعلم العامة التعلق ونحوها من صفات الاله الفروض تركيبه (او يختص) يعني يستقل (قيامها) يعني قيام صفات الالوهية (بالبعض) يعني بجزء واحد مثلا دون ما عداه (والاول) وهوان يقوم بكل جزء صفات الالوهية (يلزم منه تعداد) يعني تكثر (الالهة) بان يكون كل جزء لها مستقل وذلك محال لما ستعرف من دليل استحالة تعدد الاله (الثاني) وهو ان يختص قيام صفة الالوهية بالبعض دون ما عداه فيلزم منه ان يكون ذلك الجزء الذي قامت به صفات الالوهية وحده هو الاله ويكون الجزء الاخر وحده ذاتا قديمة وليست بإله قطعا وقد عرفت فيما سبق ان لا قديم في الذوات إلّاالله تعلى وايضا فاختصاص . حد الجزءين ان كان محلا لصفات الالوهية دون الاخر المماثل له (يلزم منه الحدوث للاحتياج) يعني للافتقار (الى المخصص) بكسر الصاد يعني الى الفاعل (بعضها) يعني بعض الاجزاء دون البعض الاخر (بصفات الالوهية) من القدرة والارادة والعلم دون البعض الاخر وانما لزم ذلك (لاستواء) يعني لتماثل (جميعها) يعني جميع تلك الاجزاء (في قبول تلك الصفات) يعني صفات الالوهية من القدرة والارادة والعلم فاختصاص البعض بصفات الالوهية دون البعض يوجب الاحتياج الى الفاعل المخصص فتكون تلك الصفات حادثة وقد عرفت فيما سبق وجوب قدم الاله ووجوب قدم صفاته وبمثل هذا تعرف استحالة التعدد المنفصل في ذات الاله لانه لو كان ثم ذات اخرى مثلها لم يخل ايضا اما ان تتصف بمثل صفاتها فيلزم تعدد الاله وسياتي دليل بطلانه او لا تتصف بمثل ذلك

فيلزم احتياج صفة الاله الى المخصص ويلزم الحدوث على ما عرفت فيما مضى . ثم استشعر المصنف رحمه الله سؤال سائل وهو ان يقال انتم نفيتم التركيب في ذات الاله فلم لا يقال انها جزء لا يتجزأ بان تنتهي في الدقة الى حد لا يقبل الانقسام اشار الى الجواب عن ذلك دفعا لهذا الوهم الفاسد بقال (وليس معنى نفي التركيب) المتوهم (في الذات العلية) تعالت وتنزهت عن ذلك جل ربنا عن كل ما اكتنفته لحظات الافكار والاوهام (انها) اي الذات العلية (جزء) مستقل بنفسه (لا يتجزأ) يعني لا ينقسم كما في الجوهر الفرد (وإلّا) بان كانت الذات العلية جزءا لا يتجزا (لزم) من ذلك (ان تكون) الذات العلية (جوهرا فردا) تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا والجوهر الفرد في عرف المتكلمين هو الجزء الذي لا يقبل القسمة لا حسا ولا وهما ولا عقلا ولا تخيلا كيف يكون ذلك (وقد سبق) يعني تقدم فيما مضى (استحالة) يعني امتناع (الجرمية عليه) يعني على الله تبارك وتعلى (مطقا) يعني مركبة كانت الجرمية او بسيطة فسبحان من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . ثم نبه المصنف رحمه الله تعلى على معنى المراد من ذلك بقوله (وانما المقصود) يعني المراد من ذلك (ان الذات العلية) وان كانت قائمة بنفسها فليست معنى من المعاني فهي مع ذلك (لا تقبل صغرا) وهو ما قلت اجزاؤه (ولا) تقبل (كبرا) وهو ما كثرت اجزاؤه وانما لم تقبل ذلك (لانهما) يعني الصغر والكبر (من عوارض) يعني خواص (الاجرام وهو) اي الله (تعلى) مباين (للاجرام وصفاتها على ما تقرر في فصل وجوب مخالفته جل وعلا للحوادث (ستحيل) يعني يمتنع (ان يكون جرما) كثيفا او شفافا والعجز بعد هذا عن الادراك ادراك ولا يعرف الله تعلى على الكمال إلّا الله وما قدروا الله حق قدره وبالله التوفيق . ولما فرغ من الكلام في الدليل على وحدانية الذات شرع الان في الكلام في الدليل على وحدانية الصفاة فقال (ويلزم) يعني انه يجب عقلا وشرعا (ان يكون) تبارك و (تعلى واحدا في صفاته) يعني في حقيقة كل صفة منها يكون عنه تركيبها او نظير لها قائم بذات سواه او بذاته والى هذا اشار بقوله (بمعنى) يعني واحد في صفاته (انه لا مثل) يعني ان لا نظير (له) تبارك وتعلى في صفاته العلية كما لا شبيه له في ذاته الازلية السنية ثم استدل في هذا الكلام على بطلان وجود مثل لمولانا جل وعز بدليلين أحدهما ما اشار اليه بقوله

(وإلَّا) يعني بان كان له مثل في صفاته تقدس عن ذلك (لزم) يعني وجب وثبت (الحدوث) وانما وجب الحدوث ان كان له مثل (لاحتياج) يعني لافتقار (كل) يعني كل واحد (من المثلين) يعني النظيرين (الى من يخصصه) يعني الى من يرجحه (بالعارض) اي بالوصف الجائز (الذي يمتاز) يعني يتبين (به) اي بالوصف العارض (عن مثله) يعني عن نظيره الاخر لامتناع الاثنينية بدون التمايز ولا يمكن ان تكون هذه الصفة التي امتاز كل واحد منها عن مثله واجبة له وإلَّا لم يمتز بها ويجب حينئذ ان يتصف مثله لاستحالة امتياز احد المثلين بصفة واجبة عن مثله فلزم اذا ان تكون تلك المميزة عارضة اعني جائزة لكل واحد منهما وذلك يستلزم حدوثها وافتقارها الى الفاعل المرجح واذا كانت حادثة لزم حدوث كل واحد من الالهين لاستحالة عرو كل واحد منهما عن الصفة التي تميزه عن الاخر وقد وجب الحدوث لتلك الصفة التي ميزته عن مثله فوجب حدوثه اذ مالا يعرى عن الحوادث حادث ضرورة هذا ما يتعلق بالدليل الاول من دليلي العقيدة واما الدليل الثاني فقد اشار اليه بقوله (وايضا) مما يعقل تصوره انه (لو كان معه) تعلى (ثان ، مماثل له (في الوهيته) يعني في صفاته (لزم) وجب (ان يكون ذلك) المماثل (الثاني عام) تعلق (القدرة و) عام تعلق (الارادة مثله) تبارك وتعلى تقدس عن ذلك عام القدرة والارادة ايضا (وذلك) يعني فرض وجود إله ثان عام القدرة والارادة (يؤدي) يعني يوصل (الى اتصاف احدهما) اي احد الالهين المتماثلين (بالعجز ضرورة) اي لزوما لا ينفك عن ذلك بوجه من الوجوه ولا فرق في ذلك (سواء اختلفا) فيما بينهما (عن التضاد) اي التعارض والتمانع (وهو) اي التضاد (ظاهر) لا محالة يعني بين واضح او اتفقا كل من الالهين المتماثلين اما مع تقدير الاختلاف كان يريد احدهما حركة جسم في زمان مثلا ويريد الاخر سكونه في ذلك الزمان بعينه فلا خفاء ان العجز هاهنا ظاهر اللزوم لان نفوذ ارادتيهما معا في هذا الفرض لا يمكن لما فيه من الجمع بين الضدين فلم يبق إلَّا عدم نفوذ ارادتيهما معا فيلزم عجزهما معا ويلزم ايضا عرو الجرم عن الحركة والسكون اونفوذ احدهما دون الاخر وذلك يستلزم عجزهما معا اما الذي لم تنفذ ارادته فظاهر واما الذي نفذت ارادته فلانه مماثل للذي وجب عجزه فيحتاج هو ايضا ضرورة واما مع تقدير الاتفاق فقد اشار

اليه بقوله (او اتفقا) يعني كل من الالاهين المتماثلين فلنفرض انهما قصدا الى ايجاد جوهر فرد مثلا اتفقا على ايجاده وقس عليه كل ما لا يقبل الانقسام وهذا معنى قوله (لان الفعل الواحد يستحيل انقسامه) ثم لا يخل حينئذ اما ان يقع ذلك الجوهر الفرد بهما معا وذلك محال لانه يلزم عليه اما انقسام ما لا ينقسم ان قدر ان الذي اوجده كل واحد منهما غير ما اوجده الاخر وهو لا يعقل اذ الكلام انما هو في وجود الجوهر الفرد وليس له إلّا وجود واحد لا يمكن انقسامه واما تحصيل ما قد حصل ان قدر ان الذي اوجده كل واحد هو عين ما اوجده الاخر وذلك يستلزم ان يرجع الاثر ان اللذان قدر وقوعهما منهما اثرا واحدا وهو لا يعقل اذ كون الاكثر يكون عين الاقل واضح الاستحالة واذا تبين ان الفعل الواحد يستحيل انقسامه (فلا يمكن ان يقع) حينئذ (إلّا من احدهما) اي احد الالاهين المتماثلين واذا كان كذلك (فيلزم عجز الاخر) المماثل له (الذي لم يقع منه) وجود الفعل (واذا عجز احدهما) اي احد الالاهين المتماثلين (وجب) يعني لزم (عجز الاخر) ضرورة (لـ) ـفرض (تماثلهما) يعني تساويهما في صفات الالوهية (وذلك) يعني تقدير عجزهما معا (يؤدي الى ان لا يوجد شيء من العالم) لتوقفه على وجود الاله قادر وقد لزم في هذا عجز الاله وعجزه لا يكون إلّا قديما لاستحالة اتصافه بالحوادث (والعيان يكذبه) فقد بان لك بهذا ان تقدير إلهين يستلزم عجزهما ونفي الوهيتهما على كل تقدير ولو قدر ان القدرة كانت قديمة ثم طرأ عليها العجز لكان ذلك فرضا مستحيلا لانه يلزم حينئذ ألّا تنعدم القدرة ابدا فلا يوجد العجز ابدا فبان لك بهذا ان فرض تعدد الاله ينفي مطلق الاله الذي شهدت بوجوب وجوده معاينة مخلوقاته وبدائع مصنوعاته « وبالجملة » فاثبات إله اي ثان من ادى ثبوته الى نفيه فيكون منفيا « فان قلت » بما يرد على تقدير ان الالهين اختارا قسم العالم بينهما في التدبير بحيث ينفرد كل واحد منهما بتدبير ما بيده ولا يمانعه فيه الاخر لا باتفاق ولا باختلاف « فالجواب » تعدد الاله مستلزم عقلا لعجز كل واحد من الالهة التي تفرض ودلنا على وجود العجز العام لكل واحد منهما ما قدرناه في التمانع في الشيء الواحد ولما اتضح بذلك التقدير قيام صفة العجز بكل واحد منهما وصفة الاله لا تكون إلّا قديمة عامة التعلق إن كانت من الصفات المتعلقة لزم ان لا يقدر كل واحد من الالهين المتعددة على شيء من الاشياء عموما ازلا وابدا فلا تدبير لواحد

منهما البتة مع فرض التعدد حتى يختارا قسمة العالم او عدم قسمه . ولما فرغ من الكلام في الدليل على وحدانية الصفات شرع الان في الكلام على وحدانية الافعال فقال (وبهذا الدليل) يعني به دليل التمانع الذي دل عليه استحالة وجود إله ثان مع مولانا جل وعز هو بعينه يدل على وجوب وحدانيته تعلى في افعاله اذ به (تعرف) اي تعلم وتدرك وتتحقق (استحالة) اي امتناع (ان يكون لشيء من العالم) بفتح اللام وهو كل موجود سوى الله تعلى ولا حاجة ان يزاد وسوى صفاته لان اسم الجلالة جامع للذات العلية وصفاتها (تاثير) اي اختراع وايجاد (البتة) بقطع الهمزة يعني القطع (في اثر ما) اي في مفعول ما لا بطبعه ولا بقوة اودعت فيه ولا بخصاصية كحجر المغناطيس على العموم (لما يلزم عليه) يعني على ان لو كان لشيء من العالم تاثير في اثر ما (من خروج) يعني استغناء وعدم افتقار (ذلك الاثر) اي المفعول (عن) تعلق (قدرة مولانا جل وعز و) عن تعلق (ارادته وذلك) يعني الخروج المذكور بمعنى الاستغناء وعدم الافتقار اليه جل وعلا (يوجب) يعني يستلزم (ان يغلب) يعني ان يقهر (الحادث) يعني المفعول (القديم) يعني الفاعل وهذا على تقدير ان لو خرج بان استغنى عنه تعلى ولم يفتقر اليه عز وجل كيف يكون ذلك وهو الذي يجب ان يفتقر اليه كل ما سواه افتقارا اصليا ذاتيا لا يتصور في العقل عدمه بوجه من الوجوه ابتداء ودواما فابتداء لمن يخرجه من العدم الى الوجود ودواما الى من يمده فلو انقطعت المادة لانهدم الوجود (و) يجوز الحادث الذي وجوده كلا وجود باعتبار واجب الوجود يغلب القديم (وهو محال) يعني مستحيل لا يتصور وجوده . ولما ثبت بالدليل وجوب انفراده تعلى باختراع جميع الكائنات ابتداء بلا واسطة لزم لذلك ان القدرة التي خلقها الله تعلى في بعض الموجودات كالحيوانات لا اثر لها البتة في اثر ما عموما اشار الى بيان ذلك ويقال فيه نتيجة ما قبله فقال (فلا اثر) يعني لا اختراع (اذا لقدرة المخلوق) ايا كان ذلك المخلوق انسا او جنا او ملكا او غيرها لما تقرر ان لا مؤثر سوى الله تبارك وتعلى فلو قدر تاثير لغير الله تعلى في اثر ما لكان ذلك الاثر يجب ان يكون مقدورا له تعلى ومرادا لما عرفت من وجوب عموم التعلق لارادته تعلى وقدرته واذا لزم ذلك فوقوع هذا الاثر لا يخلو اما ان يكون بهما معا وهو محال لاستحالة وقوع اثر واحد بمؤثرين مستقلين اذ الفرض استقلال كل واحد منهما باختراع هذا الاثر واما ان يكون باحدهما فيلزم

الترجيح بلا مرجح وايضا يلزم من تخلف هذا الاثر عن احدهما جواز تخلفه عن الاخر اذ الفرض استواؤهما بالنسبة الى هذا الاثر وذلك مستلزم لجواز تعجيز قدرة المولى جل وعز وان فرض ان ذلك الاثر لم يقع بواحد منهما لزم وقوع الحادث بنفسه ولزم تعجيز القدرة القديمة وكلاهما محال وهذا وان كان يفهم مما تقدم فذكره هنا زيادة في البيان والايضاح فان العقائد مبنية على زيادة البيان والايضاح بقدر الامكان والاعمال بالنيات وبهذا تعرف لا اثر لقدرة المخلوق (في حركة) وهي انتقال الجرم من حيز الى آخر (ولا في سكون) وهو ثبوت الجرم في الحيز (ولا) اثر له في (طاعة) كصلاة وصوم وغيرهما (و) لا في فعل (معصية) كشرب خمر وزنا مثلا وسميت طاعة لموافقة الامر الشرعي وامتثاله وسميت معصية لمخالفة الامر وعدم امتثاله (ولا) قدرة لمخلوق ايا كان (في اثرها) يعني في مفعول ما (على العموم) والله خلقكم وما تعملون ان كل شيء خلقناه بقدر الى غير ذلك من الظواهر التي لا تنحصر وانما ذوات العالم كله مخلوقة لله تعلى وهي اوعية لاثار قدرته جل وعز يوجد سبحانه وتعلى في كل ذات منها من الاعراض ما شاء فمن الذوات ما يوجد فيه تعلى عرض الحركة والسكون ونحوهما منفردا عن عرض القدرة الحادثة المتعلقة به كما في حركة الارتعاش ونحوها وتسمى هذه الذات في الاصطلاح مجبورة ومن الذوات ما يوجد الله تعلى فيه عرض الحركة والسكون ونحوهما ويوجد مع ذلك عرضا يسمى قدرة تقارن ذلك الفعل وتتعلق به من غير تاثير لها فيه اصلا وانما الذات تحس به تيسير الفعل وتمكنا منه ومن اجل ذلك تسمى الذات المخلوق فيها هذا العرض في الاصطلاح مختارة ثم كل واحد من هذين القسمين قد يخلق الله تعلى له شعورا بما خلق فيه من هذه الاعراض وقد يخلق له نوما او ذهولا عن ذلك يخلق سبحانه ما يشاء ويختار لا يسئل عما يفعل وبهذا تعرف ان لا اثر لقدرة المخلوق على العموم (لا مباشرة ولا تولدا) يعني انه لا فرق في عدم تاثير القدرة الحادثة بين الفعل الذي وجد معها في محلها كقيامه وقعوده ومشيه ومجيئه وحركة يد المختار مثلا وبين الفعل الذي يوجد خارجا عن محلها كالضرب بالسيف والرمح والحجر وحركة المفتاح مثلا عند حركة اليد وبالجملة فالذي عليه اهل الحق الذين من الله عليهم بالبراءة من انواع الشكوك كلها ونور قلوبهم بحقيقة التوحيد المنجية بحول الله تعلى من الخلود في العذاب الشديد انه لا اثر لمخلوق اي مخلوق كان في اثرها عموما لا بالمباشرة ولا بالتولد اي لا بغير

واسطة ولا بواسطة وما وجد مع قوة مخلوق وقدرته من الافعال سواء وجد في ذاته كحركاته وسكناته او مصاحبا لما وجد في ذاته كحركة الحجر والرمح والسهم واندفاعها وحركة السيف والحركات لذلك ونحو ذلك انما هو واقع بمحض خلق الله تعلى واختراعه بلا واسطة ولا سبب وانما هو جل وعز يجمع بين ما شاء من مخلوقاته ويفرق بين ما شاء ويفعل ما شاء تبارك وتعلى . ولما تقرر ان ذوات المخلوقات كلها وجميع صفاتها وافعالها افعال لمولانا جل وعز مخلوقة له بلا واسطة ولا غرض ولا اثر لكل ما سواه في اثر ما على العموم ولا لبعضها في بعض لا باختيار ولا بطبع ولا بتعليق ولا خفاء ان في الثواب والعقاب فعلا من افعال مولانا اشار الى ذلك فقال (والثواب) يعني الجزاء على الطاعة بقدر يعلمه الله تعلى (و) كذا (العقاب) على المعصية (لا سبب) اي لا علة (لهما) يعني للثواب والعقاب (عقلا) بان تكون من باب الادلة العقلية التي الربط فيها بين الدليل والمدلول عقلي لا يتوقف على جعل جاعل كدلالة حدوث العالم على وجوده تعلى (وانما الطاعة) وهي امتثال المامورات (والمعصية) وهي مخالفة المامورات وامتثال المنهيات (امارتان) بفتح الهمزة يعني علامتان (مخلوقتان) يعني مفعولتان (لله تعلى) اختار سبحانه نصبها تلك الامارات على ما شاء تعلى (بلا واسطة) يعني بلا قوة (معينة من العبد) بل العبد وفعله المنسوب اليه في الظاهر مخلوقان لله تعلى فالعباد ظروف واوعية يخلق الله فيها ما يشاء فعليهم تجري المقادير من خير او شر فطوبى لمن خلقه للخير واجراه على يديه وويل ثم الويل لمن خلقه للشر واجراه على يديه (يدلان) يعني الطاعة والمعصية (شرعا) اي لا عقلا (على ما) اي الذي (اختار) يعني اراد وشاء (سبحانه) تبارك (وتعلى من الثواب والعقاب) من غير ان يكون بينهما في العقل ربط اصلا ولكون الربط بينهما انما هو بمحض شرعه تعلى واختياره صح عقلا ما جعله سبحانه امارة على الثواب ان يجعله جل وعز امارة على العقاب وبالعكس هذا معنى قوله رحمه الله (ولو عكس سبحانه في دلالتهما) يعني بل جعل الطاعة امارة على العقاب وجعل المعصية امارة على الثواب (او اثاب) سبحانه وتعلى (او عاقب) كذلك (بدءا) يعني اولا (بلا سبق) يعني تقديم (امارة) بفتح الهمزة اي علامة تدل على ذلك (لحسن) ولم يقبح (ذلك) يعني قوله ولو عكس الخ (منه جل وعز لا يسئل عما يفعل) اذ ليس لتلك الامارات اثر البتة في ثواب ولا في عقاب ولا في سعادة ولا

في شقاوة بل حكمه سبحانه بهما على من شاء سابق في الازل قبل ان يوجد المخلوق وقبل ان توجد الامارة التي اوجدها تعلى فيه . وقد ورد الله تعلى ينشي في الاخرة لفضلة النار قوما يعذبهم بها ولفضلة الجنة قوما ينعمهم بها ولم يسبق من الفريقين وجود طاعة ولا معصية وكل ذلك حسن من مولانا جل وعز جائز عقلا لم يلزم منه نقص لا في ذاته العلية ولا في صفاته السرمدية اذ جميع الافعال الواقعة منه جل وعز دالة على كمال علمه وقدرته ونفوذ ارادته ووجوب وحدانيته وانفراده بالملك والتدبير وتنزيهه عن الاغراض وانه لا يتعاصى عليه ممكن اي ممكن كان بل جميع الممكنات منقادة يتصرف فيها كيف شاء ولا حجر عليه ولا منافي له ولا دافع لما قضى ولا راد لما اعطى فتبارك الله رب العالمين « ولما ثبت بالدليل » وجوب انفراده تعلى باختراع جميع الكائنات بلا واسطة واطلق في الشرع ان العبد مكتسب للحسنات والسيئات وان الشرع انما يكلفه ويثيبه ويعاقبه بما يقدر عليه ويسعه فعله دون ما اكره عليه وما لا يقدر وعرفنا ايضا بالضرورة عدم استواء الافعال بالنسبة الينا احتيج من اجل هذا الى بيان معنى الكسب الذي هو محل التكليف الشرعي وهو الذي جعل امارة على الثواب والعقاب والمدح والذم الشرعيين فان بعض من لاعلم عنده بحقيقة توحيد الله يفسر معنى الكسب بكون القدرة الحادثة لها تاثير ما في الافعال وهو تفسير فاسد متفرع على مذهب القدرية مجوس هذه الامة والذي يعول عليه في تفسيره ولا يصح غيره اذ هو الجاري على القواعد العقلية وعلى السنة واجماع السلف الصالح ما فسره المصنف رحمه الله واليه اشار بقوله (وكسب العبد) عبر بالكسب دون التعلق تبركا بالقرءان العظيم في قوله تعلى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت (عبارة) يعني تفسير (عن ايجاد) يعني خلق واختراع (الله) تبارك و (تعلى المقدور) يعني المفعول (فيه) اي في العبد يعني في محله (كالحركة) وهي انتقال الجرم من حيز لاخر (والسكون) وهو ثبوت الجرم في الحيز وقوله (مثلا) اشارة الى ان القدرة الحادثة قد تتعلق بغير الحركة والسكون كالنظر الفكري والعلم والظن والاعتقاد والكلام ونحو ذلك فاعرفه (مصاحب) يعني مقارن (لقدرة حادثة) يحترز بذلك من الفعل الذي خرج عن محل القدرة كالرمي بالحجر والضرب بالسيف ونحو ذلك فهذه افعال حادثة غير مكتسبة للعبد لانها خارجة عن محل قدرته الا انها لما كانت مخلوقة عند

كسبه عادة جرى فيها التكليف والثواب والعقاب (تتعلق) يعني القدرة الحادثة (بذلك المقدور) يعني الذي وجد في محلها كالحركة والسكون وما تقدم عاننا وتعلقها بذلك المقدور هو (من غير تاثير) يعني اختراع (لها) اي للقدرة (فيه) اي في المقدور (اصلا) اي البتة فالقدرة الحادثة عند اهل الحق الذين على قولهم يعول من الصفات المتعلقة غير المؤثرة كالعلم والسمع والبصر والكلام والادراك فكما ان علمنا بالشيء لا يوجده ولا يؤثر فيه اصلا وان صح ان يقال تعلق به كذلك قدرتنا على الشيء لا توجده ولا تؤثر فيه البتة وان صح ان يقال تعلقت به وعن هذا التعلق الذي ليس معه تاثير اصلا وقع تعبير اهل الحق بالكسب والاكتساب وليست هذه القدرة مع كونها غير مؤثرة تصلح ان تتعلق بكل ممكن ولا بكل ما يوجد الله تعلى من الممكنات في ذواتنا فانها اذا خلقها الله تعلى في اليد مثلا تعلم بالضرورة انها لم تتعلق بلونه وان تعلقت بحركته او سكونه « فان قلت » هل يقال ان المقدور الواحد دخل تحت قدرتين قدرة الله تعلى وقدرة العبد « فالجواب » نعم يقال بجهتين مختلفتين تحت قدرة الله بجهة الخلق وتحت قدرة العبد بجهة الكسب فافترقا وهذا القدر من المعنى ضروري وان لم نقدر على ازيد منه في تلخيص العبارة المفصحة عن تحقيق كون فعل العبد بخلق الله وايجاده مع ما للعبد فيه من القدرة والاختيار وان عبروا عن الفرق بينهما بمثل الكسب بما وقع بآلة والخلق ما وقع لا بآلة (وهذا الكسب) المتقدم ذكره وهو عبارة عن تعلق القدرة الحادثة في محلها من غير تاثير (هو متعلق) يعني تعلق كسب (التكليف الشرعي) يعني هو المنقسم الى الاحكام الخمسة الواجب والمندوب والمحرم والمكروه والمباح وبعض هذه الاحكام وان لم يكن فيه تكليف على راي الجمهور فهو مندرج في التكليف بمعنى انه لا يثبت إلَّا حيث ثبتت وكان هذا الكسب محل التكليف بحسب الاستقراء الشرعي لان ما لا كسب للعبد فيه اي لا تتعلق القدرة الحادثة به كالوانه وحركات ارتعاشه ونحو ذلك لا ينقسم الى هذه الاحكام « فان قلت » قد وجدنا التكليف ثابتا فيما لا كسب للعبد فيه كوجوب جهاد الكفار بالضرب والقتل ووجوب زجر الفساق المحاربين بمثل ذلك وتحريم قتل اوضرب من لا يستحق القتل والضرب ونحو ذلك فان القدرة الحادثة لا تتعلق على طريق الكسب الا بما وجد في محلها من الافعال اما ما خرج عن محلها فلا تعلق لها به اصلا « فالجواب » ان التكليف بتلك الامور الخارجة عن محل قدرة العبد انما هو واقع

بالمكتسب للعبد من حركاته وسكناته ونحوهما مما أجرى الله تعلى العادة ان يوجد تلك الامور فحيث ورد في الشرع تكليف بشيء بذلك فان المراد منه انما هو التكليف بسببه العادي المقدور للعبد المكتسب له والله اعلم (و) هو ايضا (أمارة) بفتح الهمزة علامة (الثواب) يعني الجزاء (و) أمارة (العقاب) كذلك (شرعا) يعني (لا عقلا) فلا دلالة للاعمال الكسبية على ثواب ولا عقاب لما قدمنا اولا ان الثواب والعقاب لا علة لهما ولا دليل عقلا وانما الاعمال المكتسبة دلت عليها بحسب جعل الشارع واختياره بلا ربط في ذلك ولا علاقة عقلية اصلا . ثم اعلم ان اهل الحق استدلوا على ثبوت الكسب للعبد بدليلين احدهما شرعي وقد اشرنا اليه فيما سبق وهو ان الشرع انما كلف بالمكتسب من الافعال دون غيرها والثاني عقلي وهو ما اشار اليه بقوله (والذي) مبتدا (يدل) يعني يرشد (على مصاحبة) يعني مقارنة (هذه القدرة) المكتسبة (الحادثة للفعل) يعني الاختياري (وان لم يكن لها) يعني للقدرة (فيه) اي في الفعل (تاثير) اي اختراع وخلق (البتة) بقطع الهمزة اي القطع (ادراكنا) خبر المبتدا وهو الذي يدل يعني علمنا (الفرق ضرورة) يعني لا يحتاج الى تامل (بين حركة الارتعاش) يعني الالجاء (ونحوها) يعني نحو حركة الارتعاش (من الحركات الاضطرارية) القهرية وتحريك الغير يدنا ونحو ذلك (وبين غيرها) يعني غير الحركات الاضطرارية (من الحركات الاختيارية) وهي الحركة التي يتمكن عادة من فعلها وتركها (ولا فرق بينها) يعني بين الحركات الاضطرارية وبين الحركات الاختيارية فلم يبق (بعد) هذا (السبر التام) يعني الاختبار الكامل ومنه المسبار اسم ءالة الحجام التي يختبر بها غور الجرح (إلا كون) يعني وجود (هذه) الحركات (الاختيارية) وهي التي يتمكن عادة من فعلها وتركها (مقرونة) يعني مصاحبة (بقدرة حادثة) يعني طارئة (في) محل (العبد يحس) يعني يدرك ويشاهد (بها) اي بالقدرة (تيسر) يعني تسهل (الفعل عليه) يعني على العبد الموصوف بتلك القدرة الحادثة وهذا (بخلاف الاولى) يعني الحركات (الاضطرارية) ولما فرغ من الكلام على الكسب اتبعه بالكلام على المذاهب المعروفة المشهورة في الفعل الذي لم يحس فيه صاحبه الاضطرار وهي ثلاثة واحد منها حق واثنان فاسدان فالحق هو مذهب اهل السنة رضي الله عنهم وهو وجود الافعال كلها بالقدرة الازلية فقط مع مقارنة الافعال الاختيارية لقدرة حادثة لا تاثير لها لا مباشرة ولا تولدا « واما » الفاسدان

فهما مذهب الجبرية فمذهبهم وجود الافعال كلها بالقدرة الازلية فقط من غير مقارنة لقدرة حادثة فالعبد عندهم كالقلم في يد الكاتب ولا يخفى فساده واما القدرية فمذهبهم وجود الافعال الاختيارية بالقدرة الحادثة فقط مباشرة او تولدا ولا يخفى فساده في الافعال الاختيارية واما الاضطرارية فيوافقون اهل السنة فيها فاذا عرفت هذا فلا يخفى عليك بعد ذلك فهم كلام المصنف فقال (فخرج لك من هذا) اي تحصل لك من الفرق بين الذي شهدت به ضرورة العقل ودل بعده السبر التام على انه لا فرق بينهما إلَّا كون الاولى الاختيارية مقارنة لقدرة حادثة بخلاف الثانية الاضطرارية (ان) بفتح الهمزة واسمها مستتر ضمير الامر والشان اي انه (بقولنا) متعلق بانفصلنا الآتي من كلامه وجملة انفصلنا وما يتعلق به خبر ان المفتوحة وان واسمها وخبرها فاعل بخرج (وان) الثانية مكسورة لانها محكية بالقول وقدرة حادثة الاتي من كلامه منصوب اسمها وخبرها في الظرف وهو قوله (مع الفعل الذي لم يحس) يعني لم يشعر (صاحبه) اي الفعل فيه اي في الفعل (الاضطرارية) يعني الاختيار (قدرة حادثة) بالنصب اسم ان المكسورة (في) محل (العبد هي) يعني القدرة الحادثة (عرض من الاعراض) يعني صفة من الصفات قائم بالجرم لا يعقل بدونه وعبر بالعرض دون الصفة لان العرض حيث اطلق لا يكون إلَّا حادثا بخلاف الصفة (كالعلم ونحوه) تشبيه في التعلق كما ان العلم يتعلق بالمعلوم ولم يؤثر فيه كذلك قدرة العبد الحادثة (تتعلق بالفعل) ولم تؤثر فيه والمراد بقوله ونحوه اي نحو العلم كالسمع والبصر والادراك فانها صفات تتعلق بالموجودات ولم تؤثر فيها (وان لم نر لها تاثيرا اصلا) هو من الرأي لا من الرؤية اي وان لم نكن رائيا فيها ان لها تاثيرا « وبالجملة » فمذهب اهل السنة وهو ان الموجد لافعال العباد هو الله تبارك وتعلى وحده غير ان الاختيارية منها تقارنها قدرة حادثة كما سبق من غير تاثير لها فيها اصلا وهذه الافعال هي التي في وسع المكلف عادة وبها وقع التكليف على حسب ما دل عليه الشرع قال جل من قائل لا يكلف الله نفسا إلَّا وسعها اي إلَّا ما تسعه طاقته بحسب الظاهر والعادة واما بحسب ما في نفس الامر اي الواقع فليس في وسعها فعل من الافعال « والحاصل » ان بقولنا لنا قدرة حادثة تقارن تلك الافعال الاختيارية (انفصلنا) اي تجنبنا (عن مذهب الجبرية) بسكون الباء الموحدة طائفة من اهل الضلال (القائلين)

بالسنتهم والجازمين بقلوبهم (بنفي قدرة حادثة) صفة كاشفة (من) فعل (العبد مطلقا) يعني اختيارية واضطرارية زعما منهم ان العبد منبع لظهور الافعال كخيط معلق في الهواء تميله الرياح يمينا وشمالا فالحيوانات عندهم في افعالها بمنزلة الجمادات لا تتعلق بها قدرها لا ايجادا واختراعا ولا تناولا واكتسابا ولا شك انهم سخفاء العقول من حيث انهم خفي عليهم الفرق بين الحركات الاختيارية والاضطرارية وهم مبتدعة ايضا من حيث انهم نفوا محل التكليف والثواب والعقاب شرعا اذ التكليف انما وقع في الشرع بحسب اختياره تعلى بما هو مقدور للمكلف وفي وسعه عادة قال تعلى لا يكلف الله نفسا إلا وسعها اي إلا ما تسعه طاقتها كما تقدم (و) انفصلنا (بقولنا) ايضا (ليس لتلك القدرة الحادثة تاثير) يعني اختراع (في الفعل اصلا وانما هي) يعني القدرة الحادثة (تتعلق به) يعني بالعبد كسبا (وتصاحبه) يعني تقارنه (فقط) من غير تاثير لها اصلا بوجه من الوجوه (انفصلنا) يعني تجنبنا وتباعدنا (عن مذهب القدرية) بتحريك الدال طائفة من اهل الزيغ والضلال تنكر ان الله تعلى قدر الاشياء في القدم (مجوس هذه الامة) اشار بهذا الى ما صح عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال القدرية مجوس هذه الامة ان مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا فلا تشهدوهم وقد رواه ابو داود حديثا وقد روي انهم لعنوا على لسان سبعين نبيئا وقد روى مسلم في صحيحه تبرع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما والحكم عليهم بما يقتضيه كفرهم عنده ويقال انهم خصماء الله في القدر بشهادة حديث ينادي يوم القيامة ليقم خصماء الله فيقوم القدرية لاعتقادهم ان العبد يقدر على ما يريده الله مع كراهته له فلزمهم ان يقع في ملكه تعلى ما لا يريده ووجه تشبيههم بالمجوس ان المجوس جعلوا للخير فاعلا وللشر فاعلا والقدرية ايضا منعوا نسبة الشر الى الله تعلى واضافوه الى ابليس سببا وسعيا والى العباد مباشرة وفعلا وهذه المسألة التي بين المعتزلة والمجوس تعين انهم المرادون بالقدرية في الحديث دون اهل الحق رضي الله عنهم (القائلين) بالسنتهم والجازمين بقلوبهم (بان تلك القدرة الحادثة) يعني الطارئة (في العبد بها) لا بغيرها (يخترع) يعني يخلق (العبد افعاله الاختيارية (على حسب ارادته) يعني اختياره ولا شك ان هؤلاء مبتدعة مناقضون لما دل عليه العقل من وجوب انفراده تعلى باختراع جميع الكائنات ابتداء بلا واسطة على وفق ما شاء جل وعلا ومناقضون ايضا لما دل عليه الكتاب والسنة ووقع عليه اجماع

سلف الامة من ان لا خالق إلّا الله تعلى وان ما شاء سبحانه كان وما لم يشأ لم يكن « والحاصل » ان العبد الصحيح القوي القادر عند اهل الحق انه مجبور في قالب مختار مجبور من حيث انه لا اثر له البتة في اثر ما عموما وانما هو وعاء وظرف للافعال يخلق الله تعلى فيها ما شاء منها وكيف شاء ولا حجر عليه تعلى ولا معين ولا وكيل ولا وزير « ومختار » من حيث ان عادة مولانا جل وعلا لما جرت معه بعدم دوام موالاة الفعل عليه وانما يمده تبارك وتعلى بالفعل في بعض الاوقات وعلى حسب الحاجة صار العبد بهذه العادة العجيبة الدالة على سعة قدرته ونفاذ ارادته في كل ممكن وسع علمه كل معلوم مختارا متمكنا من الفعل والترك بحسب الظاهر لا يحس اضطرارا الى ما يجب فعله ولا اكراها على ما يكره وجوده فسبحان القاهر اللطيف الذي لطف بعد القهر حتى عزب عن ادراكه كثير من ذوي العقول فضلا عن ذوي الاوهام فاعتقدت بجهلها بباطن الامر مع عظيم عجزها وشدة فقرها انها قد خرجت في بعض تصرفاتها عن قبضة قهر الواحد الملك العلام . وهيهات هيهات أنى لها ذلك وهي حليف العجز العام . والافتقار الذاتي على سبيل الدوام . ومن اجل ان القدرة الحادثة في العبد بها يخترع العبد افعاله على حسب ارادته عند القدرية (قالوا) ابعدهم الله تعلى واخلا منهم الارض (ولذلك) اي الاختراع الذي للقدرة الحادثة عندهم (اطاع) الله تعلى (وعصى) كذلك والطاعة موافقة الامر الشرعي والمعصية مخالفة ذلك الامر (وعليه) اي على ذلك الاختراع الذي للقدرة الحادثة (اثيب) يعني جوزي على الطاعة (و) عليه (عوقب) على المعصية كيف يكون ذلك (و) الحالة (قد سبق) يعني تقدم آنفا (لك ان الثواب والعقاب) فعلان من افعال مولانا جل وعز فوجب ان يكونا واقعين بمحض اختياره تعلى (لا سبب) يعني علة وعلاقة (لهما) يعني للثواب والعقاب (عقلا) بان تكون من باب الادلة العقلية التي الربط فيها بين الدليل والمدلول عقلا لا يتوقف على وضع واضع كدلالة حدوث العالم على وجوده تعلى (عند اهل الحق) يعني بذلك اهل السنة رضي الله عنهم (وان الطاعات) وهي امتثال الاوامر واجتناب النواهي (والمعاصي) وهي موافقة النواهي ومخالفة الاوامر أمارات) بفتح الهمزة يعني علامات تدل على ذلك (جعلية) يعني وضعية بوضع الواضع (لا) انها (عالل) يعني اسباب (عقلية) فخرج لك من هذا ان الاعمال التي يخلقها الله تعلى في العباد من الطاعات والمعاصي

لا اثر لها البتة في شيء من ثواب او عقاب وإلّا لزم ان يكون بعض المخلوقات شريكا لمولانا جل وعز في التاثير والتدبير من غير ان يكون له في ذلك معين (فيتحقق) يعني فيثبت والتحقيق اثبات الشيء بدليله (بهذا) الذي تقدم من التفصيل بين المذاهب الثلاثة (تمييز) يعني تفسير وتبيين (مذهب اهل الحق) يعني اهل السنة رضي الله عنهم من اثبات التاثير للقدرة الازلية ونفيه من القدرة الحادثة واثبات الكسب لها في الافعال الاختيارية واما الافعال الاضطرارية فالكل متفقون على انها من الله بلا خلاف (عن المذهبين) الباطلين (الفاسدين) فانه غير معول عليهما بوجه من الوجوه لفسادهما وعدم استقرارهما (وهما) يعني المذهبين الفاسدين (مذهب الجبرية) بسكون الباء الموحدة من الجبر سموا بذلك لقولهم بالجبر المحض لا يقال الجبر لازم لاهل السنة حيث لم يجعلوا للعبد تاثيرا في افعاله لانا نقول الجبر المحظور هو الحسي كما ذهب الجبرية اما العقلي وهو سلب الخالقية عن العبد فهو متوجه على جميع الفرق ولا يضر بل هو محض الايمان فاعرفه (و)مذهب (القدرية) بتحريك الدال من القدر سموا بذلك لنفيهم اياه اعاذنا الله من ذلك (فان تمييزه) يعني تمييز مذهب اهل السنة وتبيينه (عنهما) اي عن المذهبين الفاسدين مذهب الجبرية ومذهب القدرية (مما يلتبس) يعني يخفى (على كثير) ممن يظن به العلم فضلا عن غيرهم فتحقق مذهب اهل السنة بين هذين المذهبين الفاسدين فهو قد خرج من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين « وبالجملة » فلتعلم ان الكائنات كلها يستحيل منها الاختراع لاثرما بل جميعها مخلوق لمولانا جل وعز ومفتقر اليه اشد الافتقار ابتداء ودواما بلا واسطة وبهذا شهد البرهان العقلي ودل عليه الكتاب والسنة واجماع الامة ولا تصغ باذنك لما ينقله بعض من اولع بنقل الغث والسمين غير مذهب بعض اهل السنة مما يخالف ما ذكرناه فشد يدك على ما ذكرته فهو الحق الذي لاشك فيه ولا يصح غيره واقطع تشوفك الى سماع الباطل تعش سعيدا وتموت كذلك والله المستعان . ولما فرغ من الكلام على الكسب وعلى المذاهب الثلاثة في الافعال شرع في جزئيات ضلت بها الفلاسفة والطبائعون ومن تبعهم على فسادها كثير من جهل هذا العلم ممن يدعي التقدم في غيره من العلوم فضلا عمن دونهم من محض عوام المسلمين فقال (وكذا) يعني انه كما لا اثر لقدرة العباد في الافعال الاختيارية كذا (لا اثر للطعام) لا بطبعه ولا بقوة وضعت فيه ولا خاصية فيه (للشبع) بكسر

الشين بل عنده يخلق الله الشبع لا به او به عادة (ولا) اثر كذلك (للماء للري) بكسر الراء وهو الامتلاء من الماء (او في) انبات (النبات) كالنجم وهو ما ليس له ساق او له ساق كالاشجار في تنميتها وتغذيتها فلا اثر له (او) في ازالة الاوساخ حيث ما كانت (للنظافة ولا) اثر كذلك (للنار) اي نار كانت نار الدنيا ونار الاخرة (في الاحراق او) في (نضج) يعني طبخ (للطعام ولا) اثر كذلك (للثوب والجدار) يعني الحائط (في الستر) بكسر السين ما يستتر به وبالفتح نفس الستر فاعرفه (او) في (دفع الحر و) دفع (البرد) يعني وقايته لها (ولا) اثر كذلك (للشجرة في) حصول (الظل ولا) اثر كذلك (لـ) ـجرم (الشمس) ولا للقمر (وسائر) يعني جميع (الكواكب) سيارة كانت او غيرها (في الضوء ولا) اثر كذلك (للماء البارد في كسر) يعني رد (قوة حرارة) يعني سخانة (ماء اخر كما لا اثر لذلك) يعني للماء الحار (في) الماء (الاخر في كسر) يعني رد (قوة برده وقس) انت ايها العاقل (على هذا) المنحا والطريق (كل) اي جميع (ما اجرى الله تعلى) به (العادة ان يوجد) يعني يخلق (عنده) اي عند ما اجرى به العادة (شيئا) يعني مخلوقا (ولتعلم) اي ولتجزم ولتتيقن (انه) ما اجرى الله العادة ان يوجد عنده شيئا كائن (من الله تعلى) لا محالة (بدأ) اي ابتداء (بلا واسطة) مما تقدم او غيره (ولا اثر فيه) اي فيما وجد مقارنا (لتلك الاشياء) المذكورة (المقارنة) يعني المصاحبة (له) اي لما اقترن معه (لا بطبعها) يعني بحقيقتها (ولا بقوة) اودعت فيها واذا نزعها منها (مثلا) لم تؤثر (او) لـ (خاصية جعلها) يعني وضعها (الله تعلى فيها) يعني في هذه المذكورة كحجر المغناطيس فلا اثر لها البتة (كما) اي الذي (يعتقده) يعني يعمل عليه (كثير من الجهلة) بل وكثير ممن يظن بهم العلم وما احوج كثيرا من متفقهة زماننا الى تعليمهم اصول دينهم والاشتغال فيما يعنيهم عن كثير مما لا يعنيهم فكيف بعوامهم لكن اين الحق واين اهله واين من يقبله على تقدير وجوده نادرا فمن ظفر بمعرفة الحق في هذا الزمان ثم وفق للعمل به فليكثر من شكر الله تعلى غاية جهده وليعد ذلك من خوارق العادة في هذا الزمان والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله (وقد ذكر غير واحد) يعني اكثر من واحد (من محققي الائمة) يعني كابن دهاق وغيره في الارشاد (الاتفاق) يعني الاجماع (على كفر) وعدم ايمان (من اعتقد تاثير تلك الاشياء) العادية المتقدم ذكرها آنفا

(بطبعها) يعني بذاتها وحقيقتها قال ابن دهاق وغيره (و) انما (الخلاف في كفر) وعدم ايمان (من اعتقد ان تاثيرها) فيما قارنها وصاحبها (بقوة او خاصية) كحجر المغناطيس مثلا (جعلها) يعني وضعها (الله تعلى فينا) يعني في هذه الاشياء العادية المقارنة والمصاحبة بعضها في بعض (وان نزعها) يعني فك تلك القوة من هذه الاشياء العادية (لم تؤثر) فهذا لم يختلف في تفسيقه وبدعته وانما الخلاف في تكفيره والله اعلم وبالجملة فالمؤمن المحقق الايمان من لم يسند لها تاثيرا البتة لا بطبعها ولا بقوة وضعت فيها ولا خاصية وانما مولانا جل وعلا اجرى العادة بمحض اختياره ان يخلق تلك الاشياء عندها لا بها او بها عادة فهذه بفضل الله تعلى ينجو من جميع مهالك الدنيا والاخرة واكثر ما اغتر به المبتدعة الذين ينسبون التاثير لغير الله تعلى العوائد التي اجراها الله تعلى على حسب اختياره فاضافوا لها التاثير فضلوا وبرهان جميع ذلك ما سبق في وجوب انفراده تعلى بالتاثير والاختراع (فقد) للتحقيق (عرفت) يعني علمت وادركت وتحققت (بهذه الجمل يعني بها من فصل اثبات وجوده تعلى الى هنا (ما) اي الذي (يجب) على المكلف بحسب الطاقة البشرية وهو ما لا يتصور في العقل عدمه (في حقه تعلى) كالصفات العشرين (وما) اي الذي (يستحيل) كذلك ايضا وهو ما لا يتصور في العقل وجوده في حقه تعلى كاضداد الواجبات العشرين وبالجملة فلا شك ان هذه الفصول وان كان الكلام في اكثرها انما توجه بالقصد الاول ودلالة المطابقة الى بيان ما يجب في حقه تعلى فهي تفيد بالمعنى ودلالة الالتزام في حقه تعلى ما يستحيل اذ ما من صفة يعلم وجوبها له تعلى وهي تستلزم ان اضدادها وما يؤول الى نفيها مستحيل عليه تعلى وذلك ظاهر وبالله تعلى التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل لا رب غيره ولا خير إلّا خيره نسأله سبحانه ان يرحمنا ويرحم والدينا واولادنا واخواننا وجميع المسلمين انه على ذلك قدير وبالاجابة جدير . ولما فرغ من الكلام على الواجبات والمستحيلات في حقه تبارك وتعلى شرع في ذكر الجائزات وهو مايصح في العقل وجوده وعدمه في حقه تعلى فقال (باب) اي هذا باب في بيان (ما) اي الذي (يجوز في حقه تعلى) هذه الترجمة لما يجوز في حقه تعلى احسن مما ترجم به امام الحرمين في الارشاد من قوله باب القول فيما يجوز على الله تعلى لايهام هذه الترجمة انه تعلى يتصف بصفة جائزة وقد عرفت انه جل وعلا واجب لايتصف إلا بواجب والجواز انما يتطرق الى

افعاله من حيث انها متعلقة ببعض صفاته ولا يتطرق الجواز الى ذاته ولا الى صفة تقوم به بوجه من الوجوه (و) في بيان اقامة (الدليل) القاطع (على عدم وجوب مراعاته تعلى للصلاح) يعني لامور الدنيا (والاصلح) يعني لامور الاخرة (لخلقه) يعني لمخلوقه من اطلاق المصدر على اسم المفعول وذلك سائغ في كلام العرب ومنه قوله تعلى وفديناه بذبح عظيم اي مذبوح (وان ما وقع) يعني ثبت (من ذلك) يعني من الصلاح والاصلح لمخلوقه (بمحض) اي خالص (اختياره تعلى) ونواله (تفضلا منه جل وعز) وعوائده الجميلة بخلقه (و) في (بيان) اقامة الدليل القاطع على (جواز رؤيته تعلى) لا احرمنا الله تعلى منها بمنه وكرمه (و) في بيان (ما) اي الذي (يتعلق بذلك) يعني ما سيذكره من تعداد ادراك البصر بحسب تعداد المبصرات كما ان الموانع اعراض مضادة لها تعدد بحسب ما فات من المرئيات . ثم شرع يفصل ويبين ما ذكر في الترجمة فقال (واما الجائز) تصوره عقلا في حقه تعلى تصورا ينافي تصور وجود الواجب وعدم المستحيل ولما كان الجائز لفظا مشتركا يطلق ويراد به المحتمل المشكوك في وجوده ويطلق ويراد به ما اذن الشرع في فعله وتركه احتاج المصنف رحمه الله الى تعريف الجائز في حقه تعلى فقال (فهو كل فعل من افعاله تعلى) يعني وكذا كل ترك من تروكه تعلى فانه ايضا جائز لا واجب ولا مستحيل وانما استغنى بالفعل عن الترك لانه مقابله والحكم على احد المتقابلين بالجواز يستلزم مثله في مقابله (لا يجب عليه) تعلى (منه) يعني من الجائز (شيء) ولا يستحيل وبالجملة لو وجب على الله تعلى شيء منها عقلا او استحال عقلا لانقلب الممكن واجبا او مستحيلا ولا خفاء في بطلان ذلك (و) كذا ايضا (لا) يجب عليه تعلى لخلقه (مراعاة) وجود (صلاح) ما ضده فساد (ولا اصلح) ما ضده صلاح إلا انه دونه وهذا من عطف الخاص على العام لان الصلاح والاصلح داخلان في عموم قوله كل فعل من افعاله تعلى وانما نبه عليه بالخصوص اشارة لمذهب المعتزلة الذين أوجبوا ذلك عقلا في حقه تعلى ولا يخفى فساده بل اكثر احوال المعتزلة الذين اوجبوا ذلك عقلا في حقه تعلى ولا يخفى فساده بل اكثر احوال المعتزلة اظهر من ان تخفى واكثر من ان تحصى لقصور نظرهم في المعارف الالاهية ورسوخ قياس الغائب على الشاهد في طباعهم وغاية متشبثهم في ذلك ان ترك الاصلح يكون بخلا وسفها « وجوابه » ان منع ما يكون حق المانع وقد ثبت بالادلة القطعية

كرمه وحكمته وعلمه بالعواقب يكون محض عدل وحكمة ثم ليت شعري ما معنى وجوب شيء على الله تعلى اذ ليس معناه استحقاق تاركه الذم والعقاب وهو ظاهر ولا لزوم صدوره عنه بحيث لا يتمكن من الترك بناء على استلزامه محالا من سفه او جهل او عبث او بخل ونحو ذلك لانه رفع لقاعدة الاختيار وميل الى الفلسفة الظاهرة العوار . ثم احتج على عدم وجوب مراعاة الصلاح والاصلح في حقه تعلى لخلقه بقوله (وإلّا) بان كان الصلاح والاصلح واجبا في حقه تعلى لخلقه (لما وقعت) يعني خلقت ووجدت وحصلت (محنة) يعني بلية في دار الـ (ـدنيا) ومن الامراض والاحزان والجوع والعرى والغلاء وضيق العيش وذوق غصص الموت وفراق الاحبة وغير ذلك مما هو كثير (ولا) وقعت محنة ايضا في الدار (ا) لا (خرى) من اهوال القبر والموقف والصراط والميزان والعرض للحساب لله تعلى وانواع عذابه التي لا حصر لها اذ لا خفاء ان الاصلح للعباد ان يخلقهم في الجنة ابتداء بلا سبق محنة قبلها اصلا (ولا) وقع (تكليف) وهو طلب ما فيه كلفة (بامر) كواجب ومندوب (ولا) بـ (ـنهي) كمحرم ومكروه وكيف جميع ذلك واقع لخلقه بالمشاهدة فبطل ان يكون ذلك الصلاح والاصلح واجبا في حقه تعلى لخلقه كما تقوله المعتزلة وما يقصد من تلك المصالح مع تلك المحن والتكاليف فالله تعلى قادر على ايصال تلك المصالح بدون مشقة ولا محنة او تكليف وايضا فليست تلك المصالح عامة في جميع الممتحنين والمكلفين للقطع بان المحنة والتكليف في حق من ختم عليه بالكفر والعياذ بالله نقمة وتعريض للهلاك الابدي نسأل الله تعلى العافية في ديننا ودنيانا وحسن الخاتمة بلا محنة وايضا لو وجب عليه الاصلح لما بقي للتفضل مجال ولم يكن له تعلى خيرة في الانعام وهو باطل لقوله تعلى وربك يخلق ما يشاء ويختار يختص برحمته من يشاء وما احسن مناظرة وقعت بين الاشعري رضي الله عنه والجباءي اذ ان الله بدعته في مسألة مراعاة الصلاح والاصلح قال الشيخ للجباءي ما تقول في ثلاثة اخوة مات احدهم قبل البلوغ والاخر بعده كافرا والاخر بعد البلوغ مؤمنا فقال اما الصغير ففي الجنة والكافر في النار والمؤمن في الدرجات العلا فقال الشيخ ما بال الصغير قصر به عن درجة الكبير المؤمن فقال الجباءي لانه لم يعمل قدر عمله فقال من حجته ان يقول يا رب الاصلح في حقي ان تكون ابقتني حتى اصل بالعمل للدرجة العليا فقال الجباءي جوابه ان يقول له تعلى قد علمت انك لو بقيت الى سن التكليف لكفرت فتخلد في النار

والاصلح في حقك ان تموت صغيرا فقال له الشيخ فإذن يقول الثالث الذي مات كافرا بل وكل كافر من دركات لظى فيخرون الى الله تعلى ويقولون يا ربنا كنا نرضى منك بادنى من رتبة هذا الصبي فلم لا تمتنا صغارا قبل التكليف وقد علمت منا الكفر كما فعلت بهذا الصبي فبهت الجباءي ولم يجد جوابا فقال الاشعري وقف حمار الشيخ في العقبة ثم قال تعلى ان توزن احكام ذي الجلال بميزان الاعتزال قال ربك يخلق ما يشاء ويختار وقال لا يسئل عما يفعل وقال لو شئنا لاتينا كل نفس هداها وقال ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة وقال يضل من يشاء ويهدي من يشاء ونحو ذلك مما لا ينحصر وبالله تعلى التوفيق . ولما فرغ من مبحث الصلاح والاصلح شرع في مبحث الرؤية فقال (ومن الجائزات) يعني العقلية التي يصح في العقل وجودها وعدمها بالنظر الى ذاتها (رؤية) يعني نظر (المخلوق) اي المؤمن (له تعلى) وهذا مما اجمع عليه اهل السنة رضي الله عنهم ويدل على جوازها مطلقا في الدنيا والاخرة للبشر وغيرهم العقل وعلى ثبوتها ووقوعها النقل اما العقل فهو ان المصحح للرؤية هو الوجود وتقريره أن يقال الله تبارك وتعلى يصح ان يرى واما النقل فالمراد به الكتاب والسنة والاجماع اما الكتاب فثايات كثيرة منها قوله تعلى وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناضرة فوجوه مبتدا ويومئذ ظرف ناضرة المشتق من النضارة وهو الحسن و البهاء والبهجة وناضرة خبر اول عن قوله وجوه والخبر الثاني قوله ناظرة المشتق من النظر وهو الادراك بالبصر وقوله الى ظرفه وهو المطلوب لان النظر في اللغة اذا عدي بالى كان معناه الرؤية البصرية وقد عدي في الاية بها ولو كان النظر هاهنا بمعنى الانتظار كما يقوله اهل الاعتزال لتعدى بنفسه كما في قوله تعلى انظرونا نقتبس من نوركم اي انتظرونا والنظر ايضا يتعدى بفي اذا كان بمعنى التفكر تقول نظرت في كذا او باللام اذا كان بمعنى الرافة يقول السلطان لفلان ولا يصح ان يكون الى هاهنا واحدة الالاء اي متنظرة نعمة ربها لمنافرة ذلك المقام اذ الانتظار غم فلا يصلح ان يبشر به المؤمنون واما السنة ففي الصحيح ان الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون في ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فانكم ترونه كذلك الحديث وفيه ان ذلك قبل دخول الجنة وروى مسلم حديث اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله تعلى اتريدون شيئا

ازيدكم فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار فيكشف الحجاب فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر الى ربهم وروي عنه صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر الى ازواجه وجنانه ونعيمه وخدمه وسروره مسيرة الف سنة واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشيا لا احرمنا الله من النظر في ذلك الوجه الباهر نحن واباؤنا واولادنا واخواننا واحبتنا والمؤمنون . واما الاجماع فلا خلاف ان السلف الصالح رضي الله عنهم معلوم من حالهم الرغبة الى الله ان يمتعهم بالنظر اليه جل وعز وتحصل الرؤية بان ينكشف انكشا فا تاما (في غير جهة) ولما كانت الجهة عامة في الجهات الست صادقة بكل منها وكان المراد جهة خاصة وهي جهة الامام اردفها بقوله (ولا مقابلة) تفسير لما اريد بالجهة المشترطة في الرؤية لاختصاص المقابلة بجهة الامام ولا ينتقض ما ذكره بالعرض لانه في مكان موضوعه بطريق التبعية والمصنف رحمه الله لم ينبه على هذا في الاصل ولكن والله اعلم ذلك مراده (اذ) تعليلية (كما صح) يعني امكن وثبت (تفضله) تكرمه (سبحانه بخلق) يعني باختراع وايجاد (ادراك) يعني علم (لهم) اي للمخلوق (في قلوبهم) التي هي اوعية للانوار المستودع فيها من الله والاسرار العجيبة والعقول الشريفة (يسمى) ذلك الادراك (العلم يتعلق به تعلى) ولا يلزم من تعلقه به قيامه به لاستحالة قيام الحوادث بذاته تعلى على ما هو عليه) من الكمال (من غير جهة) له تبارك وتعلى مخصوصة (ولا مقابلة) لتلك الجهة لاستلزامه بذلك عمارة الفراغ والتحيز وذلك لا يكون الا للاجرام والله تعلى منزه عن ذلك فسبحان من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وكما صح تفضله الخ (كذلك يصح) ايضا (تفضله) وتكرمه تبارك و(تعلى بخلق) يعني باختراع وايجاد (ادراك) يعني بصر (لهم) اي للمخلوق (في اعينهم) يعني في جواهرها وخصت الاعين بذلك بحسب ما اجرى الله تعلى به العادة فضلا منه تعلى والا خلق ذلك الادراك في اي محل شاء الله تعلى من الجرم لصح ذلك من غير شرط في ذلك اصلا ولذا قال (او في غيرها) اي في غير الاعين فليست الاعين شرطا لذلك بل لو خلق ذلك الادراك في القدم لصح ذلك (يسمى ذلك الادراك البصر يتعلق) ذلك البصر (به تعلى على ما) اي الوجه الذي (يليق) يعني يختص (به) تبارك وتعلى (وقد اخبر) يعني انبأ (بذلك) اي برؤية المخلوق له تبارك وتعلى يعني بصحتها وثبوتها ووقوعها (الشرع) يعني الشارع

وهو الله تبارك وتعلى ورسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم فاما خبر الله تعلى فلآيات كثيرة تقدم في اول المبحث بعض منها وازيد بعضا اخر « فمنها » قوله تعلى للذين احسنوا الحسنى وزيادة فسرت الحسنى بالجنة والزيادة بالنظر الى وجهه الكريم ومنها سؤال موسى عليه السلام لها بقوله ربي ارني أنظر اليك اذ معلوم جزما ان كليم الله تعلى موسى لا يمكن ان يجهل ما يستحيل في حقه تعلى فتعين انه ما سأل إلّا جائزا اذ سؤال موسى عليه السلام ما يستحيل ممنوع والانبياء معصومون من كل زلل واما خبر رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم بقوله عليه السلام سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر والمقصود تشبيه الرؤية بالرؤية لا المرءي بالمرءي وحقيقة الرؤية هي صفة تقوم بالموصوف توجب له كونه رائيا من غير تكييف ولا تشبيه (في حق المؤمنين) يتعلق باخبر يعني لكل فرد فرد ممن مات محكوم له باتصافه بالايمان والتصديق الشرعي سواء كلف به بالفعل او كان صالحا للتكليف به فخرج به الكفار والمنافقون فلا يرونه تعلى لقوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ولانهم ليسوا من اهل الاكرام والتشريف وقيل انهم يرونه سبحانه ثم يحجبون فتكون الحجبة حسرة عليهم وجعل النووي محل الخلاف في المنافق واما الكافر غيره فلا يراه اتفاقا كما لا يراه سائر الحيوانات ويدخل الملائكة ومؤمنو الجن وإلا مع السابقة والصبيان والبله والمجانين الذين ادركهم البلوغ على الجنون وماتوا عليه ومن اتصف بالتوحيد من اهل الفترة لانه ايمان صحيح اذ هم في حكم ما جاء به الرسول في الجملة بناء على ان رجال غير هذه الامة يرونه (في الاخرة) يعني في الجنة وهي محل الرؤية من غير خلاف واما رؤيته في عرصات القيامة ففي السنة ما يقتضي وقوعها للمؤمنين فيها وهو الصحيح (فوجب الايمان) يعني التصديق (به) يعني بالخبر الذي اخبر الشرع بثبوت الرؤية في حق المؤمنين في الدار الاخرة « فان قلت » هل يكفر منكر الرؤية ام لا فالجواب كما قال شيخ شيخنا العلامة البرهان اللقاني ذهب جماعة من متاخري المالكية كالجزولي والاقفهسي والتتائي وابي الحسن المتاخر الى تكفير من زعم ان الله تعلى لا يرى في الاخرة او شك في ذلك والحق خلافهم في اهل التاويل فلا يكفرون كما جزم به القاضي عياض ونقله عن القاضي ابي بكر انتهى محل الحاجة ، نعم يؤدب ويبدع ويفسق ان لم يتب . ثم شرع يتكلم في حقيقة الرؤية فقال (والرؤية عند اهل الحق) يعني اهل السنة رضي

الله عنهم لانهم اهل الحق بخلاف من عداهم هي عبارة عن ادراك مخصوص يتعلق بالموجودات تعلقا خاصا يخلقه الله تعلى بالنسبة الينا في محل ما (لا تستدعي) يعني لا تطلب ولا يشترط فيها (بنية مخصوصة) يعني كالحدقة وطبقاتها السبع المعروفة عند الاطبة اي لا اثر لبنية العين ولا لطبقاتها السبع في ادراك البصر بالكلية ولا فيها خاصية لحفظ البصر ولا لوجوده ولا لقوته كما يقوله الطبائعون والمعتزلة بل الرؤية عند اهل الحق كما سبق هي عرض من الاعراض لا تستلزم عقلا غير مطلق محل جوهر فرد تقوم به وكل الجواهر بالنسبة الى صلاحيتها لان تكون محلا مرؤية سواء فلو خلقها الله تعلى في العقب او في اي محل شاء من الجسم لصح وانما خص سبحانه ما شاء من تلك الجواهر بما شاء من المعاني بمحض اختياره لا لخاصية في ذلك الجوهر تقتضي ذلك المعنى فان كل جوهر يقبل ما يقبل من المعاني لصفة نفسه التي هي مشتركة بينه وبين سائر الجواهر فاذا ما يقبله جوهر من الاعراض يلزم ان تقبله سائر الجواهر ولا يصح ان تكون احاطة الجواهر شرطا في قيام معنى بمحل اذ الشرط العقلي لابد ان يوجد في محل المشروط وإلا لزم وجود المشروط بدون شرطه ولا خفاء ان اجتماع تلك الجواهر مع المعنى في محل واحد محال لاستحالة قيام جوهر بجوهر والمعاني التي تقوم بها يستحيل ان توجب حكما لما لم تقم به (ولا) تستدعي اي تستلزم (جهة) يعني مخصص صفة كجهة الامام بدليل ارداف عليها قوله (ولا مقابلة) تفسير لما اريد بالجهة المشترطة في الرؤية لاختصاص المقابلة بجهة الامام فاعرفه (وانما تستدعي) يعني تستلزم الرؤية (مطلق محل) يعني ذات (تقوم به فقط) كما تقدم آنفا (وليست) يعني الرؤية كما تقوله المعتزلة (بـ) انها عبارة عن (انبعاث) يعني ارسال (اشعة) وهي عندهم أجزاء مضيئة تنفصل (من العين) وتتشبث بالمرء وتتصل به وبسبب اتصالها به وقعت الرؤية ولهذا قالوا لا يرى البعيد ولا القريب جدا ولا من دونه حجاب كثيف لعدم نفوذ الاشعة الى المقصود رؤيته في جميع ذلك ثم رتبوا على هذا الاصل لهم الفاسد والهوس الذي ليس من اهل الحق من لهم عليه يساعد استحالة رؤية الباري تعلى قالوا لان الاشعة التي هي سبب الرؤية يستحيل ان تتصل به تعلى لانها اجسام فلا تتصل ولا تماس الاجسام والله سبحانه ليس بجسم ولا جرم ولان الاشعة ايضا تستدعي جهة تنبعث اليها ومولانا جل وعز ليس في جهة فوجب اذا ان لا يرى وهذا الذي قالوه هوس وفساد

لان الرؤية عند اهل الحق ليست بانبعاث اشعة من العين كما توهموه وسياتي ان شاء الله ابطال مذهبهم الفاسد والرد عليهم باخصر عبارة (ولا يمنع منها) اي من الرؤية (قرب ولا بعد مفرطان ولا) يمنع منها ايضا (حجاب) يعني ساتر (كثيف) يعني مانع التداخل (بعضه في بعض) بخلاف الشفاف فلا يمنع تداخل بعضه في بعض (كما لا يمنع ذلك) يعني القرب والبعد المفرطين والحجاب الكثيف (من) تعلق (العلم) به تعلى وانما الرؤية عند اهل الحق رضي الله تعلى عنهم من باب الادراك والادراك معنى وعرض يخلقه الله تعلى في المدرك منا وهو انواع فالنوع الذي يخلقه الله منه في العين يسمى ابصارا والنوع الذي يخلقه الله تعلى في القلب يسمى علما والنوع الذي يخلق الله تعلى منه في جزء من الاذن يسمى سمعا والنوع الذي يخلق الله تعلى منه في اللسان يسمى ذوقا والنوع الذي يخلق الله تعلى منه في الجسد يسمى حسا واختصاص كل واحد من هذه الادراكات بالمحل الذي اختص به انما هو بمحض اختياره تعلى واجراء العادة بذلك وكذا اختصاص بعضها بان يكون المدرك في جهة وغير قريب جدا ولا بعيد جدا او دونه حجب كثيرة كثيفة وبما ليس في جهة اصلا انما هو بحكم العادة ويجوز ان تخرق العادة فيتعلق بما هو قريب او بعيد جدا وقد وقع ذلك في الشاهد للانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ووقع للانبياء كرامة لهم وسيقع ذلك لجميع المؤمنين بفضل الله تعلى في الدار الآخرة ، ثم استشعر المصنف رحمه الله تعلى سؤال سائل وهو ان يقال انتم قلتم انه لا يمنع قرب ولا بعد مفرطان ولا حجاب كثيف فما بال هذه الامور مانعة منها اجاب المصنف عن ذلك بقوله (وما تقرر) يعني ثبت ووجد (من الموانع) العادية (في الشاهد) يعني الحاضر ضد الغائب (فبمحض) اي فبخالص (اختياره) يعني ارادة (الله تعلى ان يحجب) يعني يمنع (عندها) يعني عند الموانع (لا بها) اذ ليس بينها وبين المنع ملازمة عقلية فهي مجرد علامة نصبت على المنع عادة فقط واما ابطال مذهب المعتزلة في قولهم الرؤية سببها انبعاث الاشعة كما يزعمون للزوم ألّا يرى الانسان إلّا قدر حدقته اذ لا تسع من الاشعة التي ترى بها عندهم اكثر منها ولوجب ان تتاخر رؤية الراءي بما بعد عنه بعد فتح عينيه ازمنة بقدر ما تصل الاشعة الى المرءي وتتصل به ويختلف ذلك باختلاف البعد وكلا الامرين باطل بالمعاينة فان الانسان يرى الاشياء البعيدة جدا بنفس فتح عينيه من غير تاخر اصلا ويرى دفعة وفي لحظة واحدة اكثر من ذاته

اضعافا مضاعفة . لا حصر لها فضلا عن حدقته التي هي ظرف للاشعة التي لا يرى إلّا ما اتصلت به عندهم فقد ظهر لك من هذا هوس هذه المقالة وافساد العقل والدين الذي ابتلى به هؤلاء القوم وهذا ما كنا وعدناك به ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم نحمده سبحانه على نعم لا تحصى ونسئله سبحانه السلامة والعافية من كل الفتن الى الممات بفضله ولما كان بصرنا يتعدد بحسب تعدد متعلقه فلكل مرءي بصر يخصه كما ان ذلك حكم العلم بانه يتعدد في حقنا بتعدد المعلومات بكل ما يجوز ان يدرك في البصر فاذا لم يقم بالمحل ادراك يتعلق به لزم ان يقوم بمحل معنى يضاد ادراكه وهو المعبر عنه في اصطلاح الموحدين بالمانع اشار الى بيان ذلك بقوله (وانما الموانع عند اهل الحق) يعني اهل السنة رضي الله عنهم لانهم اهل الحق دون من عداهم (اعراض) يعني معاني وصفات (متضادة للبصر تقوم بجوهر فرد من العين بحسب العادة وتتعدد) يعني تلك الموانع (بحسب ما) اي الذي (فات) يعني انقضى (من الرؤية) من الموجودات التي لم تر (كما ان البصر بالنسبة الينا عرض) يعني معنى من المعاني (يقوم بذلك الجوهر الفرد من العين عادة) لا عقلا (ويتعدد) يعني ذلك البصر (بتعدد ما) اي الذي (رىء) يعني ابصر (من المبصرات) يعني الموجودات ولا يلزم من تعدد الادراكات وتعدد موانعها قيام ما لا يتناهى عدده بالعين لان ادراك البصر انما يتعلق بالموجودات والموجودات متناهية فادراكاتها وموانعها التي هي اضدادها متناهية فاعرفه « فان قلت » هل تصح رؤية صفاته كما تصح رؤية ذاته العلية « فالجواب » كما قال الجمهور نعم لاقتضاء الوجود صحة رؤية كل موجود إلا انه لا دليل على الوقوع وكذا ادراكه تعلى بسائر الحواس اذا عللناه بالوجود سيما عند الشيخ الاشعري حيث جعل الاحساس نمس العلم بالمحسوس وبسطه بالاصل « فان قلت » ثبت وتحقق ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه ليلة الاسرى هل كان ذلك بعين القلب ام بعين الراس « فالجواب » ان الراجح عند اكثر العلماء انه صلى الله عليه وسلم رأى ربه سبحانه بعين راسه لحديث ابن عباس رضي الله عنهما وغيره لا يؤخذ إلّا بالسماع عنه صلى الله عليه وسلم فلا ينبغي ان يتشكك فيه ولما نفت عائشة وقوعها له صلى الله عليه وسلم قدم ابن عباس عليها لانه مثبت حتى قال معمر بن راشد ما عائشة عندنا باعلم من ابن عباس « فان قلت » حديث واعلموا انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا يدل على نفي ما ذكرت

« فالجواب » كما قال بعضهم فانه وان افاد ان الرؤية في الدنيا وان جازت عقلا فقد امتنعت سمعا لكن من اثبتها للنبي صلى الله عليه وسلم له ان يقول ان المتكلم لا يدخل في عموم كلامه ولم تثبت في الدنيا لغير نبينا صلى الله عليه وسلم على ما في ذلك من الخلاف « فان قلت » ثبت وتقرر انه تبارك وتعلى يرى في الجنة في غير جهة والجنة دار فيلزم ان يكون محصورا فيها وذلك محال « فالجواب » لا شك انه تبارك وتعلى يرى في الجنة لا محالة ولا يلزم من رؤيته فيها ان يكون فيها بدليل ان الشمس ترى في طست بالماء وليس هي في الماء هذا في ممكن فما بالك بواجب الوجود جل وعلا فصح انه يرى في الجنة وان لم يكن فيها فتنبه لذلك « فان قلت » فهل تتفاوت الناس في الرؤية « فالجواب » نعم تتفاوت قال الحافظ بن رجب فان كل يوم عيد للمسلمين في الدنيا عيد لهم في الجنة يجتمعون على زيارة ربهم ويتجلى لهم فيه ويوم الجمعة يدعى يوم المزيد في الجنة هذا حال العوام واما الخواص كالانبياء والرسل ففي كل يوم يرونه تبارك وتعلى بكرة وعشيا انتهى وفي التذكرة يرون ربهم في الموقف ثم يحجبون الى ان لا يبقى في النار من يدخل الجنة احد فيؤذن لهم فيرونه في الجنة ثم لا يحجبون بعد ذلك اصلا ولا في حال تمتعاتهم واطال وقال العارف بالله ابن العربي واعلم ان رؤية كل عبد للحق في الاخرة تكون على قدر مجالسته للحق تعلى في دار الدنيا في جميع المامورات واجتناب المنهيات على الكشف والشهود فتزيد المعرفة والرؤية بزيادة الطاعات وتنقص بفعل المنهيات وكل من قلت مجالسته للحق تعلى جهله فيما لم يجالسه فيه والسلام انتهى وبالجملة فافضل لذات الجنة على ما نقل امام اهل السنة رؤية الله تعلى ثم رؤية نبيه صلى الله عليه وسلم ولذلك لم يحرم الله انبياءه وملائكته المقربين وجماعة المؤمنين والصديقين النظر الى وجهه الكريم جل وعز متعنا الله بذلك ومتع والدينا واولادنا واخواننا وجميع المؤمنين بجاه سيد المرسلين ولما فرغ من الكلام في مبحث الالهيات وما يتعلق بها شرع الان في الكلام على مبحث النبوءات وما يتعلق به اذ هو الجزء الثاني من الايمان لان الايمان مركب من جزءين جزء الايمان بالله وهو حديث النفس التابع للمعرفة فيما يجب ويستحيل ويجوز وجزء الايمان برسول الله وهو ايضا حديث النفس التابع للمعرفة فيما يجب ويجوز ويستحيل والله المسئول في الاعانة على التمام ثم الاماتة على الايمان والاسلام بجاه سيدنا محمد خير الانام صلى الله عليه وسلم فقال (باب) اي

هذا باب في بيان اقامة (الدليل) القاطع (على ثبوت رسالة الرسل عليهم الصلاة والسلام) جمع رسول بمعنى مفعول نادرا مأخوذا اما من الاسترسال وهو التتابع كما جاء الناس ارسالا اذا تتبع بعضهم بعضا لانه الزم تكرير التبليغ والزمت الامة اتباعه واما من الرسالة وهي لغة السفارة وشرعا سفارة انسان حر ذكر بالغ عاقل بين الله تعلى وبين اولي التكليف من خليقته اصطفاه ليبلغهم عنه ما ارسله به اليهم من الاحكام التي امره الله تعلى بتبليغها اليهم ليزيح بها عنهم عللهم فيما قصرت عنه عقولهم من مصالح الدنيا والاخرة سواء كان له كتاب او لا ولذا كثرت الرسل وقلت الكتب فان الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر والكتب اربعة عشر والنبيء بهمز ودونه انسان حر بالغ ذكر من بني آدم اوحي اليه بشرع امر بتبليغه ام لا فهو اعم مطلقا على الاصح من الرسول وقوله (عموما) يعني بادراج نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين معهم في الحكم الثابت لهم بل هو اجدر لانه منبعهم وعنصرهم ومن اجله خلقوا بل لو كانوا الان موجودين لما وسعهم إلّا اتباعه صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين هذا معنى قوله عموما اي يذكرون جميعا في الحكم الثابت لهم ثم يخصص سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم بالذكر (و)في بيان اقامة الدليل القاطع (على ثبوت رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خصوصا) وسياتي نتيجة هذا الخصوص ان شاء الله تعلى من كلام المصنف رحمه الله تعلى ونفعنا به (و) في (بيان وجه دلالة المعجزة) يعني بوجهها في الصفة التي بها دلت على صدق الرسل اذ وجه الدليل هو الامر الذي يحصل الربط به بين الدليل والمدلول ويسمى الوسط في اصطلاح اهل المنطق والاستدلال بالعالم مثلا على وجوده جل وعز وجه الدليل فيه حدوث العالم او امكانه او هما معا على ما سبق من الخلاف فيه وقس على ما اشبهه والله الموفق بفضله (وتقريبه) اي وتقريب وجه دلالة المعجزة (بالمثال) ليزداد بذلك ايضاحا اذ هو اقرب واوضح من بيانه من ذكر الاقوال المقررة في وجه دلالة المعجزة على ما سياتي بيانه ان شاء الله تعلى . ثم شرع في بيان ذكر ما ترجم به في الباب فقال (ومن الجائزات بعثته سبحانه رسله) اما كون بعث الرسل جائزا عقلا فلان البعث فعل من افعال الله تعلى وقد عرفت انه لا يجب عليه جل وعز فعل ولا يتحتم عليه ترك وما في البعث من عظيم مصالح (العباد) لا يدل على وجوبه على الله تعلى فيما تزعمه المعتزلة لما تقرر فيما سبق من عدم وجوب مراعاة الصلاح والاصلح للعباد

على الله تعلى فبطل اذا مذهب المعتزلة القائلين بوجوب بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام وبطل اذا مذهب البراهمة القائلين بوجوب ان يترك الله تعلى بعثهم وانه لا رسول اصلا ومذهبهم كفر صراح وهم اخص من ان يتكلم معهم ويدخل في العباد بالنسبة الى نبينا صلى الله عليه وسلم الجن باتفاق والملائكة ايضا على قول هو الصحيح عند جماعة من اهل العلم بشهادة ليكون للعالمين نذيرا وما ارسلناك إلّا رحمة للعالمين (ليبلغوهم) حقيقة التبليغ هو عبارة عن وفائهم بما امرهم الله بتبليغه للخلق والتبليغ التوصيل وهي الصفة الاولى من الثلاثة الاولى الواجبة في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام واعلم ان الاحكام على قسمين تكليفية ووضعية فالتكليفية خمسة الواجب والمندوب والمحرم والمكروه والمباح والوضعية وهي ثلاثة السبب والشرط والمانع فالتكليفية هي ما اشار اليه بقوله ليبلغوهم اي ليوصلوا للعباد (امر الله تعلى) يعني مطلق طلب الفعل فيدخل فيه الايجاب والندب (ونهيه) يدخل فيه التحريم والكراهة (واباحته) ذكره بلفظ يخصه وهو المباح فهذه خمسة كما ترى . ثم اشار الى الاحكام الوضعية بقوله (وما) اي الذي (يتعلق بذلك) يعني بالاحكام التكليفية لان الاحكام الوضعية تتعلق بها بلا شك وهي السبب والشرط والمانع وبيان تعلقها بها انك تضع سببا وشرطا ومانعا للواجب كالظهر مثلا فالسبب لها الزوال والشرط العقل والمانع الحيض والاغماء وتضع سببا وشرطا ومانعا للمندوب كالنافلة فالسبب لها دخول وقتها وشرطها العقل ومانعها وقت المنع والاغماء وتضع سببا وشرطا ومانعا للمحرم كاكل الميتة فالسبب لها موتها حتف انفها والشرط عدم الضرورة والمانع وجود الضرورة وتضع سببا وشرطا ومانعا للمكروه كصيد اللهو فالسبب له اللهو والشرط عدم الضرورة والمانع وجود الضرورة وتضع سببا وشرطا ومانعا للمباح كالنكاح فالسبب له العقد والشرط خلو العقد عن المانع والمانع وقوع النكاح في العدة مثلا وكذا ايضا تضع سببا وشرطا ومانعا لصوم شهر رمضان فالسبب مثلا رؤية الهلال والشرط العقل والمانع الحيض وكذا تضع سببا وشرطا ومانعا للزكاة فالسبب مثلا ملك النصاب ملكا كاملا والشرط تمام الحول والمانع الدين الى غير ذلك مما لا ينحصر وبالجملة اشار المصنف رحمه الله بهذا الى بعض الفوائد التي اشتملت عليها بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام تفضلا من الله سبحانه فذكر اعظمها واشرفها والمقصود الاول منها وذلك ببيان ما تقدم ويدخل ايضا في قوله وما يتعلق بذلك ما

بينه الشرع من الوعد والوعيد المرتبين على الامتثال وعدمه وما شرحه من احوال الاخرة وما حذفه به من احوال الامم الماضية فاسم الاشارة راجع الى قوله امره وما بعده . ولما كانت دعوى النبوءة تقع من الصادق والكاذب بفضل مولانا جل وعز بعظيم كرمه وسعة فضله بان أيد الصادق بما يدل على صدقه بحيث لا يسترب مع ذلك في صدقه إلَّا من حقت عليه كلمة العذاب اشار المصنف رحمه الله الى ذلك بقوله (وايدهم) من التاييد اي اثبت الله نبوءتهم ورسالتهم وقواهم (سبحانه) وتعلى (فضلا) اي كرما واحسانا من غير وجوب (منه) جل وعلا (بـ) سبب (ما) اي الذي (يدل) اي يرشد (على) وجوب (صدقهم) عليهم الصلاة والسلام وهو عبارة عن مطابقة الخبر لما في نفس الامر خالف الاعتقاد ام لا وهذه الصفة الثانية من الثلاثة الواجبة في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام واذا وجب الصدق في حقهم استحال عليهم الكذب عقلا ونقلا وهذا الذي يدل على صدقهم عليهم الصلاة والسلام هو المعجزات جمع معجزة ماخوذ من العجز المقابل للقدرة وحقيقة الاعجاز اثبات العجز ما ستحير لاظهاره ثم اسند مجازا الى ما هو سبب عادة للعجز وجعل اسما له فالتاء في المعجزة للنقل من الوصفية الى الاسمية كما في لفظ الحقيقة وقيل للمبالغة كما في العلامة وهي في اصطلاح المتكلمين امر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة والتحدي دعوى الرسالة اشتمل هذا التعريف على ما اعتبره المحققون في المعجزة من القيود السبعة التي اولها ان تكون فعلا لله تعلى او ما يقوم مقامه من الترك ليتصور كونه تصديقا منه تعلى للاتي به فالفعل كنبع الماء من الاصابع وانشقاق القمر وانقياد الشجر وتسبيح الحجر وانفلاق البحر والترك كعدم احراق النار لابراهيم عليه السلام « وثانيها » ان يكون خارقا للعادة لان الاعجاز لا يكون بدونه « وثالثها » ان يكون ظهوره على يد مدعي النبوءة ليعلم انه تصديق له « ورابعها » ان يكون مقارنا للدعوى حقيقة او حكما لانه شهادة وهي لا تكون قبل الدعوى « وخامسها » ان يكون موافقا للدعوى فالمخالف لا يكون تصديقا كفتق الجبل عند قول مدعي الرسالة معجزتي فلق البحر « وسادسها » ان لا يكون مكذبا له ان كان ممن يعتبر تكذيبه كقوله معجزتي نطق هذا الجماد فنطق بانه مفتر كذاب « وسابعها » ان تتعذر معارضته إلَّا من نبيء مثله كما هو حقيقة الاعجاز وزاد بعضهم « ثامنا » وهو ان لا يكون الخارق واقعا في زمان نقض العادات فما يقع عند قيام الساعة وفيها لا يعد مصدقا وقد

اطبق عليها قول السعد هي امر يظهر بخلاف العادة على يد مدعي النبوءة عند تحدي المنكرين على وجه يعجز المنكرين عن الاتيان بمثله والله اعلم والمحققون على ان خوارق العادات تنقسم على سبعة اقسام معجزة وهي ما يظهر على يد الرسول تصديقا له وكرامة وهي ما يظهر على يد الولي من غير تحد إلّا ان يدعي فيشترط اذ ذاك التحدي واعانة وهي ما يظهر من قبل عوام المسلمين الذين لم يصلوا الى درجة الولاية ليخاصهم الله بها او يخلص على ايديهم من محن الدنيا ومكارهها وارهاص وهو ما يظهر من الخوارق قبل دعوى النبوءة مقدمة لها وتاسيسا لامرها واهانة وهي ما يظهر على يد مسيلمة الكذاب من ضد ما يقصد اليه كادعائه لعين اعور ان تصير عينه العوراء صحيحة فصارت الصحيحة عورا واستدراج وهو ما يظهر من الخوارق على يد من لم يستقم دينه وابتلاء وهو ما يظهر من الخوارق على يد من يحصل به اضلال الخلق كالدجال ونحوه وبالجملة فسبحانه وتعلى ايدهم بالمعجزات على صدقهم عليهم الصلاة والسلام ونظمها بعضهم فقال

خوارق العادات سبع تذكر ❁ عن الائمة وهو الاشهر
معجزة كرامة اعانه ❁ سحر وارهاص كذا اهانه
كذاك الاستدراج قل يا صاح ❁ اعلم هداك الله للصلاح

(فيما) اي الذي (بلغوا) يعني وصلوا (عنه) اي عن الله تعلى وتبليغهم للخلق هو ايصالهم اليهم باقوالهم وافعالهم وسكوتهم (بحيث يتنزل ذلك) اي الذي يدل على صدقهم وهو المعجزات (منزلة) صريح (قوله) تبارك و (تعلى صدق عبدي) اي نبئي او رسولي (في كل ما) اي الذي (يبلغ) يوصل (عني) فلو كذبوا كذبة واحدة للزم الكذب في خبره تعلى اذ مصدق الكذب كذب ضرورة انه حينئذ قد اخبر بخلاف الواقع لكن الكذب عليه تعلى محال وكذب الرسل المؤدي اليه محال فيجب الصدق وهو المطلوب « فان قلت » لا جرم ان صدق الرسل متوقف على استحالة الكذب في اخباره تعلى لكن لا سبيل الى استحالة الكذب بدليل السمع للزوم الدور ولا بدليل العقل لان غايته ان الكذب قبيح وهو على الله محال ومقبح الكذب عقلا غير مسلم على اصلكم « فالجواب » ان مجرد ظهور المعجزة على ايديهم يفيدنا العلم بصدقهم بتصديق الله اياهم بخلق المعجزة من غير افتقار الى اعتبار كلام واخبار ولهذا يعلم صدق الرسل من يقول بالكلام النفسي ومن لا يقول به فيصح اذا التمسك

بخبر النبي صلى الله عليه وسلم وفي اثبات الكلام وامتناع الكذب على ان قولكم لاسبيل الى استحالته بالدليل العقلي باطل وقد استدل اصحابنا على استحالته على الله بوجوه من العقل احدها ان الله تعلى عالم يصح ان يخبر على وفق علمه فالله تعلى يصح ان يخبر على وفق علمه وكل ما صح ان يتصف به تعلى واجب له لاستحالة اتصافه بالجائز فيكون اتصافه تعلى بالخبر على وفق علمه واجب فضده اذا وهو الكذب محال « وثانيها » للاستاذابي اسحاق وهو ان خبره تعلى على وفق علمه فيلزم ان يكون صدقا فلو انتفى الصدق لا تنفي العلم الملزوم له لكن انتفاء العلم محال فانتفاء الصدق المؤدي اليه محال « واعترض بان العالم منا بالشيء قد يخبر عنه بالكذب عمدا فلم يلزم بكذبه جهله به فليس العلم اذا ملزوما للصدق ولا الكذب ملزوما للجهل واجيب بان كلامنا انما هو في الخبر النفسي لا في الالفاظ والعالم منا بالشيء يستحيل ان يخبر من قلبه الذي قام به العلم بخبر كذب على غير وفق علمه وانما الذي يخبر به منا غيره كعضو اللسان مثلا لما كانت ذواتنا مركبة والاله يستحيل عليه التركيب حتى يقوم العلم والصدق بمحل ويقوم الكذب بمحل ءاخر « وثالثها » هو ان ذاته العلية لو قبلت الكذب لكان واجبا له لاستحالة اتصافه تعلى بالجائز فيكون ضده وهو الصدق محالا فيلزم ان لا يخبر تعلى ابدا على وفق علمه وهو باطل بالضرورة وانما جعلت المعجزة نازلة منزلة القول ولم تجعل عين القول لئلا يلزم على ذلك الدور لان القول يتوقف عليها وهي عليه وبالجملة فقول المصنف بحيث ينزل ذلك الخ يتضمن جميع الشروط التي اشترطت في المعجزة وقد ذكرت مستوفاة والحمد لله واشار به ايضا الى وجه بيان دلالة المعجزة هل هي عقلية او وضعية او عادية فذهب الاستاذ الى ان دلالتها عقلية قالوا لان خلق الله تعلى لهذا الخارق في يد مدعي النبوءة على وفق دعواه وتحديه مع عجز المتحدين عن معارضته وتخصيصه بذلك يدل عقلا على ارادة الله تعلى لتصديقه كما يدل عقلا على ارادة الله تعلى لتصديقه كما يدل عقلا تخصيصه سبحانه على ممكن ببعض ما جاز عليه بدلا عن مقابله على ذلك وذهب ءاخرون الى ان دلالتها وضعية كدلالة اللفظ بالوضع على معانيها ومدلولاتها الوضعية غاية ذلك ان المواضعة تارة تعرف بتصريح يدل على التواضع كما لو قال شخص لشخص متى فعلت كذا فقد اردت كذا فانه متى صدر عنه ذلك الفعل فهم منه من واضعه ما فعل ذلك الفعل امارة عليه وتارة تعرف بصريح من احد المتواضعين وفعل من ءاخر من غير تواطي

على ذلك كما اذا قام شخص بمحضر ملك وقال لحاضري ذلك المجلس وهو بمرأى من ذلك الملك ومسمع انا رسول هذا الملك اليكم وءايتي ان يخالف عادته فيقوم ويقعد ولم تكن عادة الملك ذلك ففعل واجابه الى القيام والقعود كان بمنزلة التصريح بالمواضعة على ان خرق عادته امارة ارساله وذهب جمع منهم القاضي واختاره السعد الى ان دلالتها عادية كدلالة قرائن الاحوال على خجل الخجل ووجل الوجل فتنزل هذا دلالة المعجزة عادة على صدق الاتي بها عند التحقيق منزلة صريح التصديق لما جرت به العادة من ان الله تعلى يخلق عقبها العلم الضروري بالصدق وهذا مختار المصنف رحمه الله وزاده ايضاحا بالمثال الذي ذكره بقوله (وقد مثل) المثال وهو جزءي من جزئيات قاعدة تذكر ايضا حال تلك القاعدة (لك) للمخاطب كان من كان (ائمتنا) اي علماؤنا الذين يقتدى بهم في اقوالهم وافعالهم (رضي الله عنهم) خبر بمعنى الدعاء صفة فعل بمعنى الانعام (لشخص) ولا يجوز اطلاقه على الله لعدم الورود بذلك (ادعاء) اي الشخص (في محفل) بالفاء اي مجمع (عظيم) يعني كبير (بمجلس) اي محضر (ملك) بكسر اللام يعني سلطان (والملك قد حجب) منع (الجميع عن مشاهدته) اي معاينته (فقال) المذكور (اتعرفون) بهمزة الاستفهام التقريري اي اتعلمون (لما) اي للذي (جمعكم الملك) هذا الجمع (جمعكم ليامركم بكذا) عبارة عن فعل مثلا (وينهاكم عن كذا) عبارة عن ترك فعل مثلا (ويعلمكم) اي ينبئكم ويخبركم (بانكم استقبلتم) اي توجهتم (هولا) ما يهول ويروع (جسيما) عظيما (وامرا تذوب) تضمحل منه (القلوب بمجرد) اي مطلق (سماعه) بالخبر فكيف بمشاهدته عيانا ليس الخبر كالمعاينة (وكربا) اي بلاء (يمنع) يقطع (نوم العقلاء) اذ هم المقصودون بالذات فلا عبرة بغيرهم ويحتمل هم وغيرهم ويكون غيرهم احرى (عظيما) نعت لكربا اي كبيرا (لا يسلم)اي لا يمنع (منه) اي من الكرب العظيم (إلّا من) اي الذي (بادر الان) اي سارع وعجل (لاستعداده) اي لتاهبه (قبل هجومه) يعني قبل ورود كثرة الهول والكرب (والقى) اي اصغى (السمع) اي الاسماع (واحضر الفكر) اي القلب (مما) للذي (يشير) يلقي (عليه الملك في ذلك) اي في الاصغاء والاحضار (من مكنون) غيوب (علومه) يعني معلوماته (وقد امرني) يعني الملك (بتبليغ) يعني بتوصيل (ذلك) اي مكنون علومه (الان فالبدار البدار) بكسر الموحدة اي السرعة السرعة العجل العجل (اذ) تعليل

(ليس بينكم) ايها الجمع من الناس (وبين ذلك الامر المخوف) المهول (إلّا القليل) اي اليسير (من الزمان) لانه ءات وكل ءات قريب (وانا لكم بين ذلك الهول) اي الخوف (الناصح) المرشد (الامين) الحافظ للشيء المعد عنه بحيث لا يجوز فيه (والنذير العريان) هذا مثل ضربه النبيء صلى الله عليه وسلم مبالغة في صدق النذارة لان النذير اذا كان عريانا كان ابين وقيل كان النذير يحرك ثيابه ويلوح بها لتجمع اليه (وقد) للتحقيق (انيت لكم رسالة) اماتة (الملك فمن) فالذي (اطاعه) يعني امتثل امره وانقاد اليه (واحسن النظر) استبصر (لنفسه) بقبول رسالة الملك والعمل بما فيها وتصديق الاتي بها من غير شك (فقد أستخلصها) اي استخلص نفسه بان انقذها من الهول الجسيم والكرب العظيم وسخط الملك (واغتنم) اي نال وحاز (عظيم) كبير (رضاه من عصاه) بان خالف امر الملك ولا انقاد اليه (واهمل) بان ترك (النظر لنفسه) ولم يستبصر (فقد) حقيق (تعرض) تلقى (لما) للذي (لا يطاق) حمله (من هول سخط) غضب (الملك ولا احد) من الخلق (يطيق) اي يقدر على (انفاده) بان يخلعه (من عظيم) كبير (رداه) بفتح الراء غضبه (وقولي هذا) الذي قلته لكم ووصلته اليكم (تعلمون) بقرائن الاحوال (انه) اي قولي (بعلم من الملك) لانه لا يخفاه (ومرأى) بضم الميم اي مبصرا (منه الان ومسمع) اي مسموعا منه الان (وانه) اي الملك (وان حجبنا الان) اي منعنا (عن مشاهدته) اي معاينته (فليس هو) اي الملك (محجوبا) اي ممنوعا (عن رؤيتنا) اي مشاهدتنا ومعاينتنا (وسماع) اي ادراك (ما) اي الذي (يجري) اي يقص (بيننا) اي بيني وبينكم فمني الوفاء برسالة الملك ومنكم القبول فلي ثواب توصيل الرسالة ولكم ثواب القبول ان قبلتم (وهو) اي الملك (الذي يضع) يعني يذل (من يشاء) اذلاله (ويرفع) يعني يعز (من يشاء) اعزازه (وهو) اي الملك (القادر) اي المتمكن من الفعل والترك بحسب الاختيار على (ان يعاقبني) اي ينتقم مني (ان كذبت) اي اخبرت (عنه) اي عن الملك بما لم يامرني به بان اختلقت من تلقاء نفسي (ولا ملجأ) اي لا مرجع (لي ان عصيت) ما امرت به (ولا مهرب) يعني منجأ (لي ولا مدفع) اي مانع يمنعني مما ينزل بي ان عصيت الملك فيما امرني به (وقد عهدتموني) اي الزمتموني (من لدن) اي من عند (نشاتي) اي خلقتي ووجودي (لا اسمح) اي لا اتجاوز (لنفسي بكذبة) فضلا عما فوقها والكذب الاخبار

(سال) طلب (وقد) للتحقيق (علم الجميع) اي جميع اهل المجلس (انه) اي الشخص (لا يتوصل) اي لا يتبلغ (الى مثل) شبه (ذلك الفعل) الخارق للعادة (من الملك بحيلة من الحيل) اي بسبب من الاسباب اذ اهل الحيل وما يتوصلون بحيالهم او علومهم اليه معروف لا يخفى إلّا على غبي « فان قلت » فلو اعترض على ما ذكر باحتمال ان لا يكون ذلك من الله تعلى بل يستند الى المدعي بخاصية في نفسه او مزاج في بدنه لاطلاع منه على خواص في بعض الاجسام يتخذها ذريعة الى ذلك او يستند الى بعض الملائكة او الجن او اتصالات الكوكبية واوضاع الفلكية لا يطلع عليها احد غيره الى غير ذلك من الاسباب « فالجواب » انه قد سبق بالبرهان ان لا مؤثر في جميع الكائنات إلّا الله تعلى بلا واسطة فلا تاثير لطبيعة ولا خاصية سيما في مثل احياء الموتى وانقلاب العصا وانشقاق القمر وسلام الحجر والمدر ونبع الماء من بين الاصابع امثال العيون ونحو ذلك فان مثل هذه الاشياء لا شبهة فيها لعاقل وانما هي من الله تعلى بلا واسطة ولا يقدر عليها كل ما سواه البتة كما ان ذلك حكم جميع الكائنات عند اهل الحق الموحدين على الحقيقة (ولا خفاء ان ذلك الفعل) الخارق وللعادة (من الملك يتنزل منزلة تصريحه) يعني قوله اي الملك (بصدق الشخص في كل ما يبلغ) يوصل (عنه) عن الملك (والعلم بذلك) اي بصدق الشخص الذي حصل بالفعل الخارق من الملك (ضروري) يعني لا يحتاج الى تامل (لمن حضر) شاهد وعاين (ذلك المجلس) بلا ارتياب (او غاب عنه) اي عن المجلس (و) لكن و (صله) بلغه (خبره) اي خبر ذلك المجلس (بالتواتر) سمي بذلك لما انه لا يقع دفعه بل على التعاقب والتوالي وهو الخبر الثابت على السنة قوم لا يتصور توافقهم على الكذب ومصداقه وقوع العلم من غير شبهة (ولا يخفى) على عاقل يريد ان يفوز بمعرفة الله تعلى ومعرفة رسوله الامين (ان هذا المثال) الذي تقرر (مطابق) اي موافق (لحال الرسل عليهم الصلاة والسلام) فلا يرتاب في صدقهم إلّا من طبع على قلبه والعياذ بالله تعلى نسأله سبحانه ثبات الايمان والوفاء على اكمل حالته بلا محنة دنيا واخرى (ولا خفاء انه قد علم ضرورة من سيرتهم) اي من طريقتهم (عليهم الصلاة والسلام التزام) اي وجوب (الصدق) يعني مطابقة الخبر للواقع (و) التزام (رفع) علو (الهمة) النفس (عن كل دناءة) اي نقص وحطيطة ومن كلام القطب الكبير ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنه والله ما وجدنا العز والراحة في الدنيا إلّا برفع الهمة عن

(خصوصا) سيما (رذيلة) نقيصة (الكذب) وهو عدم مطابقة الخبر لما في نفس الامر (وما) اي والذي (تتحققون) تعلمون وتعرفون (من حسن) شرف (سيرتي) طريقتي (فهنا) اي في تقرير هذا الاتي وبيانه اليكم وهو ان وجه بيان دلالة المعجزة على صدق الرسل وضعية كما ستقف عليه ان شاء الله تعلى وتقدم لنا في التقسيم ايضا فهنا (ما يقطع) يزيل (العذر) الحجة (لكل احد) من الناس وغيرهم (وتطلع) تظهر (به) اي بهذا القول الثاني وهو ان وجه بيان دلالة المعجزة على صدق الرسل وضعية (شموس) انوار (المعرفة الضرورية) الظاهرة (على افاق) نواحي وجهات (القلوب حتى لا ينكرها) يجحدها (إلّا من) اي الذي (تعرض) اي تلقى (لسخط) عقوبة (الملك وحقت) نزلت (عليه) على من تعرض (كلمة العذاب) العقاب (فعاند) اي خاصم (وجحد) منع (وذلك) اي الذي يقطع به العذر لكل احد الخ (ان اسال) اي اطلب (الملك كما تفضل) اي تكرم (ببعثتي) بارسالي (اليكم لبيان) اي اظهار (مراشدكم) هدايتكم (وانذاركم) تخويفكم (قبل هجوم) كثرة (ما يفوت) يضيع (معه) اي مع الهجوم (استعدادكم) فاعل بيفوت اي تاهبكم (لمعادكم) لاخرتكم (ان يتفضل) يتكرم (ايضا بابانة) يعني باظهار (صدقي) اي مطابقة خبري (فيما) اي في الذي (عنه) اي عن الملك (بلغت) وصلت (واني ما كذبت) فيما اخبرت (عنه) عن الملك (وما نزعت) اي صرفت ما امرت به (بان يخرق) يخالف (عادته ويعقد كذا مما ليس عادته ان يفعله) كقيامه عن سريره مثلا ثلاث مرات وقعوده (ويخصني بالاجابة) لما سالته (بذلك المصدق الخارق) للعادة (دون) سوى (من بقي منكم) ايها المجلس من الناس (يسأله) يطلبه (مثل ذلك) الفعل (الخارق ويبتغي) يقصد ويريد (به) بالخارق (معارضتي) بان يبطل حجتي (و) يبتغي (تكذيبي في مقالتي) للملك بان يخرق عادته (وليس هو) اي الذي يبتغي معارضتي (في الصدق) في مطابقة الخبر (على مثل حالتي) واني على ذلك (ثم قال) اي الشخص الذي اختص الملك باجابة دعوته (أيها الملك ان كنت صادقا) اي في الذي (بلغت) يعني وصلت (عنك) ايها الملك ما امرتني به (فاخرق) خالف (عادتك وافعل كذا) عبارة عن قيامه وقعوده ثلاث مرات عن كرسيه مثلا (فاجابه الملك الى ذلك) بان قام وقعد ثلاث مرات (وفعله على وفق) مطابق (ما) الذي

اي على رافتهم على الخلق اكثر من رافتهم على اولادهم بل وعلى انفسهم (ولا منفعة) فائدة (دنيوية) كدرهم مثلا او اثاثا او ما اشبه ذلك (تحصل) اي تثبت (لهم) للرسل (من قبلهم) بكسر القاف اي من قبل الخلق (بل هم عليهم الصلاة والسلام تعرضوا) تلقوا بانفسهم (لذلك) تفسيره (لشدائد)من المحن والمصائب (واهوال) اي مخاوف ويحتمل تفسير اسم الاشارة يرجع لما قبله وهو لحمل سوء اذائهم الى اخره (نالتهم) اصابتهم ولحقتهم (من جهتهم) من قبلهم (لا يثبت) لا يستقر (لها) للشدائد والاهوال (إلّا من) اي الذي (هو على صميمهم) صحيحهم (الحق) وهو الحكم المطابق للواقع (قد شغلهم) منعه (التلذذ) الاستمتاع (برضا مولاه) ربه ومالكه (على ان يستعظم) يستكبر (شيئا يوصله) يبلغه (الى مراده) اي مقصوده (منه) اي الشيء (ومناه) ما يتمناه منه كذلك (وقد ثبت) تحقق (بالتواتر) اي بالخبر المتوالي والمتعاقب وقد سبق تعريفه (ما) اي الذي (نالهم) اصابهم ولحقهم (عليهم الصلاة والسلام من عظيم) كبير (اذاية) ضرر (الخلق) المخلوق (بسبب دعائهم الى الله تعلى حتى انهم) اي الخلق (تجاسروا على اعظم) اكبر (الخلق) المخلوق (و) تجاسروا (على اكرمهم) افضلهم واشرفهم (على الله تعلى نبينا) اضافة تشريف (ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم) وافضليته على جميع الخلق من غير خلاف في ذلك على ما سياتي ان شاء الله تعلى من كلام المصنف رحمه الله (فاذوه) ضروه (وضيقوا عليه) صلى الله عليه وسلم فدته نفسي (وقاتلوه) حاربوه (حتى انهم كسروا) بالتخفيف (رباعيته) بفتح الراء وتخفيف الموحدة وكسر العين المهملة وتخفيف المثناة التحتية السن التي بين الثنية والناب (وادموا) جرحوا (منه ذلك الوجه الابهر) اي الانور من بهر القمر اذا غلب نوره (الارفع) الاعلا (الكريم) وفي سيرة ابن هشام ان عتبة بن ابي وقاص وهو اخ سعيد بن ابي وقاص رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد فكسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى وان عبد الله بن شهاب الزهري شجه في وجهه وان ابن قمئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من المغفر في وجنته وقد اختلف في اسلام عقبة والصحيح انه لم يسلم قال السهيلي ولم يولد من نسله ولد فبلغ الحلم إلا وهو ابخر يعني منتن الفم يعرف ذلك في عقبه واما عبد الله ابن شهاب فاسلم واما ابن قمئة واسمه عبد الله فنطحه تيس فتردى من شاهق انتهى

المخلوقات والامر كما ذكر (و) التزام (الزهد) ترك الدنيا بالقلب (في الدنيا باسرها) اي باجمعها وفي الحديث اطمع مما في يد الله يحبك الله وازهد مما في ايدي الناس يحبك الناس (بحيث استوى عندهم) يعني الرسل عليهم الصلاة والسلام (ذهبها) اي الدنيا (ومدرها) حجرها (والتزام غاية) نهاية (التواضع) والخضوع (مع الفقراء والمساكين) من عطف العام على الخاص (واسقاط) حب (الجاه و) اسقاط حب (المنزلة) اي الرفعة (عند الخلق) اي المخلوق (وطلبها) اي المنزلة (عند الملك) بكسر اللام (الحق) اي الثابت الوجود (وعظيم) كبير (ما جبلوا) طبعوا (عليه من الشفقة) اي الرافة والرحمة (على جميع الخلق) اي المخلوق (والنصح) الرشد (التام) الكامل (لعباد الله تعلى) والعبد هو كل من يتأتى منه العبادة (وكثرة الخوف منه) سبحانه (جل وعلا) انما يخافه من عرفه فكان خوفهم على قدر معرفتهم ولهذا كان يسمع لصدر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين ازيز اي غليان كازيز المرجل من خوف الله تعلى (والمبادرة) اي المسارعة (لامتثال ما) الذي (بلغوه) وصلوه (عنه) عن الله تعلى (قبل كل واحد والمواظبة) المداومة (الى الممات) من غير مهلة ولا تراخ لهم في ذلك الى ان لقوا الله تعلى (على دعاء الخلق الى الله تعلى ، الدعاء الى الله تعلى تبليغ التوحيد ومكافحة الكفر والاصل فيما ذكر قوله تعلى يا ايها النبيء انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا (مع التسوية في ذلك) اي في دعاء الخلق الى الله تعلى (بين وضيعهم) حقيرهم (ورفيعهم)عليهم (وغنيهم) من له مال (وفقيرهم) من ليس له ذلك (وفطنهم) متيقظهم (وبليدهم) غير متيقظ (واعجميهم) غير فصيحهم بدليل (وفصيحهم) عربيهم (وحرهم) هو ممن تحرر (وعبدهم) هو من تملك (وذكرهم) من له ذكر (وانثاهم) من له فرج (وحاضرهم) شاهدهم (وغائبهم ومليكهم) مقدمهم (وسوقتهم) اخرهم (ثم مع سعة) بكسر السين فسيح الصدر (القلب لحمل) رفع (سوء) ضر (اذائهم وشدة) قوة (جفائهم) وحشتهم ونفرتهم (والنرافة) اي الرحمة والشفقة (على جميعهم) اي كلهم (اكثر) اشد (من رأفتهم) رحمتهم وشفقتهم (على اولادهم) عليهم الصلاة والسلام الذين هم قطعة من اكبادهم (بل) اضراب انتقال (و) اشد رفة (على انفسهم) فجزاهم الله عنا وعن انفسهم افضل الجزاء (من غير عوض) بدل (ياخذونه منهم) اي من الخلق (على ذلك)

النفس العاينة اصلا وانما استحسانها مجرد امارة عادية فقط كالسحر لا اثر له البتة لا بطبعه ولا بقوة وانما هو كالطعام بالنسبة للشبع ونحوه من العاديات فثبوت العين يكاد يجري مجرى المشاهدات التي لا تفتقر الى حجة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم العين حق وقال العين تدخل الرجل الى القبر والجمل القدر نسئله سبحانه السلامة الى الممات من شر انفسنا ومن شر كل ذي شر بمنه وكرمه وان يرحمنا ويرحم والدينا واولادنا واخواننا وجميع المسلمين (و) كما انه لا يتوصل الى الخوارق التي هي المعجزة بحيلة سحر كذلك (لا) يتوصل اليها (بـ) سبب (خوض) دخول (في) علم (طب) بتثليث الطاء والافصح الضم وهو علم احوال جسد الانسان من صحة ومرض وغير ذلك (ولا) في (غيره) اي غير الطب كالسيميا والخواص والعزائم فانها وان كانت خوارق عند بعضهم تمكن المعارضة فيها . ثم بين الخوارق بقوله (كاحياء الموتى) اذ لا يتصور ذلك بسحر ولا بما عطف عليه بوجه من الوجوه كاحيائه صلى الله عليه وسلم الصبي الذي مات في الوادي وتكليمه معه بحضور والديه وجم غفير وكاحيائه والديه صلى الله عليه وسلم حين قفوله من مكة المشرفة الى المدينة المشرفة وءامنا به صلى الله عليه وسلم الى غير ذلك وكذا سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام وكذا غيرهما من الانبياء والمرسلين (و) كذا سيدنا موسى (فلق) شق (البحر) اثنى عشر فرقا (اطوادا) جبالا فكان كل فرق من الاثنى عشر كالطود العظيم اي الجبل الضخم بينهما مسالك سلكوها (ونحو ذلك) مما لا ينحصر (ولوكان ذلك) اي الخوارق الذي اختصوا بها الانبياء عليهم الصلاة والسلام (مما يتوصل) يتبلغ (اليه) اي الخوارق (بالحيل لاستحال) لامتنع (عادة ان ينفردوا) اي يختصوا (بذلك) الخوارق (عن جميع) اي كل (اهل الارض هذا) اقتضاب قريب من التخلص والتقدير هذا الامر كما عرفت او الامر هذا (وقد علم ضرورة) بلا تامل (انهم) اي الرسل (كانوا في غاية) اي انهى واقصى (البعد عن هذه العلوم) يعني علم السحر وعلم الطب وعلم العزائم وغيرها مما هم براء من ذلك (وارابها) اي ارباب تلك العلوم البعيدة عنهم (وما كنت) يا محمد (تتلو) تقرأ (من قبله) اي القرآن (من كتاب ولا تخطه) تكتبه (بيمينك اذا) اي لو كنت قارئا وكاتبا (لارتاب) شك (المبطلون) اليهود وقالوا الذي في التوراة انه امي لا يقرأ ولا يكتب (وهذا) اي كونهم في غاية البعد عن هذه العلوم وارابها (مما اقر) اعترف

ملفقا (وحجبوا اي) منعوا (من مشاهدة) اي معاينة (تلك المحاسن) اي المفاضل والمفاخر الزكية التي جلت عن العد والاحصاء (التي الكشف) اي البحث والوضوح (عن ادناها) اي اقلها (يدهش) اي يغيب (الفكر) اي التامل والنظر (وتسكن) اي تبهت (النفس) اي الروح (لما) للذي (ترى) تبصر (من خرق) خلاف (العادة في ذلك الخلق) بفتح الخاء الشكل (الوسيم) الزين والحسن والجمال العديم المثال (والخلق) بضم الخاء الطبع (العظيم) بشهادة وانك لعلى خلق عظيم (وكيف) تعجب (يفلح) يفوز (قوم) جمع (ادموا وجه نبيهم الرءوف) الرحيم (عليهم) حيث قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون (وقد استقبلهم) واجههم (بشمس) نور (طلعته) السعيدة (ومحاسن) انوار (قمر وجهه) المنير (مباشرا) ملاقيا ومصاحبا (لهم) لقومه (بتلك الذات) التي لم يخلق مثلها في الوجود ولم تخلق مع صلاحية القدرة الازلية لذلك لكن من شرفه على الله تعالى توقفت القدرة الازلية على ايجاد مثله (الزكية) الطيبة (المرفعة) العالية (ليأخذ) يتعلق باستقبل (بحجزهم) بمنعهم (عن النار حريصا) مجتهدا (على ردهم عنها) عن النار (ولو) كان ردهم على النار (بالسيف) يعني بالقهر ويحتمل بثالة الجهاد (قبل ان يفوتهم) يسبقهم (الامر) الحكم (بالحلول) النزول (في دار البوار) الهلاك (فهذا) الذي تقدم (كله يدل) يرشد (بمجرده على انهم) اي الرسل (عليهم الصلاة والسلام صادقون) موافقون ومطابقون (في كل) جميع (ما) اي الذي (اتوا) اي جاءوا (به عن الله) تبارك و (تعالى وقرينة) دلالة (حالهم وحدها) اي قرينة الحال (تنافي) تناقض وتدفع (حالة الكذب) وهو الاخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه (ضرورة) لازما (فكيف) تعجب (وقد) للتحقيق (ايدهم) قواهم (الله) تبارك و (تعالى بخوارق) عادات (يقطع) ويجزم (بانه) اي الشان (لا يتوصل) لا يتبلغ (اليهما) اي الى الخوارق (بـ) سبب (حيلة سحر) او شعوذة وحقيقة السحر هو اظهار امر خارق للعادة من نفس شريرة خبيثة بمباشرة اسباب مخصوصة يجري فيها التعلم والتعليم وبهذين الاعتبارين وهما قوله من نفس شريرة الى اخره يفارق المعجزة والكرامة والفارق بين المعجزة التحدي واما الشعوذة بالذال المعجمة فهي التخيلات التي يفعلها بعضهم والسحر عند اهل الحق جائز عقلا وثابت سمعا وكذلك الاصابة بالعين وهو ان يكون لبعض النفوس خاصية انها اذا استحسنت شيئا لحقته الافة بمحض خلق الله تعالى لا اثر لتلك

وجهها ضرورة انجلا على العقل حينئذ ظلمة استصعاب فهم النظير لعدم الفه به وهو دلالة المعجزة فصار عنده واضحا كالشمس ضروريا لا يقلد فيه احدا ولا يقول عقله عند ذلك سمعت الناس يقولون شيئا فقلته فذكر هذا المثال انما هو من باب العبارات التي يقرب بها على المبتدي الفهم ويوضح له به المعنى العسر والا فمدرك دلالة المعجزة ضروري لمن حقق اركانها بمعرفة توحيد الله تعلى ومعرفة صفاته ولا يفتقر في دلالتها الى مثال يضرب في الشاهد أصلا وقد سبق ذكر شروطها واركانها فانظرها ان شئت « فان قلت » يحتمل ان لا يكون ذلك الامر خارقا للعادة بل ابتداء عادة اراد الله تعلى اجراءها او تكرير عادة لا تكون إلّا في دهور متطاولة كعود الثوابت الى نقطة معينة « فالجواب » ان الكلام فيما حصل الجزم انه خارق للعادة ليس بابتداء عادة ولا بعادة متكررة كاحياء الموتى وانفلاق البحر اطوادا وانشقاق القمر ونبع الماء بين الاصابع امثال العيون ونحو ذلك وكل معجزات الرسل لا يتمارى عاقل ولا يرتاب انها ليست بشيء مما ذكره المعترض « فان قلت » يحتمل ان يكون ذلك الامر مما يعارض إلّا انه لم يعارض لعدم بلوغه إلّا من يقدر على المعارضة والمواضعة من القوم وموافقة في اعلاء كلمته او لخوف لاستعمال وقلة مبالاة او لاشتغال بما هو اهم او عورض ولم ينقل لمانع « فالجواب » ان جميع ما ذكرتم باطل معلوم بطلانه بالضرورة لشهرة امر الرسول عليه الصلاة والسلام وبلوغه جميع المشارق والمغارب ووقوع اهتبال كثير من اعداء الدين بالقدح في حججهم باقصى ما يقدرون عليه فلم ينقلبوا إلّا خائبين وانقياد كثير منهم للحق واسلم لما ظهر له كسحرة فرعون وامثالهم من وقع شيء منه من المعارضة اعتنى الخلق بنقله حتى انهم وصلوا الينا ونحن في اخر الزمان في اخر القرن الحادي عشر ما وقع من ترهات مسيلمة الكذاب لعنه الله التي قصد بها معارضة القرءان العظيم العزيز ووصلوا الينا غير ذلك ممن ظهرت به فضيحة من سعى في شيء من ذلك والمتحدون في زمان كل نبيء هم احق بالمعارضة له في معجزاته لو امكن ذلك منهم لكثرة اشتغالهم في كل زمان بما يناسب ما ظهر على يد ذلك النبيء في زمانهم ولكثرة كلامهم في ذلك وفرط اهتمامهم بالمعارضة وتوفر دعاوي جميعهم عليها ولذا جعلت لكل نبيء معجزة من جنس ما غلب على اهل زمانه وتمالكوا عليها وتفاخروا به كالسحر في زمن موسى عليه السلام والطب في زمن عيسى عليه السلام والموسيقى في زمن داود عليه السلام

(به الموافق ، للحق (والمخالف) له (هذا) الامر كما عرفت او الامر هذا (مع ان في نفوس الاعداء) في الدين (الحسدة) جمع حسود وهو الذي يتمنى زوال النعمة من المحسود ولا يموت الحاسد إلّا مكمود قال تعلى ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله (ما يحرك) يهيج (الدواعي) الاسباب الموجبة (الى البحث) اي الفحص عن الشيء بعزم وقوة اجتهاد (والتفتيش) عطف تفسير (والعادة) العجيبة (تخيل) اي تمنع (ان تكون لهم) للرسل (نسبة) انتماء (الى شيء) مما ذكر حاشاهم منه إلّا (ويعلم) ولا يخفى لا سيما هؤلاء الحسدة المبطلون وانى لهم ذلك بل نقذف بالحق على الباطل فاذا هو زاهق وقل جاء الحق وزهق الباطل (ويقرعون به) يعني يعارضون بما هم برآء منه كسحر وعلم طب وغيرها (ويشتهر) يتبين (امره) اي امر وشان من ظهر ذلك على يديه (حتى لا يخفى على احد) من الخلق لا سيما الحاسد والحمد لله الذي برأهم من ذلك ومن كل ما يحط بمنصبهم الافخم (وبالجملة) اي حاصل الكلام (فصدق الرسل عليهم الصلاة والسلام) من الدين (على الضرورة) بلا ارتياب (لكل موفق) بفتح الفاءمن اراد الله توفيقه وهدايته وارشاده والتوفيق خلق القدرة على الطاعة في محل العبد موافق لامر الرب ويقابله الضلال وهو خلق القدرة على المعصية في محل العبد مخالف لامر الرب « فان قلت » لم اطنب المصنف رحمه الله بشرح هذا المثال وبذكر ما يطابقه من احوال الرسل عليهم الصلاة والسلام « فالجواب » لان تحصيل العلم بصدقهم وبيان وجه دلالة المعجزة بهذا الطريق هو اقرب واوضح من بيانه من ذكر الاقوال المقررة في وجه دلالة المعجزة ويكاد ان يكون حصول العلم لصدق الرسل عليهم الصلاة والسلام لمن سمع هذا المثال وما ضم اليه من المثل لتقريب الشبه وزيادة الايضاح ضروري لا يحتاج معه الى تامل مزيد عليه والله تعلى اعلم وهو الموفق لمن يشاء بمحض فضله « فان قلت » قد اعترض بان هذا تمثيل وقياس للغائب على الشاهد وهو على تقدير ظهور الجامع انما يعتبر في العمليات لافادة وقد اعتبرتموه بلا جامع لافادة اليقين في العمليات التي هي اساس ثبوت الشرائع على ان حصول العلم في ما ذكرتموه من المثال انما هو لما شوهد من قرائن الاحوال واين هي في حق الغائبين المحجوبين كما في مسألتنا « فالجواب » ان هذا المثال لم يذكر للقياس والاستدلال وانما ذكر للتوضيح والتقريب لان الف الانسان للشاهد والفه به اكثر فاذا قرع بسمعه واحضر بذهنه وقبل عقله الدلالة فيه وفهم

اي بالرسل في جميع اقوالهم وافعالهم سواء ماثبت اختصاصهم به عن امتهم كوجوب الضحى والاضحى وقيام الليل ودخول مكة بغير احرام والزيادة على اربع نسوة وبغير مهر ولا ولي ولا شهود الى غير ذلك قال الله تعلى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (ولا يامر) تبارك و (تعلى بمعصية) ولا يمكروه لان الله تعلى نهى عنه قال تعلى قل ان الله لا يامر بالفحشاء ويستحيل كون الشيء مامورا به منهيا عنه لانه جمع بين النقيضين (والامانة) هي الصفة الثالثة في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام وهي عبارة عن حفظ جميع الجوارح الظاهرة والباطنة من التلبس بمنهي عنه نهي تحريم او كراهة والصدق وكذا التبليغ تقدم الكلام عليهما فالواجبات اذا في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام ثلاثة الصدق والامانة والتبليغ ويستحيل في حقهم عليهم الصلاة والسلام اضدادها وهي الكذب ضد الصدق والخيانة ضد الامانة والكتمان ضد التبليغ ويجوز في حقهم عليهم الصلاة والسلام ما هو من الاعراض البشرية التي لا تؤدي الى نقص في مراتبهم العلية كالمرض الخفيف ونحوه « واعلم » انه كما وجبت العصمة في حق الانبياء والرسل كذلك تجب العصمة في حق الملائكة عليهم الصلاة والسلام بدليل قوله تعلى لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون واما ابليس فالصحيح انه لم يكن من الملائكة واما هاروت وماروت فالحق اذا قيل انهما ملكان انه لم تصدر عنهما كبيرة ولا صغيرة وانما كانا يعظان الناس ويقولان انما نحن فتنة فلا تكفر واما غيرهم من صالحين واولياء فالعصمة ليست واجبة لهم لا بالعقل ولا بالشرع وقد يتفق ان يخص الله تعلى بها من يشاء من عباده من الاولياء « فان قلت » هل يجوز سؤال العصمة من الله ام لا « فالجواب » اختلف العلماء رضي الله عنهم في ذلك فقيل بالجواز وقيل بعدم الجواز والصحيح الجواز قال حجة الاسلام في شرح الرسالة القشيرية وقد سالها الامامان مالك والشافعي رضي الله عنهما ويشهد له خبر النسائي واذا خرج احدكم من المسجد فيسلم على النبيء صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم اعصمني من الشيطان وهذا احسن وان قال الزركشي الحق انه ان قصد بالعصمة التوقي عن المعاصي في جميع الحالات فممتنع لانه سؤال مقام النبوءة وان قصد التحفظ من الشيطان والتحصن من افعال الشر فلا باس به انتهى « فان قلت » ما الفرق بين العصمة والحفظ « فالجواب » كما قال العارف بالله الكامل ابن العربي الفرق بينهما ان العصمة تنفي الذنوب والخطايا قطعا بخلاف الحفظ للولي

والفصاحة في زمن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . ولما فرغ من الكلام على صدق الرسل عليهم الصلاة والسلام واقامة الدليل القاطع على صدقهم بالمعجزات النازلة منزلة قوله تعلى صدق عبدي في كل ما يبلغ عني شرع في الكلام على عصمة جميع الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام فقال (وعصمتهم) العصمة لغة المنع ولا عاصم اليوم من امر الله اي لا مانع واصطلاحا ان لا يخلق الله في المكلف الذنب مع بقاء قدرته واختياره وهو معنى قولهم هي لطف من الله بالعبد يحمله على فعل الخير ويزجره على الشر مع بقاء الاختيار تحقيقا للابتلاء (من الكرب) وهو عبارة عن عدم مطابقة الخبر لما في نفس الامر وافق الاعتقاد ام لا (معلومة) يعني معروفة (عقلا) اي بالدليل العقلي (بدليل المعجزة) وذلك لانه لو جاز عليهم الكذب لجاز الكذب في خبره تعلى لتصديقه اياهم بالمعجزة النازلة منزلة قوله تعلى صدق عبدي في كل ما يبلغ عني وتصديق الكاذب من العالم بكذبه محض الكذب وهو محال عليه تعلى فملزومه وهو جواز الكذب عليهم كذلك (و) عصمتهم ايضا من (كبائر المعاصي) المتعلقة بالجوارح الباطنة كالكفر حاشاهم والضلال والحسد والكبر والرياء الى غير ذلك والمتعلقة بالجوارح الظاهرة كالسرقة وشرب الخمر والزنا ونحو ذلك (و) من (صغائر الخسة) يعني بها ما يعد دناءة في العرف ويدل على رذالة النفس وصغر الهمة كسرقة لقمة والتطفيف بحبة مثلا ونحو ذلك (و) من (سائر) يعني جميع (الذنوب) صغائر وكبائر (بالاجماع) بل وما ليس بمعصية اصلا كالمكروهات بل ومن المباحات ان يفعلوها بمجرد الشهوة بل الابنية القربة والامتثال والاستعانة بها على طاعة المولى جل وعلا والتحقيق والصواب الذي لا معدل عنه ان شاء الله تعلى وللعلماء في ذلك اقوال وبسط كثير وتفريعات مستطيلة والحق المتحصل من ذلك ومعه السلامة بعون الله تعلى في الدين والدنيا والاخرة ما سمعت واياك ان تصغى باذنك او تلتفت الى خرائف المؤرخين واقوال جهلة المفسرين والله حسيب من يكدر ما صفى الله تعلى والعاقل من لا يطلب الربح إلّا بعد احراز ربح راس المال الذي هو السلامة ومما يوجب الهلاك دنيا واخرى

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى ❁ حتى يراق على جوانبه الدم

والله المستعان ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم (فان الخلق) المخلوق (المبعوثين) المرسلين (هم) اي الرسل (اليهم) الى الخلق (مامورون) مطلوبون (بالاقتداء بهم)

صلى الله عليه وسلم وقوله تعلى وما ارسلناك إلّا كافة للناس وفيه رد على العيسوية من اليهود حيث زعموا تخصيص رسالته بالعرب ومن نفى بعثته صلى الله عليه وسلم كلا او بعضا كمن نفى الاسلام كذلك فهو كافر عند الاشاعرة ان كان مكلفا وبلغته الدعوة واما عموم رسالة نوح عليه السلام بعد الطوفان فامر اتفاقي لانه لم يسلم من الهلاك إلّا من كان معه في السفينة على انه لم يرسل للجن واما تسخير الانس والجن لسليمان عليه السلام فهو تسخير سلطنة وملك لا تسخير نبوءة فتنبه لذلك (وايده) اي اثبت الله نبوءة ورسالة وصدق سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وقواه (بمعجزات) يعني خوارق العادات الدالة على صدق نبوءته (لا حصر) عدد (لها) اذ ما من معجزة لنبيء إلّا واعطي عليه الصلاة والسلام مثلها وما هو اعظم منها ولا بد من ذكر بعض معجزاته صلى الله عليه وسلم تشويقا للسامع وشرحا للصدور ويقينا للقلب ونورا للعقل « فمنها » حسن ذاته الكريمة وما اشتملت عليه من المحاسن التي هي خرق عادة لم توجد لبشر سواه وما احسن قول عبد الله بن رواحة الانصاري رحمه الله

لو لم يكن فيه ءايات مبينة ❁ لكان منظره ينبيك بالخبر

ولهذا اسلم ابو ذر بمجرد رؤية ذاته صلى الله عليه وسلم وقال لما رايت وجهه عرفت انه ليس بوجه كذاب « ومنها » شق صدره الشريف واخراج العلقة التي هي حظ الشيطان من قلبه « ومنها » ما كان عليه من حسن الخلق حتى انه لا يزداد مع الغضب إلّا حلما « ومنها » انه كان مع اهل الدنيا في غاية الترفع ومع اهل الاخرة والفقراء في غاية التواضع « ومنها » ما تحمل من المشاق في اداء الرسالة « ومنها » ملازمة الصدق اول عمره الى ءاخره وقد اعترف اعداؤه بذلك فلو كذب ولو مرة واحدة في عمره لنبذوه بذلك « ومنها » كلام الضب حين قال له يا ضب فقال بلسان فصيح لبيك يا زين من وافى القيامة فقال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عذابه قال فمن انا فقال رسول رب العالمين وخاتم النبيئين قد افلح من صدقك وقد خاب من كذبك « ومنها » انشقاق القمر وتسليم الحجر وتسبيح الحصا في كفه « ومنها » حنين الجذع كالعشار وبكاؤه حتى سمع صوته من في المسجد حتى نزل اليه صلى الله عليه وسلم وضمه فصار يئن كانين الصبي وخيره بين ان يغرسه فيصير شجرة مثمرة او يكون من

فان العناية الربانية قد تتخلف عنه فيقع في المحظور . ولما فرغ من الكلام على العصمة شرع في الكلام على حكم من الاحكام واجب الاعتقاد وهو ان نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم افضل الانبياء والمرسلين والملائكة فيكون تفضيله على الغير سوى الله تبارك وتعلى احرى فيعصي منكره ويبدع ويؤدب فقال) وافضلهم نبينا) الاضافة فيه لتشريف المضاف اليه لا للاختصاص ولما سياتي من عموم بعثته صلى الله عليه وسلم وان جعل الضمير للمكلفين كان عاما مطابقا له (وسيدنا) من ساد قومه يسودهم سيادة فهو سيد (ومولانا) ناصرنا ومتولي امورنا (محمد صلى الله عليه وسلم) سمي بذلك لكثرة خصائله المحمودة وافضليته صلى الله عليه وسلم على من ذكر مما اجمع عليه المسلمون وهو مستثنى من الخلاف في التفضيل بين الملك والبشر لقوله صلى الله عليه عليه وسلم انا اكرم الاولين والاخرين على الله ولا فخر ولان امته افضل الامم لقوله كنتم خير امة اخرجت للناس وكذلك جعلناكم امة وسطا اي عدولا وخيارا ولا شك ان خيرية الامم انما هي بحسب كمالها في الدين وذلك تابع لكمال نبيها الذي تتبعه فتفضيلها تفضيل له واما قوله عليه السلام لا تخيروني على موسى ولا تفضلوا بين الانبياء ونحوه فمعناه لا تخيروني تخيير مفاضلة ولا نحتاج الى انه قال ذلك قبل ان يعلم انه افضل لانه مجرد احتمال كما قاله ابن قبرص ويحتمل انه قاله تأدبا وتواضعا « فان قلت » ما المراد بافضليته صلى الله عليه وسلم على من ذكر « فالجواب » المراد بذلك ارفعية الدرجة واكثرية الثواب (بعثه) يعني ارسله بالهدى ودين الحق على راس اربعين سنة من ولادته الى يوم القيامة فلا تبدأ نبوءة ولا شريعة بعده صلى الله عليه وسلم ولا ناسخ لشرعه بغيره لا كلا ولا بعضا واما نسخ بعض شرعه بالبعض الاخر فذلك جائز واقع بلا شك ولا خلاف وكذا نسخه لشرع غيره من الانبياء بشهادة ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وانما كان شرعه ممتدا الى قيام الساعة لان الله تبارك وتعلى ختم بنبوءته جميع الانبياء قال تعلى وخاتم النبيئين ويلزم منه ختم المرسلين ايضا لان ختم الاعم ختم للاخص من غير عكس بعثه (الله سبحانه) تبارك وتعلى (الى اهل الارض كافة) يعني الى جميع المكلفين من الانس والجن اجماعا وياجوج وماجوج والملائكة وجميع الانبياء والامم السابقة لدخول الجميع تحت قوله صلى الله عليه وسلم بعثت الى الناس كافة وشموله لهم من لدن آدم الى قيام الساعة وجميع الحيوانات والجمادات حتى الى نفسه

شملهم وبدد جمعهم فهل يكون ذلك كله إلّا بعون الهي وانظر اخباره من الكتاب واخبار الكتاب عنه الى غير ذلك في الاصل وهذا الباب بحر لاساحل له (وافضلها) يعني افضل معجزاته صلى الله عليه وسلم (القرءان العظيم) لبقائه بعد موته صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة ولا يخرج عنه شيء من معجزاته صلى الله عليه وسلم ولهذا نص عليه تفصيلا والقرءان وزنه فعلان بمعنى مفعول من قرات الشيء قرءانا اذا جمعته او من قرات الكتاب قراءة وقرءانا تلوته لانه مجموع ومتلو وهو في عرف الاصوليين النظم المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته المتحدي باقصر سورة منه للاعجاز واما في عرف المتكلمين فالمسمى به المعنى القائم بذاته تعلى المدلول للنظم المنزل « واعلم » ان الناس مجمعون على اعجاز القرءان لانه صلى الله عليه وسلم تحدى به ودعا الى الاتيان بمثله فعجزوا ثم تحداهم بالاتيان بعشر سور فعجزوا ثم تحداهم بالاتيان بسورة مثله فعجزوا ثم نادى بذلك على جميع البلغاء والفصحاء من العرب العرباء مع كثرتهم كشر رمال الدهناء وحصاء البطحاء وشهرتهم بانهم فرسان الفصاحة وشجعان البلاغة وافراطهم في العصبية وحمية الجاهلية وتهالكهم على الاعجاب بذلك غاية الاعجاب والمناواة والدفاع عن الاحساب. وركوب الشطط في هذا الباب فعجزوا حتى انهم آثروا مقارعة السيوف عن معارضة الالفاظ والحروف فلو قدروا على المعارضة لعارضوا ولو عارضوا لنقل الينا بالتواتر لتوفر الدواعي على نقله كذلك مع عدم الصارف ولا شك ان العلم بكل ذلك قطعي كسائر العاديات لا يقدر فيه احتمال انهم تركوا المعارضة مع القدرة عليها او انهم عارضوا ولم ينقل الينا لمانع او عدم المبالاة وقلة الالتفات او للاشتغال بالمهمات (الذي اعجازه) اي القرءان (مدرك) منكشف (بالعيان) بالمشاهدة والوجه الذي اعجز به هو كونه في الطبقة العليا من الفصاحة والبلاغة على ما يعرفه فصحاء العرب وعلماؤهم مع اشتماله على الاخبار عن المغيبات الماضية والاتية ودقائق العلوم الالهية واحوال المبدأ والمعاد وغير ذلك مما لا يحصى كما ذهب اليه الجمهور ولا خلاف انه بجملته معجز انما اختلفوا في اقل ما يقع به الاعجاز من ابعاضه فقال القاضي عياض اقله سورة انا اعطيناك الكوثر او آية او ايتان في قدرها وظاهر كلام الاستاذ ابي اسحق ان اقله اقصر سورة منه او ثلاث آيات واختاره جمهور اهل التحقيق « فان قلت » بعد نقل الاجماع على ان محمدا صلى الله عليه وسلم افضل الانبياء والرسل فمن الافضل بعده صلى الله عليه وسلم « فالجواب » كما

اشجار الجنة فاختار ان يكون من شجر الجنة فقال صلى الله عليه وسلم لقد اختار الباقي على الفاني « ومنها » تفجير الماء الكثير من بين اصابعه وفيضان ماء السماء في الوقت ببركة دعائه واستسقائه وكل ذلك مشهور قد بلغ حد التواتر « ومنها » حديث ابي طلحة المشهور واطعامه ثمانين رجلا من خبز جاء به تحت إبطه « ومنها » حديث جابر في اطعامه يوم الخندق الف رجل من صاع شعير وعناق وان عجيننا يخبز وكان صلى الله عليه وسلم بصق في العجين والبرمة وبارك « ومنها » لما بنى بزينب قال لانس ادع قوما وكل من لقيت حتي امتلا البيت والحجرة قدم اليهم تمرا فيه قدر مد من تمر جعل حيسا فجعل القوم زهاء ثلاثمائة « ومنها » انه امر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان يزود اربعمائة راكب من الجيش فقال يا رسول الله انما هي آصع قال اذهب فذهب وزودهم وبقي التمر على حاله « ومنها » ما قال ابو هريرة رضي الله عنه اصاب الناس مخمصة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من شيء من المزود فجئت به فادخل يده صلى الله عليه وسلم فاخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة فاكلوا حتى شبعوا ثم عشرة كذلك فاكلوا حتى شبع الجيش كله قال خذ ما جئت به فاكلت منه وطعمت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر الى ان قتل عثمان فنهب مني ومثل هذه في غزوة تبوك وان التمر كان بضع عشرة تمرة « ومنها » اخباره عن المغيبات كبيت المقدس وما فيه حين ترددهم في معراجه وسؤالهم له ان يصفه « ومنها » رد عين قتادة حين سالت على خده فكانت احسن عينيه واحدهما نظرا « ومنها » ما كان فيه من غاية الفصاحة والبلاغة « ومنها » انه كان في اعظم الدرجات من السخاء حتى قيل في حقه :

يجود بما يلقى ولا يخشى فاقة ❁ كثير عطاياه بما قل قانع

« ومنها » شجاعته في الحرب فلم ير قط في الحرب تزحزح للفرار ولا هم به قط ولا يزيده كثرة العدو وقلة من معه إلّا قوة وزيادة شجاعة واقدام « ومنها » مسراه بجسده الطاهر من معجزاته العظام واعلام شرفه وعلو قدره عند مولاه وقصة الاسراء مشهورة فلا نطيل بذكرها « ومنها » انه عليه الصلاة والسلام انتصب مع ضعفه وقلة ذات يده وقلة الملك في ءابائه وقلة اعوانه وانصاره جريا لجميع اهل الارض ذات الطول والعرض فقلل ءاراءهم وسفه احلامهم وابطل ملكهم وهدم دولتهم وظهر دينه عليه الصلاة والسلام على جميع الاديان كما وعده الملك العلام مع كثرة عدوه عددا ومددا فاخمد نارهم وشتت

والدجاجلة بالتمويهات والحيل اما ما هو من قبيل الابتلاء او الاستدراج فارادوا سد بدعتهم وفتنتهم للعوام ولا خفاء ان من الحسن ان تحدث للناس اقضية بقدر ما احدثوا من البدع والفجور « واعلم » ان المسلمين اجمعوا على ان الولي لا يصل الى درجة النبيء قال العارف بالله تعلى ابن العربي بلغنا عن الشيخ ابي يزيد انه فتح له من مقام النبوءة قدر جرم ابرة تجليا لا دخولا فكاد ان يخترق انتهى « قلت » بل جمع الاولياء لا يصلون الى ظفر نبيء فضلا عن درجته ولا يعتد بقول الكرامية المبتدعة ان الولي قد يبلغ درجة النبيء وكذا اجمع المسلمون على ان النبيء افضل من الولي لان النبيء جمع بين مرتبة الولاية ومرتبة النبوءة ولا يعتد بقول الباطنية ان الولاية افضل من النبوءة « نعم » كما قال السيد قد يقع تردد في ان نبوءة النبيء افضل من ولايته فمن قال بالاول لما في النبوءة من معنى الواسطة بين الجانبين والقيام بمصالح الخلق في الدارين مع شرف مشاهدة الملك ومن مال الى الثاني لما في الولاية من معنى القرب والاختصاص الذي يكون في النبيء في غاية الكمال بخلاف ولاية غير النبيء « وكذا » اجمع المسلمون على ان الولاية ولو تناهت لا يسقط معها تكليف الشرع وعن اهل الاباحة من الباطنية خلا الله منهم الارض ان الولي اذا بلغ الغاية في المحبة وصفاء القلب وكمال الاخلاص سقط عنه الامر والنهي ولم يضره حينئذ الذنب ولا يدخل النار بارتكاب الكبيرة وهذا كفر لا محالة اذ لا معنى للولي إلَّا مظهر تعرف النبيء في الخلق بالحق واذا كان اكمل الناس في المحبة والاخلاص وهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا سيما حبيب الله تعلى سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم مع ان التكليف في حقهم اتم واكمل حتى انهم يعاقبون بادنى زلة بل بترك الافضل لا يسقط عليهم فكيف بغيرهم « اللهم » انا نتوسل اليك باكرم الخلق عندك سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ان تجمع شملنا وشمل ءابائنا وامهاتنا واولادنا واخواننا واحبتنا بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم في جنة الفردوس بلا محنة ولا معاتبة يا ارحم الراحمين . ولما فرغ من الكلام على الالهيات ومن الكلام على النبوات شرع الان في الكلام على السمعيات وهي نتيجة عما تحقق من ثبوت رسالة نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وظهور اعلام صدقه فقال (ويجب) بالايجاب الالهي الشرعي المتضمن ما كلف به العباد من الاحكام الشرعية (تصديقه) بانه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وتصديقه صلى الله عليه وسلم (في كل) يعني جميع (ما)

قاله الامام السيوطي في نقايته فخليل الله ابراهيم فموسى وعيسى ونوح وهم اولوا العزم فسائر الانبياء على تفاوت درجاتهم فالملائكة فابو بكر فعمر فعثمان فعلي فباقي العشرة فاهل بدر فاحد فالبيعة فالحديبية فسائر الصحابة رضوان الله تعلى عليهم اجمعين فباقي الامة على اختلاف اوصافهم « ومما » لا بد منه ويلتحق بهذا الباب بيان حقيقة الولي هو العارف بالله تعلى وصفاته المواظب على الطاعات المجتنب للمعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات وكرامته ظهور امر خارق للعادة من قبله غير مقارن لدعوى الولاية وبهذا تمتاز عن المعجزة وبمقارنة الاعتقاد الصحيح والعمل الصالح والتزام متابعة النبيء صلى الله عليه وسلم تمتاز عن الاستدراج والسحر ويقال للولي اربعة شروط « احدها » ان يكون عارفا باصول الدين حتى يفرق بين الخلق والخالق وبين النبيء والمتنبي « الثاني » ان يكون عالما باحكام الشريعة نقلا وفهما بحيث لو خلت الارض من العلماء لوجد عنده ما كان عندهم ولقام بقواعد الاسلام من اولها الى آخرها فان الولي هو الناصر لدن الله وذلك ممتنع في حق من لا يحيط علما بدين الله قواعده واصوله وفروعه « الثالث » هو ان يتخلق بالاخلاق المحمودة شرعا وعقلا فالمحمود شرعا الورع عن المحرمات وامتثال جميع المامورات والمحمودة عقلا ان لا يتصل قلبه بشيء من الكائنات استغناء بباريها والرضا بالقضاء والرفق بعباد الله تعلى والصفح عنهم « الرابع » ان يلازمه الخوف ابدا ولا يطمئن للنفس فانه لا يدري هل هو من فريق السعادة في الازل او من فريق الشقاوة ثم ينظر في اسباب الشقاوة ثم ينظر في اسباب السعادة فيجدها في الموافقات فيحمد الله عليها ويشكره خشية السلب منها بالمخالفات والعياذ بالله وينظر في اسباب الشقاوة فيجدها في المخالفات فيتوب الى الله منها ويستغفره عسى ان ينقله منها الى الموافقات بفضله وكرامات الاولياء حق ومنعها بعضهم والصحيح وقوعها لقصة مريم عند ولادتها وآية كلما دخل عليها زكرياء المحراب وجد عندها رزقا وقصة اصحاب الكهف ولبثهم سنين بلا طعام ولا شراب وقصة آصف بن برخيا في سورة النمل واتيانه بعرش بلقيس قبل ارتداد الطرف الى غير ذلك مما وقع من كرامات الصحابة والتابعين والاولياء والصالحين الى هلم جرا ولا غرابة في انكار المعتزلة لذلك انهم لم يشاهدوا في جماعتهم الضالة وليا لله تعلى وانما الغرابة في انكار من ينكر من اهل السنة لما كثر المدعون لها في زمنهم ممن ليس من اهل الولاية وكثر اهل البدع

كما قال تعلى قد علمنا ما تنقص الارض منهم وزعم الفلاسفة ان الذي يبعث هو الروح لا الجسد وهو مذهب باطل وضلال « واختلف » اصحابنا في اعادة اعيان الاعراض والصحيح ان تلك الاجساد الدنياوية تعاد باعيانها واعراضها بلا خلاف قال بعضهم باوقاتها فيعاد الوقت ايضا كما يعاد الجسم واللون وذلك جائز في حكم الله تعلى وقدرته هين عليه لكن لم يرد باعادة الوقت خبر بل في القرآن ما يدل على ان الوقت لا يعاد وهو قوله كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها يعني غيرها في الوقت وإلّا فالجلود الاوائل باعيانها التي عصت هي التي يعاد ابدا تاليفها اذا تفرقت واعيانها اذا عدمت ولا فرق في البعث بين من يحاسب كالمكلف ولا غيره على ما ذهب اليه المحققون وصححه النووي واختاره وذهبت طائفة الى انه لا يحشر إلا من يجازى واما السقط فان القي بعد نفخ الروح فيه بعث وإلّا كان كسائر الاموات والبعث والنشور عبارة عن معنى واحد وهو الاخراج من القبور بعد جمع الاجزاء الاصلية وهي التي كانت حين نفخ الروح فيه ومن شانها البقاء من اول العمر الى آخره واعادة الارواح اليها واول من تنشق الارض عنه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فهو اول من يبعث واول وارد المحشر كما انه اول داخل الجنة ومراتب الناس في المحشر متفاوتة لتفاوة مراتبهم في الاعمال فمنهم الراكب والماشي على رجليه او على وجهه (و) يجب تصديقه صلى الله عليه وسلم في كل ما اتى عن الله تعلى كالبعث و (نحوه) اي نحو البعث (من سؤال) مبشر وبشير للمؤمن ومنكر ونكير للكافر في (القبر) بان يعيد الله تعلى الروح الى الميت جميعه كما ذهب اليه الجمهور وهو ظاهر الاحاديث وتكمل حواسه فيرد الله عليه ما يتوقف عليه فهم الخطاب ويتأتى معه رد الجواب من الحواس والعقل والعلم ثم يسئله الملكان او احدهما عن ربه ودينه ونبيه فيجيبهما بما وافق ما مات عليه من ايمان او كفر وياخذ الله بابصار الخلائق واسماعهم إلّا من شاء الله عن حياة الميت وما هو فيه عينا وسماعا يترققان بالمؤمن وينتهران المنافق والكافر ويسألان كل احد بلسانه وذكر القبر جري على الغالب من ان الميت يقبر وإلا فالسؤال لمن يسال حتى المصلوب والغريق والحريق ومن تقطعت اوصاله ومن اكلته السباع فليس ذلك من خصوصيات القبر بل من خصوصيات من مات في اي محل كان وانما السؤال يقع في مستقره الذي يستقر فيه من قبر اوغيره وانما عبر بالقبر

اي الذي (اتى) جاء (به عن الله تعلى) جملة وتفصيلا فمن المقطوع الذي جاء به كتابا وسنة واجماعا وجود الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهي على ماورد في بعض الاحاديث مائة الف واربع وعشرون الفا وفي رواية مائتا الف واربع وعشرون الفا والاولى كما للسعد ان لا يقتصر على عدد في التسمية فقد قال تعلى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ولا يؤمن في ذكر العدد ان يدخل فيهم من ليس منهم او يخرج منهم من هو فيهم ووجود الملائكة وهم اجسام نورانية شفافة يقدرون على افعال شاقة لا يوصفون بذكورية ولا بانوثية يسبحون الليل والنار لا يفترون لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ووجود الكتب السماوية وهي مائة كتاب واربعة عشر كتابا خمسون على شيث وثلاثون على ادريس وعشرون على ابراهيم والتوراة على موسى والانجيل على عيسى والزبور على داود والقرءان على محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين وعشرة قيل نزلت على ءادم حين نزل من الجنة وقيل على موسى قبل التوراة ووجود اليوم الاخر وهو يوم القيامة والمراد به من وقت الحشر الى ما لا يتناها او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار سمي بذلك لانه ءاخر الاوقات المحدودة ولانه لا ليل بعده ولانه ءاخر ايام الدنيا ومن جملة ما جاء به ما ذكر هنا وكذا غير ذلك مما لا ينحصر (كالبعث) يعني الاقامة من القبر والارسال (لعين) يعني نفس (هذا البدن) الذي كان في الدنيا يطيع ويعصي هو الذي يبعث (لا) ان الروح تركب (لمثله) اي مثل هذا الجسد (اجماعا) كما يقوله بعض من الحد وابتدع وكون تلك الاعادة جمعا بعد تفريق او ايجادا بعد عدم محض قولان والله تعلى هو العالم بالواقع من ذلك « وبالجملة » فقد اجمعت الملل كلها من لدن ءادم الى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ان الله تعلى يحي الابدان بعد موتها ويرد الارواح الى مشابكتها كما كانت اول مرة فهو سبحانه وتعلى يعيد العوالم كلها بالمعنى الاول وهو ايجاد اعيانها لا امثالها بعد ان اعدمها اعداما محضا او يجمع اجزاءها بعد تفرقتها ويخلق الحياة فيها وهو اوضح من الاول قال تعلى قل من يحي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم ومن شبه المنكرين استبعاد جمع الاجزاء بعد تفرقتها الى بدنها المخصوص بعد اختلاطها بغيرها اختلاطا يتعذر منه التمييز كما قال ائذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد « والجواب » ان الله تعلى عالم بجميعها وتجميعها غير عاجز عن تاليفها وخلق الحياة فيها

يكون عليه بعد السؤال ولا يسألون عن شيء سوى ذلك كما ورد به الحديث (ونعيمه) اي تنعيم الله المؤمنين في القبر لما ورد في ذلك من النصوص البالغة مبلغ التواتر ولا يختص بمؤمني هذه الامة كما انه لا يختص بالمقبور ولا بالمكلفين فيكون لمن زال عقله ايضا وتعتبر الحالة التي زال عقله وهو عليها من كفر وايمان ونحوهما ومن نعيمه توسيعه وجعل قنديل فيه وفتح طاق فيه من الجنة وامتلاؤه بالريحان وجعله روضة من رياض الجنة كما ورد به الحديث القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار وكل هذا محمول على حقيقته عند العلماء (وعذابه) اي عذاب القبر وهو عذاب البرزخ اضيف الى القبر لانه الغالب وإلّا فكل ميت اراد الله تعذيبه ناله ما اراده به قبر او لم يقبر ولو صلب او غرق في بحر او اكلته الدواب او حرق حتى صار رمادا وذري في الريح ومحله البدن والروح جميعا باتفاق اهل الحق بعد اعادة الروح اليه او الى جزء منه ان قلنا ان المعذب بعض الجسد ولا يمنع من ذلك كون الميت تفرقت اجزاؤه او اكلته السباع او حيتان البحر او نحو ذلك ويكون للكافر والمنافق وعصاة المؤمنين ولهذه الامة وغيرها ودليل وقوعه قوله تعلى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا وعذاب القبر على قسمين دائم ومنقطع فالدائم للكفار والمنقطع للمؤمنين ومن عذاب القبر ضغطته وهي التقاء حافتيه ولو لم يكن من عذابه إلّا ما خرجه ابن ابي شيبة وابن ماجة عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يسلط الله على الكافر في قبره تسعة وتسعين تنينا تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة ولو ان تنينا منها نفخ على الارض ما انبتت خضراء لكان كافيا وكل ما ذكرنا انه لا يسأل في قبره فكذلك لا يعذب فيه ايضا (و) يجب تصديقه صلى الله عليه وسلم في كل ما اتى عن الله كالبعث وسؤال القبر ونعيمه وعذابه و (الصراط) وهو لغة الطريق الواضح لانه يبتلع المارة وشرعا جسر ممدود على على متن جهنم يرده الاولون والاخرون ذاهبين الى الجنة لان جهنم والموقف الجنة ورد انه ادق من الشعر واحد من السيف وتكون سرعة الناس عليه على قدر اعمالهم فمنهم من يمر كالبرق الخاطف وكالريح وكاجاويد الخيل ومنهم من تسوخ رجلاه وتتعلق يداه ومنهم من يخر على وجهه الى غير ذلك ومن امسك السماوات والارض ان تزولا قادر ان يسير العباد على شيء ولا غير شيء فلا معنى لتلجلج الشك في ثبوته او التعرض لتاويله على خلاف الظاهر كما سلكته المعتزلة ونور كل انسان

للغالب والدليل على ان سؤال الملكين للمقبور حق قوله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه اصحابه اتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا النبي محمد فاما المؤمن فيقول اشهد انه عبد الله ورسوله واما الكافر او المنافق فيقول لا ادري رواه الشيخان . وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعلى يثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت قال الشهادة يسألون عنها في قبورهم بعد موتهم واحوال المسئولين مختلفة فمنهم من يسأله الملكان جميعا ومنهم من يسأله احدهما واذا مات جماعة في وقت واحد باقاليم مختلفة جاز ان يعظم الله جثثهما ويخاطبان الخلق الكثير في الجهة الواحدة في المرة الواحدة مخاطبة واحدة بحيث يخيل لكل واحد من المخاطبين انه المخاطب دون من سواه ويمنعه الله من سماع جواب بقية الموتى قاله القرطبي وهذا السؤال خاص بهذه الامة وقيل كل نبي مع امته كذلك والعموم من قول المصنف من سؤال القبر مخصوص بمن ورد الاثر بعدم سؤاله كالانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا ينبغي ان يكون نبيهم الاعظم محل خلاف وكالصديق والمرابطين والشهداء وملازم قراءة سورة تبارك الملك كل ليلة وكذا من قرا في مرضه الذي مات فيه قل هو الله احد ومريض البطن ومبت ليلة الجمعة اويومها كالميت بالطاعون او في زمانه ولو بغيره صابرا محتسبا وكالمجنون والابله واهل الفترة ان قلنا بعدم اختصاصه بهذه الامة والحق الوقف على الجزم بسؤال الاطفال بل الظاهر كما جزم به الجلال السيوطي وغيره اختصاص السؤال بمن يكون مكلفا كما ان الظاهر عدم سؤال الملائكة لانه لمن شانه ان يقسيم واما الجن فجزم الجلال بسؤالهم لتكليفهم وعموم الادلة الدال لهم و هذا السؤال هو نفس الفتنة وهي الاختبار والامتحان بالنظر الى الميت او الينا او الى الملائكة لاحاطة علم الله تعلى بكل شيء فحكمته اظهار ما كتمه العباد في الدنيا من كفر او ايمان او طاعة او عصيان ليباهي الله بهم الملائكة وليفضحوا عندهم « فان قلت » هل السؤال في القبر بمنزلة التكليف والعبادة اولا « فالجواب » كما قاله الامام الباجي في شرح الموطا ليس الاختبار في القبر بمنزلة التكليف والعبادة وانما معناه اظهار العمل واعلام بالمثال والعاقبة كاختبار الحساب لان العمل والتكليف قد انقطع بالموت « فان قلت » اعادة السؤال في القبر للميت على القول بتكراره مدة سبعة ايام هل هو تاسيس او تاكيد « فالجواب » كما قاله الامام السيوطي انه تاكيد فما هو إلّا سؤال واحد عن ربه وعن دينه ونبيه وجواب واحد

الحق ان العبد اذا اتى بطاعات مثل الجبال ثم كانت له مخالفة واحدة فهي في المشيئة وانما فائدة الوزن ان العبد اذا وضعت صحيفته في الميزان اطلعه الله تعلى على ما وجه اليه من الثواب والعقاب واخذ الكتاب باليمين علامة على انه لا يخلد في النار وعند الحساب يعلم المقبول من الاعمال الصالحة من المردود والمغفور من السيئات من المؤاخذ بها (و) يجب تصديقه صلى الله عليه وسلم في كل ما اتى به عن الله كالبعث وسؤال القبر ونعيمه وعذابه والصراط والميزان و (الحوض) وهو جسم مخصوص كبير متسع الجوانب ترده هذه الامة من شرب منه لا يظمأ ابدا وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء ماؤه ابيض من اللبن وريحه اطيب من المسك وكيزانه اكثر من نجوم السماء من شرب منه فلا يظمأ ابدا وروى ابن ماجة حديث الكوثر نهر في الجنة حافاته الذهب مجراه على الدر والياقوت تربته اطيب من المسك واشد بياضا من الثلج واختلف هل هو بعد الصراط او قبله وهو الصحيح وعليه الجمهور فان الناس يخرجون عطاشا من قبورهم فيردونه قبل الميزان والصراط وقيل ان له حوضين احدهما قبل الصراط والاخر بعده فالاول يذاد عنه من بدل وغير والثاني لا يذاد عنه احد لانه لا يجتاز اليه إلّا من تخلص من العذاب والله اعلم وقالت المعتزلة الحوض كناية عن اتباع السنة ورد عليهم بان ذلك لا يتصور الذود عنه في الاخرة « قال » ابن دهاق لكل نبيء حوض ترده امته وقال بعض اهل العلم ليس في الموقف ماء ولا حوض إلّا حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم اظهارا لكرامته وظاهر قول السيد احمد الجزائري : من خيرما قد اتاه الله للرسل . يقتضي ان لكل رسول حوضا في الاخرة وقد ورد ان لكل نبي حوضا إلّا صالح فان ضرع ناقته يقوم له في الاخرة مقام الحوض (و) يجب تصديقه صلى الله عليه وسلم في كل ما اتى به عن الله كالبعث وسؤال القبر ونعيمه وعذابه والصراط والميزان والحوض و (الشفاعة) وهي لغة الوسيلة والطلب وعرفا سؤال الخير للغير وهي انواع اعظمها الشفاعة في فصل القضاء والاراحة من طول الوقوف وهي مختصة بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد تردد الخلق الى نبي بعد نبيء « الثانية » الشفاعة في ادخال قوم الجنة بغير حساب قال النووي وهي مختصة به وتردد في ذلك التقيان ابن دقيق العيد والسبكي « الثالثة » الشفاعة لمن استحق النار ان لا يدخلها قال

على الصراط لا يتعداه الى غيره فلا يمشي احد في نور احد ويتسع الصراط ويدق بحسب انتشار النور وضعفه فعرض صراط كل احد بقدر انتشار نوره ومن هنا كان دقيقا في حق قوم وعريضا في حق ءاخرين وهو واحد في نفسه وعلى هذا يتخرج ما ورد انه مسيرة ثلاثة ءالاف سنة والحكمة فيه ظهور النجاة من النار وان تصير الجنة اسر لقلوبهم بعد وليتحسر الكافر بفوز المؤمنين بعد اشتراكهم في العبور (و) يجب تصديقه صلى الله عليه وسلم في كل ما اتى به عن الله كالبعث وسؤال القبر ونعيمه وعذابه والصراط و (الميزان) وله لسان وكفتان تعرف به مقادير الاعمال بان توزن صحفها به قال تعلى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة الاية وروى الترمذي وحسنه حديث يصاح برجل من امته على رؤوس الخلائق وينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيئا أظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول أفلك عذر فيقول لا يا رب فيقول بلى ان لك عندنا حسنة وانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها اشهد ان لا إله إلّا الله واشهد ان محمدا رسول الله فيقول احضر وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء والمشهور انه ميزان واحد لجميع الامم ولجميع الاعمال فالجمع في قوله تعلى ونضع الموازين للتعظيم وقيل يجوز ان يكون للعامل الواحد موازين يوزن بكل منها صنف من عمله ولا يكون في حق كل احد لحديث يا محمد ادخل الجنة من امتك من لا حساب عليه من الباب الايمن واحرى الانبياء عليهم الصلاة والسلام وكذلك لا يكون للملائكة لانه فرع عن الحساب وعن كتاب الاعمال خصوصا على القول بان الصحف هي التي توضع في الميزان ولا مانع من وزن سئات الكفار غير الكفر ليجازوا عليها بالعقاب فقوله تعلى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا اي نافعا وخفة الموزون وثقله على صورته في الدنيا « فان قلت » فهل يكون الوزن مقاصة بين العبد وربه كما ذهب اليه الجباءي فقال توزن السيئات والحسنات فما فضل من الخير للعبد دخل به الجنة وما بقي عليه من السيئات دخل به النار « فالجواب » ان ذلك باطل لا يصح فقد قال صلى الله عليه وسلم لو وضعت السماوات والارض في كفة ولا إله إلّا الله في كفة لرجحت لا إله إلّا الله هذا في القول بها فكيف بالمعرفة بمعانيها والايمان بها ومذهب اهل

يعطى كتابه وراء ظهره قال الله تعلى ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فاما من أوتي كتابه بيمينه واما من اوتي كتابه بشماله واما من اوتي كتابه وراء ظهره « فان قلت » ما المراد بهذا الكتاب الذي يقرأ يوم القيامة « فالجواب » المراد منه الكتاب الذي كتبت الملائكة فيه اعمال المكلفين من الثقلين في دار الدنيا وعلى هذا فقيل توصل صحف الايام والليالي وقيل ينسخ ما في جميعها في صحيفة واحدة فلا يرد السبعون الفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا الملائكة ولا الانبياء فانهم لا ياخذون الكتب والمشهور كما عليه الاكثر وجزم به الماوردي ان المؤمن الفاسق ياخذ كتابه بيمينه قبل دخول النار ويكون ذلك علامة على عدم الخلود وكثير من المصنفين لم يذكروا دافع الكتاب لما ورد ان الريح تطيرها من خزانة تحت العرش قال صاحب تحقيق المباني ومن لطفه تعلى بعبده المؤمن وفضله عليه ان جعل كتابه بيده ولا يعطيه له على يد ملك ولا نبيء حتى لا يطلع على سره احد واول من يعطى كتابه بيمينه مطلقا عمر رضي الله عنه وبعده ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد واخوه الاسود بن عبد الاسد اول من ياخذه بشماله وظواهر كلامهم ان القراءة حقيقة ويقرأ كل احد كتابه ولو كان اميا والجن كالانس في جميع ما ذكر . ومما يلتحق ايضا السؤال وهو حق بلا شك لقوله صلى الله عليه وسلم ان الله تعلى يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول اتعرف كذا فيقول نعم اي رب حتى قرره بذنوبه ورأى في نفسه انه قد هلك قال سترها عليك في الدنيا وانا اغفرها اليوم فيعطى كتاب حسناته واما الكافر والمنافق فينادى بهم على رؤس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين « واعلم » بان الخلق متفاوتون حينئذ فمنهم من يناقش في الحساب ومنهم من يسامح ومنهم من يدخل الجنة بغير حساب ومنهم من يدخل النار بغير حساب ويظهر القبائح والفضائح والسرائر كما قال الله تعلى يوم تبلى السرائر والله تعلى يحكم وينتقم للمظلوم من الظالم فينادي المنادي اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب يحاسب جميع الخلائق في قدر ركعتين لحديث بذلك واول من يحاسب هذه الامة وحكمته اظهار تفاوت المراتب في الكمال وفضائح اصحاب النقص زيادة في اللذات والالام ففيه ترغيب في الحسنات وزجر عن السيئات « ومما » يلتحق ايضا الجنة والنار فثبوتهما مما علم من الدين بالضرورة وهما مخلوقتان بدليل قوله تعلى

القاضي عياض وليست مختصة به وتردد فيه النووي قال السبكي لانه لم يرد تصريح بذلك ولا بنفيه « الرابعة » الشفاعة في اخراج من ادخل النار من الموحدين ويشاركه فيها الانبياء والملائكة والمومنون « الخامسة » الشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة لاهلها وجوز النووي اختصاصها به « السادسة » في تخفيف العذاب عمن استحق الخلود في النار كما في حق ابي طالب وفي الصحيح انا اول شافع واول مشفع وانه ذكر عند عمه ابو طالب فقال لعله تنفعه شفاعة فجعل في ضحضاح من نار وروى البيهقي حديث خيرت بين الشفاعة وبين ان يدخل شطر امتي الجنة فاخترت الشفاعة لانها اعم واكفى اترونها للمتقين لا ولكنها للمذنبين الملوثين الخاطئين وهذا معنى قوله (للعصاة في انقاذهم) يعني خلاصهم وخروجهم (من النار بعد نفود) بالدال المهملة يعني تمام وفراغ (الوعيد) وهو عن مضار مستقبلة واصلة الى المخبر من جهة المخبر وفي الوضع استعمال الوعيد في الخير والشر فصار بالعرف يستعمل الوعد في الخير والوعيد في في الشر (في جماعة) يعني طائفة (منهم) يعني من العصاة الصادق بواحد منهم (اجماعا) اتفاقا لانه تعلى توعدهم وكلامه صدق والظاهر ان المراد طائفة من كل صنف منهم لان الله توعد كل صنف على حدته وما سوى تلك الطائفة فحكمه انه في المشيئة عند اهل السنة رضي الله عنهم وهكذا في كل صنف من العصاة بصنف من الكبائر كالزناة والغصاب وقتلة الانفس لا بد من نفود الوعيد في طائفة منهم اقله واحد (و) يجب تصديقه صلى الله عليه وسلم في كل ما اتى به عن الله كالبعث وسؤال القبر ونعيمه وعذابه والصراط والميزان والحوض والشفاعة و (تابيد) يعني تخليد واستمرار (نعيم) سرور وفرح بكل ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين في الجنة بنعم نعيم (المؤمنين) مع رؤية وجه الله الكريم وهذا مما اجمع عليه المسلمون ويدخل في المؤمنين الفاسقون فان لهم الخلود في الجنة وان لم يتوبوا الى الموت باجماع اهل السنة ودخولهم الجنة ابتداء من غير عقوبة اصلا لعفو الله تعلى او شفاعة الشافعين واما بعد تعذيب بالنار على قدر الذنوب لكنا نقطع بنفود الوعيد في جماعة منهم من غير تعيين لمجيء النصوص الواردة (و) تابيد (عذاب الكافرين) في النار باجماع اهل الاسلام ويدخل في الكافرين المنافقون إلّا انهم يختصون بالدرك الاسفل من النار . ومما يلتحق بما تقدم قراءة الكتاب يوم القيامة وهو حق لا شك فيه والناس متفاوتون فيه فمنهم من يعطى كتابه بيمينه ومنهم من يعطى كتابه بشماله ومنهم من

ذراعا في عرض سبعة ثم لا يزيدون ولا ينقصون لا ياكلون لجوع ولا يلبسون لبرد بل للتلذذ والتنعيم واما اجساد الكفار في النار فمختلفة المقادير حتى ورد ان ضرس الكافر مثل احدونخذه مثل ورقان جبلان بالمدينة وهل ينعم اهل الجنة بحدوث اولاد فيها او يعذب اهل ابنائهم فيها « قات » اما تنعيم اهل الجنة بحدوث اولاد ففي الحديث اذا اشتهى المؤمن الولد في الجنة كان حمله ووضعه في ساعة واحدة اخرجه الترمذي عن ابي سعيد قال وهو حديث حسن غريب واما العقوق فلم اره والظاهر انهم مشغولون بما هو اهم منه والحق عندهم ان دخول الجنة لا يكون جزاء عن عمل وانما يكون بفضل الله ورحمته واما رفع الدرجات فيها فهو الذي في مقابلة الاعمال « واعلم » انه لا تزال الهموم تعتري اهل الجنة حتى يذبح الموت كما لا يزال الرجاء يعتري اهل النار حتى يذبح على الصراط بين يدي النبيء صلى الله عليه وسلم بين الجنة والنار ليراه اهل الدارين وفي ذابحه قولان احدهما انه يحيى ابن زكريا والاخر انه جبريل عليهما السلام وحكم نافي الجنة والنار الكفر واما نافي وجودهما الآن فحكمه التبديع والله اعلم (و) بالجملة فـ (معرفة) يعني علم وادراك (تفاصيل ما) اي الذي (اتى) جاء (به) النبيء (صلى الله عليه وسلم) عن الله تعلى وما ينطق عن الهوى ان هو إلّا وحي يوحى (مبين) موضح (في كتب) جمع كتاب وهو في اللغة الجمع يقال كتبت الشيء اي جمعته ومنه الكتابة وهي جمع الحروف بعضها الى بعض (الائمة) يعني العلماء (من) علم (الفقه) وهو لغة الفهم وشرعا العلم بالاحكام الشرعية العملية المكتسب من ادلتها التفصيلية (و) من علم (الحديث) وهو علم بقوانين يعرف بها احوال السند والمتن (والقصد) اي المراد (بهذه المقالة) مصدر قال يقول قولا ومقالا (انما هو ذكر ما) الذي (يخرج) اي يتخاص وينتقل (المكلف) بفتح اللام وهو البالغ العاقل الذي بلغته الدعوة فمن لم تبلغه الدعوة فلا يجب عليه ماذكر على الاصح ولا يعذب ويدخل لقوله تعلى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا (من التقليد) وهو الاخذ بقول الغير من غير حجة وقد تقدم الكلام في ذلك في اوايل الكتاب فانظره ولا بد (في العقائد) المراد بها الصفات الواجبة في حقه تعلى والمستحيلة في حقه تعلى وكذا في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام فكل صفة على انفرادها تسمى عقيدة فعيلة بمعنى مفعولة اي معتقدة من العقد بين العبد وربه (وفهم) اي معرفة وادراك (هذه الجمل) جمع جملة وهي هنا ما تضمن اسنادا مفيدا ويعني بها من فصل اثبات

اعدت للمتقين وهبوط آدم منها ورؤية النبيء صلى الله عليه وسلم لها في الاسراء وفي غيره وقد انكر جماعة من المعتزلة خلقهما وزعموا انه لا فائدة في خلقهما قبل الثواب والعقاب وحملوا اعدت على انه من باب التعبير عن المستقبل بالماضي لتحقق وقوعه وحملوا الجنة في قصة آدم عليه السلام على بستان من بساتين الارض وهذا تلاعب بالدين وافعال الله تعلى لا تتوقف على الاغراض بل يخلق ما يشاء ويحكم ما يريد ولو تنزلنا معهم في ايقافها على الاغراض فما المانع ان يكون في اعدادها لفظ في الايمان بل كمال تحقيق الوعد والوعيد ونفع من كان بها من الحور والولدان ومن يرد عليهم من ارواح الشهداء والاولياء والاطفال وكذلك ارواح الكفار بالنسبة الى النار واحتجوا بانهما لو كانتا مخلوقتين لوجب ان لا ينقطع نعيم الجنة لقوله تعلى اكلها دائم وظلها وقد قال تعلى كل شيء هالك إلّا وجهه « والجواب » ان ذلك بعد دخولهما في الاخرة او نقول قوله تعلى كل شيء هالك إلّا وجهه عام مخصوص والمراد من النار دار العقاب بجميع طبقاتها السبع التي اعلاها جهنم وتحتها لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية وباب كل من داخل الاقرى على الاستوى وبين اعلا جهنم واسفلها خمس او سبعمائة سنة وحولها هواء محترق ولا جمر لها سوى بني ءادم والاحجار المتخذة ءالهة من دون الله وذكر ابن العربي ان هذه النار التي في الدنيا ما اخرجها الله الى الناس من جهنم حتى غسلت في البحر مرتين ولولا ذلك لم ينتفع بها من حرها وكفى بهذا زاجرا والمراد من الجنة عرفا دار الثواب بجميع انواعها وهي سبع جنات متجاورة اوسطها وافضلها الفردوس وهو اعلاها وفوقها عرش الرحمن ومنها تفجر انهار الجنة وجنة المأوى وجنة الخلد وجنة النعيم وجنة عدن ودار السلام ودار الجلال كما ذهب اليه ابن عباس او اربع ورجحه جماعة لقوله تعلى ولمن خاف مقام ربه جنتان كما ذهب اليه الجمهور او واحدة والاسماء والصفات كلها جارية عليها لتحقق معانيها كلها فيها اذ يصدق على الجميع جنة عدن اي اقامة كما انها مأوى المؤمنين وكذلك دار الخلد ودار السلام لان جميعها للخلود والسلامة من كل خوف وحزن وجنة نعيم لانها كلها مشحونة باصناف والجنة فوق السماوات السبع والنار تحت الارضين السبع والناس في الموقف يكونون على حافتها التي ماتوا عليها فاذا دخلوا الجنة دخلوها شبانا جردا مردا ابناء ثلاث وثلاثين على عظم ءادم طول كل واحد منهم ستون

الصلاتين لحديث بذلك فقال (وصلى الله على سيدنا محمد عدد ما ذكرك وذكره الذاكرون وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون) اختلف العلماء رضي الله عنهم فيمن قال اللهم صل على سيدنا محمد عدد ما خلق الله وعدد ما ذكره الذاكرون وشبهه فهل يحصل له الاجر بالعدد المذكور او لا يحصل له فذهب ابن عرفة الى انه يحصل له من الاجر اكثر من اجر صلاة واحدة وذهب ابن هنو التلمساني الى انه يحصل له الاجر بعدد ما ذكر ذكره في تاليه الذي الف في فضل الصلاة على النبيء صلى الله عليه وسلم (ورضي الله عن اصحاب رسول الله اجمعين والحمد لله رب العالمين) خبر بمعنى الدعاء واصحاب جمع صحب الذي هو جمع لصاحب او اسم جمع بمعنى الصحابي واحسن ما يحد به الصحابي ان يقال من لقي وهو حي مسلم النبيء صلى الله عليه وسلم في حياته والرضا هنا صفة فعل بمعنى الانعام «خاتمة» نسأل الله حسنها اعلم ان قول لا إله إلّا الله محمد رسول الله جامعة لمعاني هذه العقائد كلها وبيان ذلك ان حقيقة لا إله إلّا الله لا مستغنى عن كل ما سواه ومفتقرا اليه كل ما عداه إلّا الله « وحقيقة » الالوهية استغناء الا له عن كل ما سواه وافتقار كل ما سواه اليه فقد اشتملت الالوهية على معنيين احدهما استغناؤه تعلى عن كل ما سواه والثاني افتقار كل ما سواه اليه فيندرج تحت الاستغناء احد عشر من الصفات الواجبة وهو وجوب الوجود والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والسمع والبصر والكلام وكونه تعلى سميعا وبصيرا ومتكلما ومتى وجبت هذه الصفات له تعلى استحال عليه اضدادها تعلى وهي احد عشر مثلها ويندرج في الاستغناء قسمان من الجائزات وهما تنزهه تعلى عن الاغراض في الافعال والاحكام وانه تعلى لا يجب عليه فعل شيء من الممكنات ولا تركه كالثواب مثلا ويندرج تحت الافتقار تسع صفات وهي القدرة والارادة والعلم والحياة والوحدانية وكونه تعلى قادرا ومريدا وعالما وحيا ومتى وجبت هذه الصفات استحال عليه تعلى اضدادها وهي تسع ايضا مثلها ويندرج في الافتقار قسمان من الجائزات وهما حدوث العالم باسره وان لا تاثير لشيء من الكائنات في اثر ما فقد « اشتملت » الجملة الاولى على اقسام الحكم العقلي الثلاثة الراجعة اليه تعلى « ويؤخذ » من الجملة الثانية وهو قولنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوب الايمان بسائر الانبياء والرسل والملائكة والكتب السماوية واليوم الاخر وما فيه الى آخر التصريح برسالته صلى الله عليه

وجوده الى هنا (واف) اي تام ومكمل (بذلك) اي بالخروج من التقليد الى المعرفة (ان يسر) اي سهل (الله) لا غيره (سبحانه) وتعلى (انعم) اكمل (وجاء وهو) اي الله (جل) اي انفرد بصفة الجلال (وعلا) اي اتصف بالرفعة التي لا تماثل وتنزه عما لا يليق به (المستعان) به (والمسئول) المطلوب (ان يخرجنا) ينقلنا وينقذنا (بفضله) احسانه (ويخرج بنا) ايضا (من الظلمات) جمع ظلمة والمراد به هنا الجهل والمعاصي (الى النور) العلم والمعرفة (و) هو جل وعلا المستعان والمسئول (ان يكرمنا) يفضلنا وينعمنا (و) ان (يكرم على ايدينا) كذلك ايضا (بما يوجب) يثبت (لنا) ذلك سنة الدعاء ولوالدينا واولادنا واخواننا والضمير للمعظم نفسه لا للمتكلم ومعه غيره لئلا يتكرر مع ضمير احبتنا على ان الاطناب في الدعاء مطلوب (ولاحبتنا) اي من يحبنا لا من نحبه كما نقل عن المصنف رحمه الله تعلى (من التنعيم) يعني التلذذ والسرور والفرح بما لا يكيف من نعيم الجنان مما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين واعظمها رؤية الرحيم الرحمن في (اعلا) ارفع (الفردوس) خص الفردوس بالذكر لفضل جنة الفردوس على غيرها من الجنات وهي اعلاها وفوقها عرش الرحمن ومنها يتفجر انهار الجنة كما جاء به الحديث ولقوله صلى الله عليه وسلم اذا سالتم الله فاسالوه الفردوس يعني ما عدى مكان النبيء صلى الله عليه وسلم المخصوص به فتنبه لذلك والفدردوس في اللغة العنب (بشريف) رفيع (معرفته) يعني معرفة ما يجب له تعلى وما يستحيل عليه وما يجوز في حقه تعلى بالدليل القاطع لا معرفة كنه ذاته تعلى فان ذلك محال ولا اشرف دنيا ولا اخرى من معرفة الله تعلى فمن اراد الجنة وهو في الدنيا فعليه بمعرفة الله تعلى ومعرفة رسله عليهم الصلاة والسلام فالعارف بالله تعلى في الجنة وان كان في الدنيا فالداران بالنسبة الى مطلوبه وهو الله تعلى على حد سواء (و) شريف (لذيذ رؤيته اعظم) اجل واكبر (سرور) نعيم قال العارف بالله تعلى ابن العربي اعلم ان اعظم لذة في الدنيا والاخرة رؤية الباري جل وعلا لكن هنا دقيقة وهي ان الالتذاذ برؤيته تعلى انما هو راجع الى رؤية المظاهر الذي تجلى الحق تعلى فيها تنزيلا للعقول لا الى الذات المتعالى وايضاح ذلك ان الالتذاذ بالرؤية لا يكون إلّا برؤية من بيننا وبينه مجانسة ومناسبة ولا مناسبة بيننا وبين الحق تعلى بوجه من الوجوه واطال في ذلك . ولما بدا المصنف كتابه بالصلاة والسلام على النبيء صلى الله عليه وسلم ختمه بذلك ليقبل الله ما بين

العظيم بكثرة الصلاة والتسليم على اشرف خلقه حبا له صلى الله عليه وسلم وامتثالا لاشرف امره تبارك وتعلى فقد حجر سبحانه وتعلى خيرات الدنيا والاخرة ان تخرج من باب من الابواب إلَّا من باب هذا النبي الشريف صلوات الله وسلامه عليه فما من قطب ولا بدل ولا ولي ولا ذي مرتبة عند الله تعلى كائنا من كان الَّا ودليله فيما ظفر به من تلك المرتبة ووسيلته في نيلها من المولى الكريم انما هو سيد الاولين والاخرين فقد بان بهذا انه كما احتاج الى ذكر الله مع مولاه على الدوام ولو لم يرد في اناقة قدر هذا النبي الكريم واعلا مرتبته على جميع المراتب إلَّا قوله تعلى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما لكان كافيا كيف وقد ورد في فضل الصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم احاديث كثيرة تحتاج الى ديوان مستقل وقد الفت في ذلك مصنفات مشهورة فكل دليل يقتضي الحض على ذكر الله تعلى فهو بعينه دليل على الحض على ذكر مصطفاه من خلقه صلوات الله وسلامه عليه « وهذا » ما قصدنا اختصاره وتهذيبه من شرح سيدنا ومولانا العارف بالله تعلى الشيخ ابي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي الحسني نفعنا الله به وبعلومه في الدنيا والاخرة بحسب الامكان مع كثرة الشواغل واختلست هذا من بين مسامير العوائق وحوافرها لكثرة فتن دنيانا واهوالها لا سيما هذا العام الذي نحن فيه عام ثمانية وثمانين فليس الخبر فيه كالمعاينة نسال الله تعلى السلامة والعافية في ديننا ودنيانا واقتصرت في هذا الشرح المبارك المختصر على ظاهر كلام المصنف رحمه الله تعلى والله المسئول ان يتجاوز عما تجاسرنا على كلام هذا العارف بمنه وكرمه وكان الفراغ منه يوم الاثنين رابع يوم من شهر رمضان المعظم عام ثمانية وثمانين والف عرفنا الله خيره وخير ما بعده ، وكفانا الله شره وشر ما بعده وغفر الله لنا ولوالدينا واولادنا واخواننا ولجميع المسلمين بحرمة ذاته العلية وذات رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما

وسلم يستلزم تصديقه في كل ما جاء به ومن جملة ما ذكر ويعلم منه ايضا وجوب صدقهم واستحالة الخيانة والكذب عليهم وجواز جميع الاعراض البشرية التي لا تنقص مراتبهم عليهم الصلاة والسلام وهذه جملة اقسام الحكم العقلي المتعلقة بالرسل عليهم الصلاة والسلام ولهذا المعنى جعلها الشارع ترجمة عما في القلب من الايمان ودليلا على الانقياد الظاهري للاسلام ولم يقبل من احد الايمان مع القدرة عليها إلَّا بهما وقد نص العلماء على انه لا بد من فهم معناهما ولو اجمالا وإلَّا لم ينتفع الناطق بهما في الخلاص من الخلود في النار فاذا تقرر هذا « فاعلم » ان الناس على ضربين مؤمن وكافر اما المؤمن بالاصالة فيجب عليه ان يذكر الشهادتين مرة في عمره وينوي الوجوب وان ترك ذكرهما فهو عاص وايمانه صحيح واما الكافر فذكره لهما واجب شرط في صحة ايمانه القلبي مع القدرة وان عجز عنهما بعد حصول الايمان القلبي لمفاجاة الموت له ونحوه سقط عنه الوجوب وكان مؤمنا هذا هو المشهور من المذهب وقيل لا يصح الايمان إلَّا بهما مطلقا ولا فرق في ذلك بين المختار والعاجز وقيل يصح الايمان مطلقا وان كان التارك لهما اختيارا عاصيا كما في حق المؤمن بالاصالة اذا نطق بهما ولم ينو الوجوب ومنشأ هذه الاقوال الثلاثة الخلاف في ذكر الشهادتين هل هما شرط في الايمان او هما جزء منه او ليستا بشرط فيه ولا هما جزء منه والاول هو المختار ثم ينبغي للمؤمن بعد اداء الواجب ان يكثر من ذكرهما مستحضرا لما احتوت عليه ويعرف معانيها لينتفع بذكرهما دنيا واخرى ويسال الله ان لا يسلبه اياها ويحفظ نفسه من المعاصي فان كثيرا من الناس يقولون هذا القول وينزع منهم في اخر اعمارهم بسبب اعمالهم الخبيثة فانظر يا اخي واجتهد في صلاح امرك قبل ان ياتيك الموت فجاة واعلم ان العمر قصير والحسرة طويلة فعليك بالاكثار من قول لا إله إلَّا الله ومن الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهما من افضل الاذكار واخفه واسهله فلذلك حض الشارع عليهما وسبب سهولة هذين الذكرين استخلاد استدامتهما بغرس الايمان في سويداء القلب ومحبته تعلى توجب استخلاد ذكره وادامة الجولان في عظيم بره وقهره وايضا فكل فقير الى شيء يلزم ان يكون ذكره لذلك الشيء على حسب افتقاره اليه ودوام الافتقار الى المولى العظيم يقتضي لزوم التعلق في نيل المفتقر اليه واشرفها لديه وليس ذلك إلَّا نبينا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فتعين اذا على كل مؤمن ادامة حبه وذكره والتوسل الى الله المولى

888

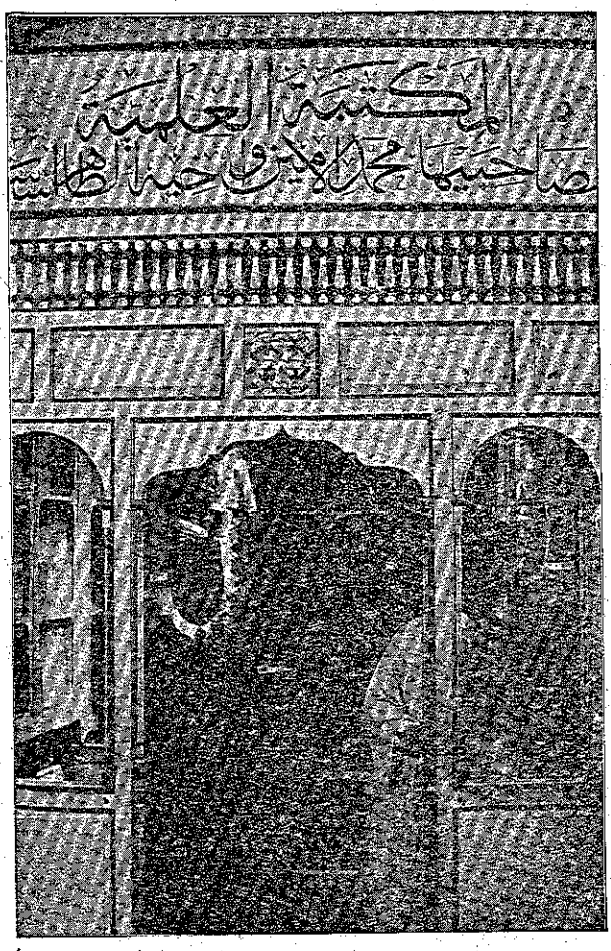

C 45